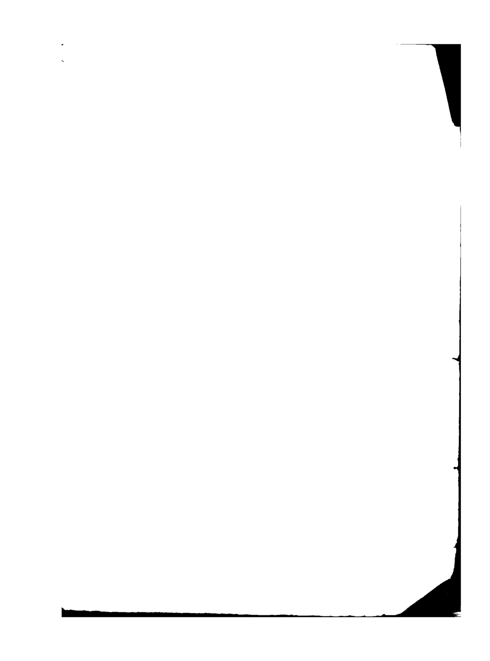
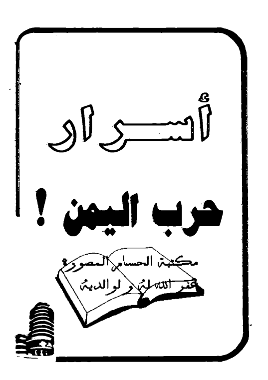

كتاب اليوم
أسرار حرب اليمن
مكتبة الحسام المصورة
غفر الله له ولوالديه



وجيه أبو ذكرى



■ صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٧٢ عن دار السياسة الكويتية بعنوان « الزهور تدفن في اليمن » والطبعة الثانية عام ١٩٧٧ عن دار الصحافة بالقاهرة بنفس العنوان ..

الغـلاف . . وسكرتير تحرير
تنفيـذى ● محمـد عفـت

الاهداء

الى شهداء مصر . . فى اليمن .

● المؤلف ●



مقدمة

هالنى ما قرأت ، ذات يوم ، فى صحف الخليج ، لكاتب لا اذكر اسمه حاليا فلقد كتب يؤرخ (! !) بما اسماه « الاحتلال المصرى لليمن » وعرفت فيما بعد انه يمنى الجنسية ، وحزنت حزنا شديدا من تلك السطور التى قلبت الحقيقة راسا على عقب وبفجور لا يقدر عليه غير الساقطات ! !

وقررت ان أرد على الكاتب الكاذب ، بما لدى من مذكرات وذكريات عن تلك الحرب الأليمة التى قدمنا لها خيرة شبابنا لتخرج اليمن من القرون الوسطى الى مشارف القرن العشرين .

لقد عشت حرب اليمن ، منذ الشهور الاولى حتى الشهور الاخيرة ، وكانت زياراتى لليمن متقطعة ولكنها مكثفة فى نفس الوقت ، وحاولت - قدر ما استطيع - تدوين ما رايته فى مذكرات ، وتمنيت ان ترى هذه المذكرات النور ، ليعرف العالم العربى كله ، ماذا قدمت مصر لليمن .

....

لقد عانيت ، كما عانى كل الشعب المصرى من لسعة هزيمة يونيو ١٩٦٧ ومرارتها ، وكانت حرب اليمن - بلا منازع - هى المدخل لهزيمة القوات المصرية فى حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، ولقد شرحت ذلك

بالتفصيل في فصول هذا الكتاب ولكن حتى الهزيمة - بكل مرارتها - لم تدفعني الى كتابة تلك المذكرات والذكريات . فلقد كان منطقى . اننا ذهبنا باختيارنا . لنؤدى رسالة لشعب شقيق . وعلى اصحاب الرسالات ان يتحملوا نتائجها وثمارها ! !

كانت . ومازالت الخدمات التى تقدم للمواطن المصرى هى اقل انواع الخدمات . بل إن معظم المشاكل التى عانينا منها . او ربما نعانى منها حتى الآن . كانت بسبب اننا نحارب على بعد اربعة آلاف كيلو متر من الوطن بما في ذلك من اعباء . لا طاقة لشعب فقير باحتماله . فكان لابد ان تخصم هذه الاعباء من الخدمات وخطط التنمية في مصر ! !

وليس سرا ان معظم المرافق قد توقف تطويرها . او اضافة جديد اليها كالشوارع والجسور والمصارف والمياه والكهرباء والاتصالات السلكية واللاسلكية فلقد التهمت حرب اليمن كل ميزانية الخدمات . واذكر ان ميزانية رعاية المرافق في مصر كانت عدة ملايين . هذه الميزانية قد تقلصت الى رقم هزيل . . الى عدة مئات . . اثناء حرب اليمن .

ورغم ما عاناه المجتمع المصرى من آلام . نتيجة لحرب اليمن فان هذا لم يدفعنى الى إخراج هذه الذكريات والمذكرات الى النور . . فلقد كان منطقى اننا ذهبنا باختيارنا لنؤدى رسالة لشعب شقيق . وعلى اصحاب الرسالات ان يتحملوا نتائجها وثمارها ! !

....

عندما كانت صنعاء محاصرة . . وعندما كانت الاخبار تاتى الى القيادة المصرية تحكى قصة ذبح الجنود المصريين بالخناجر . . وكان وقتها المشير عبد الحكيم في صنعاء ومعه انور السادات . . وضاقت الدنيا بالمشير . . ونظر الى انور السادات . . ولعن الذى كان السبب في دخول مصر حرب اليمن . .

والحقيقة ان انور السادات قد حقق ما أرادته القيادة السياسية في ذلك الوقت . . حيث اكد ـ بناء على حديث من عبد الرحمن البيضانى ـ

أن حماية الثورة لا تحتاج أكثر من عدة مئات من الجنود ، ونقل هذه الصورة الى كل من الرئيس عبد الناصر . والى المشير عبد الحكيم عامر . . وتم إرسال ما قاله أنور السادات . . واستمر إرسال القوات ثم حدث ما حدث .

ومعنى ذلك ان القيادة العسكرية - الممثلة في المشير عبد الحكيم عامر - لم تكن مقتنعة بضرورة ارسال قوات الى اليمن . . وحماية ثورتها . . ورغم هذا . . كان منطقى اننا ذهبنا باختيارنا لنؤدى رسالة لشعب شقيق ، وعلى اصحاب الرسالات ان يتحملوا نتائجها وثمارها .

....

لقد عشت مع شباب كالزهور . . يحاربون ببسالة . . يؤمنون انهم يؤدون لشعب اليمن رسالة . . ومنهم من استشهد على الجبال . . او في السهول . . أو في الوديان . . ولقد حزنت عليهم حزنا شديدا . . بل ان بعضهم ذبح ذبحا بالسكين في ظلام الليل . . ومنهم من قدموا له السم . . وكل هؤلاء - كما قلت - في عمر الزهور وحزنت عليهم حزنا شديدا . . وحتى موت هؤلاء العظماء . . لم يدفعنى أن أرتب مذكراتى . . وذكرياتى عن تلك الحرب الأليمة . . فلقد كان منطقى اننا ذهبنا باختيارنا لنؤدى رسالة لشعب شقيق . . وعلى أصحاب الرسالات أن يتحملوا نتائجها وثمارها ! !

....

ولكن . . ما قرأته في احدى صحف الخليج . . وما شهدته من « انكار » عربى لعطاء مصر للعرب قبل ظهور « النفط » ، دفعنى الى كتابة هذه الذكريات والمذكرات عن مشاهداتى كمراسل عسكرى لصحف مؤسسة أخبار اليوم في اليمن . .

لقد صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب ، عام ١٩٧٢ ، ولأول مرة يوجه كاتب نداء الى حكومة ، في مقدمة الكتاب ، لقد وجهت نداء الى الحكومة اليمنية . . اى حكومة . . وكان هذا نصه :

باسم أسوار اليمن التى رفعت والى الابد . .
باسم الرسالة التى قام بها اعظم شبابنا على ارض اليمن .
باسم العطاء والمال والعرق والدموع والدم المصرى .
باسم الحياة التى بدات فى اليمن .
باسم آلاف الشهداء الذين دفنوا على جبال اليمن .

لى رجاء . . من الحكومة اليمنية . . اى حكومة . . ورجائى بسيط هو : أن تجمع ما تبقى من عظام شبابنا العظام ، وتبنى لهم مقبرة تليق برسالتهم ، لتكون كعبة للعطاء ، ويكتب على هذه المقبرة :

— « هنا . . يرقد اعظم الرجال . . واشجع الرجال وانبل الرجال . . هنا يرقد شباب مصر فى سبيل اليمن » . .

....

وشاءت الظروف - بعد صدور الطبعة الأولى - ان التقى بالرئيس اليمنى الاسبق ابراهيم الحمدى ، وقدمت له نسخة من كتابى ، فعلمت منه انه قرا الكتاب ، وقال لى انه سوف يبذل جهده لأن يحول النصب التذكارى لشهداء مصر فى اليمن الى نصب يليق بهم ، واثنى الرجل على الدور المصرى فى اليمن ، سواء لحماية الثورة ، أو تثبيتها ، ثم دور مصر فى انطلاق ثورة اليمن .

....

وبدا الرئيس الحمدى يقيم النصب التذكارى لشهداء مصر ، وكان قبل ذلك عبارة عن مقبرة متواضعة ، فى صنعاء .

ولكن . . مات الرئيس الحمدى قبل أن يقيم هذا النصب .

وجاء الرئيس على صالح ، واقام النصب التذكارى لشهداء مصر فى اليمن ، وهو من أروع الأبنية فى اليمن الحديثة . ويذهب كبار المسئولين فى سبتمبر من كل عام فى ذكرى ثورة اليمن ، يضعون اكاليل الزهور على قبور شهداء مصر فى اليمن .

....

فى ديسمبر عام ١٩٨٥ ، التقيت بالفريق انور القاضى وهو واحد من ابرز القادة العسكريين، الذين قادوا القوات المصرية فى بداية ثورة اليمن وكان الرجل عائدا من اليمن بعد ان حضر احتفالات ثورتها ، وقد اهداه الرئيس على صالح ارفع وسام يمنى فى حفل كبير ، وكان الرجل محل حفاوة كبيرة من كافة قيادات الحكومة اليمنية ، وشاهد الرجل اليمن الجديدة بعد ٢٣ سنة من تركه لها ، كان الرجل يتحدث عن اليمن الجديدة وهو فى غاية من الدهشة فلم يكن يتصور ان اليمن ، التى كان يقود فيها القوات المصرية ضد التخلف والجهل والتامر ، هى اليمن التى يراها الآن ، حيث الشوارع الفسيحة ، والفنادق الفاخرة ، والمدارس والجامعات .

قال : – لقد كانت دهشتى عندما رايت شباب القبائل يجلسون امام احدث الآلات فى المصانع الجديدة التى انتشرت فى اليمن الجديدة .

قال الفريق انور القاضى : فى بداية الثورة . . اخذنا منزلا فى قلب صنعاء ليكون مقرا لقيادة القوات . . وكان المنزل متواضعا جدا . . ولكنه كان افخر الموجود . . وفى زيارتى الاخيرة بدعوة من الرئيس اليمنى . . بحثت عن هذا المنزل . . لأعيش الذكريات من جديد . . ولكن . . لا اثر لهذا البيت . . وكان بولدوزر . . قد جاء وهدم كل ما هو قديم . . واقام يمنا جديدا مستقرا .

قال الفريق انور القاضى : لقد خالجنى شعور بالسعادة وانا ارى اليمن الجديد . . فلقد أثمرت دماء شباب مصر وعرقهم ودموعهم فى اليمن . . فأزالوا تماما والى الأبد اسرار التخلف . . واقاموا بدلا منها ذلك اليمن الجديد السعيد . لقد امسكت قيادات اليمن بشعلة الثورة من ايدى قواتنا المصرية المسلحة . . وساروا بها الى الامام . .

....

كنت سعيدا وانا استمع الى الفريق انور القاضى وهو يروى لى جوانب التقدم الهامة التى حدثت فى اليمن فى فترة وجيزة جدا ،

والتغيرات الاجتماعية التى حدثت خلال العشرين عاما الماضية ، بل إن الفريق انور القاضى من الذين لايندمون على العطاء المصرى فى اليمن وغير اليمن ، مهما كان الجحود . . ومهما كان النكران . . لان هذا قدرنا . . وهذا دورنا ! !

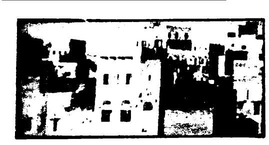
ولكن . . بعد اليمن . . وبعد النكسة . . ثم بعد انتصار عام ١٩٧٣ . . حدثت متغيرات اقتصادية فى العالم العربى . . كان اهمها ظهور وارتفاع اسعار البترول بصورة اشبه بالجنون . . وجاءت الاحداث بعد ذلك . . لتؤكد ضرورة ترتيب البيت المصرى اولا . . ثم الانطلاق الى خارج البيت ! !

ربما جاءت هذه « الضرورة » متاخرة . . ولكننا يجب ان نستوعب دروس ما بعد اليمن . . وما بعد النكسة . . وما بعد حرب اكتوبر . . وما بعد جنون البترول واسعاره وسلوكياته . .

وجيه أبو ذكرى

القاهرة مارس ١٩٨٦

• الرسالة الأولى •



صنعاء فى ٣١ أكتوبر عام ١٩٦٢

زوجتى العزيزة . .

إليك رسالتى الأولى اكتبها لك من صنعاء . . عاصمة الجمهورية العربية اليمنية ، ولا ادرى من اين ابدا هذه الرسالة ؟ . .

هل أتحدث عن المعارك التى بدانا نخوضها ؟ هل احدثك عن ثورة اليمن والامام ، والنظام ، أم ابدا حديثى معك منذ أن لوحت لك بيدى مودعا فى منزلنا الجميل بضاحية مصر الجديدة وحتى امسكت القلم لأسطر أول رسالة اكتبها من صنعاء ؟ إنى افضل التسلسل الزمنى حتى لا تضيع من ذاكرتى حقيقة . .

هل تذكرين عندما قبلت وحيدى وودعتك وانت لا تعلمين إلى اين انا ذاهب ، لقد كان ذلك يوم الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ ، لقد ذهبت إلى انشاص ، وهناك علمت بالمهمة التى تبدو سهلة وهى حماية ثورة اليمن من الرجعية فى المملكة العربية السعودية ومن الاستعمار البريطانى فى الجنوب العربى والخليج العربى ومسقط وعمان وعدن .
وفى المساء جمعنا قائد لواء المظلات وتحدث إلينا عن مهمتنا الجديدة ، وإليك بعض ما قاله عن هذه المهمة :

بعد قيام الوحدة المصرية السورية ، نظر منجم الامام احمد إلى السماء فوجد أن نجم الرئيس جمال عبد الناصر فى ارتفاع ، فارسل الامام احمد ولده الأمير محمد البدر إلى القاهرة ليلحق بنجم الجمهورية العربية المتحدة الساطع ، وعقد اتفاقية اتحادية بين الجمهورية العربية المتحدة وبين اليمن ولقد وافق الرئيس جمال عبد الناصر أن يضع يده فى يد النظام الامامى العفن فى صنعاء ولكن هذا الاتفاق مرحلى . . ولأهداف أسمى . . وهى أن يبقى عبد الناصر فى جنوب الجزيرة العربية ، ليواجه من صنعاء بريطانيا فى جنوب اليمن وعمان والامارات المتصالحة ويحاصر السعودية .

وبناء على هذا الاتفاق الاتحادى ، أرسل الرئيس جمال عبد الناصر بعثة عسكرية مكونة من إثنى عشر ضابطا للتدريب والاشراف على القوات المسلحة اليمنية ، إلا ان الامام سجنهم فى قصر الضيافة بصنعاء وحرم عليهم الاتصالات ثم ارسلهم إلى القاهرة بعد الانفصال ، وبرغم ذلك فإنهم استطاعوا أن يكونوا فكرة صائبة عن اليمن . وقامت ثورة اليمن فى ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ ، وجمع السيد الرئيس جمال عبد الناصر خبراء اليمن لأخذ رأيهم فى تلبية طلب الثوار بإمدادهم بقوات عسكرية ، كان رأى الفئات الوطنية فى عدم إرسال قوات والاكتفاء بتقديم المساعدات العسكرية وخبراء عسكريين دون قوات .

وكان رأى كمال الدين حسين وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة

المصرية عدم التدخل عسكريا فى اليمن ، لان جراح الانفصال المصرى السورى ما زالت تدمى فى جسد الشعب المصرى ، وان هذا التدخل لا تحمد عقباه وانه سوف يفسد كل خطط التنمية فى الداخل .

وكان راى الاتحاد السوفيتى ، التدخل لتحقيق ثلاثة اهداف رئيسية فى المنطقة :

١ ـ حماية ثورة اليمن .

٢ ـ مواجهة السعودية وبريطانيا فى المنطقة .

٣ ـ فك الحصار عن مصر .

فبعد الانفصال تعيش مصر فى عزلة تامة عن المجتمع العربى ، ولا يوجد لها علاقات طيبة إلا مع لبنان والكويت .

واستدعى سيادة الرئيس جمال عبد الناصر البعثة العسكرية التى كانت حبيسة فى ظل حكم الامام فى اليمن واستشارها الراى ، فقالت إنه لابد من التدخل فى اليمن ، وإن القوات المصرية التى سوف تذهب إلى اليمن لا تزيد عن كتيبة واحدة ، وهى كفيلة بحماية هذه الثورة .

وقرر سيادة الرئيس جمال عبد الناصر الموافقة على قرار السوفييت . والبعثة العسكرية المصرية التى عاشت حبيسة فى اليمن .

واصدر سيادة الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بسفر اول كتيبة إلى صنعاء وكنت واحدا منها ، لقد اخطرنا القائد بان المهمة سهلة ، واننا سنكون فى صنعاء ، وارتدينا الملابس المدنية واتجهنا فى اتوبيسات إلى مطار الماظة الحربى فى الظلام حيث كان فى انتظارنا طائرات مظلات من نوع انتينوف وكان يقف لتنظيم ركوب هذه الطائرات عسكريون سوفييت وبدانا الدخول من ذيل الطائرة ، هى غريبة الشكل ، عبارة عن كراسى حديدية محاطة بجدار الطائرة ، وفى الوسط مستودع البنزين وفى سقف الطائرة تتدلى انابيب للاكسجين ، وفى المقدمة كابينة القيادة الخاصة بالطيارين .

وملصق بها كابينة اخرى للقيادة العسكرية مجهزة بشكل مختلف

تماما عن بقية الطائرة .

وعندما أغلق باب الطائرة وقف رجل سوفيتى يعلم الجنود كيفية استخدام أنبوب الأكسجين ، ثم طلب منهم وضع كمامات الأكسجين فوق أنوفهم طوال الرحلة .

وبدأت الرحلة إلى صنعاء .

خمس ساعات طويلة . . مملة . .

فلا حديث . . لأننا جميعا نضع هذه الكمامات فوق وجوهنا . .

ولا حركة . . لأننا مرتبطون بسقف الطائرة بأنبوب الأكسجين . .

ومن أراد من الجند أن يقضى حاجته . . جاء له السوفياتى بزجاجة فارغة . .

وبدأت أشعة الشمس من صباح التاسع والعشرين من سبتمبر تتسلل داخل الطائرة ، وعندما بدأت الطائرة الهبوط من ارتفاع شاهق ، تسامح السوفياتى فى خلع هذه الكمامات اللعينة . .

وبدأت الطائرة تهبط بسرعة على أرض المطار وتوقفت عجلاتها ، وبدأنا النزول من ذيلها .

أى مطار هذا ؟ . . وأين ممراته ؟ . . وأين الأبنية ؟ . . شىء لا يصدق . . مشهد مثير وغريب إلا أن الأعجوبة أننا هبطنا هنا بلا حوادث .

إن المطار - يا زوجتى - عبارة عن ممر ترابى تحيط به سلسلة من الجبال ، وبرج المراقبة عبارة عن سيارة سوفيتية مجهزة بأجهزة لاسلكى هى التى ترشد الطائرة إلى الهبوط . .

هذا هو المطار . .

ووقفنا طوابير أمام الطائرة . .

وجاءت السيارة تنقلنا داخل المدينة . . كان الجو حارا رغم أننا فى الصباح . ثم وقف أمامنا رجل مدنى هو السفير المصرى فى صنعاء وقال : إننا قادمون فى مهمة مقدسة لحماية ثورة اليمن من المتآمرين

عليها . وان هذا الشعب في حاجة إلى حمايتكم ، وحتى لا نبدو متدخلين فإن السفير قد اخبرنا باننا سوف نرتدى زيا عسكريا يمنيا ، كما علمنا ان مهمتنا لن تزيد عن عدة أسابيع نعود بعدها إلى القاهرة .

بدانا نركب السيارة في الطريق إلى العاصمة ، سرنا وسط جبال جرداء قاسية ، وشاهدنا من بعيد مدينة بيضاء تحيط بها هذه السلسلة الجرداء من الجبال وقالوا انها صنعاء .

وبدانا نقترب من صنعاء .

وصنعاء هذه يحيط بها سور عظيم ، ويبدو المشهد كانه ديكور لفيلم تجرى احداثه في العصور الوسطى او ما قبل الميلاد ، وبدانا ندخل من بوابة شبه حلزونية ، واصبحنا في صنعاء ، كان الناس ينظرون إلينا وكاننا من كوكب آخر غير كوكب الأرض ، ينظرون بدهشة وخوف ، إن النظرة الأولى - زوجتى - إلى هذا الشعب تؤكد انه شعب اكثر من مضطهد ، عاش خلف الأسوار ، سواء كانت اسوار المدينة ، أو الأسوار الطبيعية من الجبال ، لا يدرى ما يدور حوله .

قبل يوم واحد ، كانت قد سبقتنا قيادة القوة المصرية في اليمن ، واتخذت من احد البيوت مقرا لها ، ذهبنا إلى القيادة واسترحنا قليلا ، ثم بدأ التوزيع على المناطق التى سوف نقوم بحراستها ، وكان من نصيبى بيت السلال .

وقبل أن أسرد لك حكايتى المتواضعة في اليمن خلال هذه الفترة . ساروى لك حكاية ثورة اليمن كما سمعتها ، جانب من السلال وجوانب أخرى من الذين قاموا بهذه الحركة ، وقيام هذه الثورة وجذورها التاريخية تحتاج إلى موسوعة لا إلى رسالة ، إنها ضاربة في اعماق تاريخ اليمن .

واعلمى - زوجتى - أن هذه الثورة لن تكون الأخيرة . إن اليمن اشبه بالتنين ، أو اشبه بالحيوانات المائية الموجودة في قاع المحيطات ،

فهى تحتاج إلى قنبلة ذرية لكى تتحرك من أعماق المحيطات وتظهر على سطح المياه .

والآن - زوجتى - إليك لأول مرة قصة ثورة اليمن ، وهى ليست كما يكتب عنها فى الصحف وهذه هى القصة مجردة :

....

اليمن كان يحكمها رجل قوى وخبيث إسمه الامام أحمد تولى السلطة بعد مقتل والده الامام يحيى ، وتوليه السلطة هذه مأساة ستظل سوداء فى تاريخ اليمن ، لقد قتل الامام يحيى فى ١٧ فبراير علم ١٩٤٨ ، كان خارج صنعاء مع وزير خارجيته ، والذى دبر مقتله هو عبد الله الوزير والذى كان يبث فى اليمن أفكارا ليبرالية ، وكان يتعاطف مع اليمنيين الأحرار الذين اتخذوا من عدن مقرا لهم ، وأعلن عبد الله الوزير نفسه إماما على اليمن عقب نجاحه فى اغتيال الامام يحيى ، وجاء إلى صنعاء اليمنيون الأحرار وهم : أحمد محمد النعمان ، والقاضى عبد الرحمن الاريانى ، والقاضى محمد محمود الزبيرى ، وكان الامام احمد هو حاكم تعز واستطاع الامام احمد وبعض من بيت حميد الدين أن يقود قبائل بلكيل وحاشد بقيادة الأمير حسن . . استطاع أن يسقط نظام الامام عبد الله الوزير ، وراح ضحية استرجاع السلطة ما لا يقل عن ستة آلاف يمنى .

وامتلأت السجون الرهيبة بالأبرياء ، وسجون اليمن أفظع مما تتخيلين ، أنا لم أشهد الباستيل كأشهر سجن فى العالم ، ولم أذهب إلى سيبيريا ، ولم أخدم فى السجن الحربى ، ولكن بالتأكيد وبدون أدنى نقاش فإن أقسى أنواع السجون هى تلك الموجودة فى اليمن .

النعمان أصبح فى السجن ، وهو الأب الروحى لكل محاولة إصلاح ، لقد درس فى الأزهر وأنهى دراسته وعاد إلى اليمن علم ١٩٤١ وعين مديرا للتعليم فى تعز ، ثم كان مدرسا للأمير البدر ولكنه لم يتمكن من الاصلاح فترك اليمن وســـافر إلى عدن وكون من هناك جماعة أحرار اليمن ،

حيث انضم إليه القاضى عبد الرحمن الاريانى والقاضى محمد محمود الزبيرى ، وهؤلاء عادوا إلى اليمن بعد الاحاطة بحكم الامام يحيى ولكن الوزير لم يتمكن من البقاء ، واعتقل النعمان والاريانى وتركوا فى سجن حجة ، إلا ان الزبيرى كان فى جدة لمقابلة وفد تقصى الحقائق فى اليمن الذى أوفدته الجامعة العربية ، فأفلت من سجن اليمن ، وعاش ثلاث سنوات فى سجون السعودية ، بعدها لجا إلى القاهرة .

هؤلاء الثلاثة ، ومعهم بعض بيت حميد الدين - كالأمير ابراهيم - هم أول من طالبوا بالجمهورية اليمنية ، والأمير ابراهيم مات فى السجن من كثرة التعذيب .

إن مقتل والده الامام يحيى ، جعل الامام أحمد صورة من أبشع الصور التى يمكن أن تكون على بشر فى القرن العشرين أو قبل هذا القرن بقرون .

عين الامام أحمد ولده محمد وليا للعهد ، وكان صديقا لسيادة الرئيس جمال عبد الناصر .

ومع مرور الزمن كره الرجل أسلوب حياة والده ، كره طريقة حكمه لليمن حاول الاصلاح فلم يتمكن . . فقرر اغتيال والده الامام أحمد . إن الامام أحمد ، كما علمت لم يمت ميتة طبيعية ، لقد اغتاله بالسم الأمير محمد البدر ، كان الرجل مريضا . ولكن الامام البدر كان يقول دائما انه يستطيع أن يعيش مريضا عشرات السنين ، وبعد أن تمكن السم منه . وفارق الحياة ، أسرع الأمير البدر بإعلان وفاة والده الامام أحمد فى ١٨ سبتمبر عام ١٩٦٢ م ، وأعلن الامام محمد البدر إماما على اليمن خلفا لوالده .

ولم يكن الامام البدر قويا كوالده ، لم يكن له هذه السطوة كالتى كانت لوالده ، بل أنه لو لم يعلن عن وفاة والده ، لاستطاع أن يحكم اليمن دون أن يعلن عن ذلك عشرات السنين فإن الرجل كان أسطورة .

بعد اغتيال الامام أحمد ، كان هذا أكبر إغراء لقيام الانقلاب الذى اطاح ببيت حميد الدين .

لقد كان اللواء عبدالله السلال من المقربين إلى الامام محمد البدر ، وبعد أن قام البدر باغتيال والده عين السلال في منصب رئيس أركان الجيش اليمني وكان السلال رئيس تنظيم عسكري من صغار الضباط في الجيش اليمني ، واستطاع السلال أن يقنع الامام البدر بأن يحرك بعض الدبابات من الحديدة إلى صنعاء ، وحصل على هذا الأمر ، وأعطاه إلى رجال الحديدة وبدأت القوات تتحرك إلى صنعاء مساء السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ .

كان اللواء السلال مجتمعا في ذلك المساء مع الامام محمد البدر يناقش معه طريقة النهوض باليمن بشكل حثيث ، وانتهى الاجتماع قبل منتصف الليل بساعة واحدة ، وطلب السلال من الامام أن يذهب إلى بيته إلا أن الامام طلب منه البقاء والمزيد من المشاورات ، وادعى السلال التعب ، وخرج إلى خارج صنعاء ليقود الدبابات إلى قصر البشائر في العاصمة حيث يوجد الامام ، وحاصرت هذه القوات القصر ، واتجهت قوات أخرى إلى الاذاعة وتم حصارها ، وبدأت تطلق قذائفها لتدك القصر ، لم تكن القذائف مباشرة لبعد هذه الدبابات عن القصر ، حيث يحتاج الوصول إليه مباشرة المرور بطرقات لا تسمح بدخول الدبابات ، وكان يوجد بالطابق الأرضي حريم الامام ، فور إطلاق القذائف اتجه الامام إلى جناح الحريم ، واقتحم جنود الثورة القصر ، حيث وجدوا جثث بعض الحرس ، ودخلوا على مكان الحريم فلم يلاحظوا وجود البدر ، وأخبروا السلال بمقتل البدر .

وأذيع البيان الأول للثورة اليمنية ، ثم أذيع مقتل الامام البدر ، ثم أعلنت الجمهورية العربية اليمنية ، في ذلك الوقت وبتكتم شديد من الحريم وبملابسهن خرج الامام من قصر البشاير المتهدم إلى أسوار صنعاء ثم إلى خارجها في منطقة جيحانة .

لم يكن للامام وسيلة لاعلان أنه حي ، كان عليه أن يسير في الجبال حتى يصل إلى حدود المملكة العربية السعودية ليعلن من هناك أنه حي .

بعد نجاح الانقلاب ذهب السلال إلى بيت السفير المصرى وطلب منه معونة عسكرية ، قوات مصرية تواجه القبائل التى تتمرد كما تمردت فى السابق على عبد الله الوزير ، وابلغ السفير المصرى فى صنعاء ، طلب قوات عسكرية مصرية إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، وكثرت التقارير فى القاهرة قبل أن احضر إلى هنك ، وانتهى الأمر بالموافقة على إرسال هذه القوات ، وبالرحلة فى المساء إلى مطار الماظة ومنها إلى هذه المدينة التعسة : صنعاء .

وهكذا - زوجتى - دخلنا اليمن .

وهكذا - زوجتى - نحارب فى اليمن .

لم يكن تقرير البعثة العسكرية دقيقا ، فلقد وجدنا بعد اليوم الأول من وصولنا اننا نحتاج إلى قوات اكثر لحماية هذه الثورة العظيمة من المتآمرين عليها ، فلقد بدأنا المعارك بعد وصولنا . . مما أدى بالقائد العسكرى والسفير المصرى وقيادة الثورة إلى طلب المزيد من القوات المصرية .

لقد بدأ تدفق عسكرى مصرى إلى اليمن ، لقد وصلت بعد الثورة بعدة أيام سفينة شحن تابعة للشركة البحرية تحمل معدات عسكرية ، وتشهد مطارات ثلاثة قوات مصرية تصل تباعا إلى اليمن ، مطار صنعاء الذى وصفته لك ، ومطار تعز ومطار الحديدة .

كما انه أصبح الآن هناك جسر بحري بين الأدبية والحديدة ، يحمل هذا الجسر الجنود ، والبنزين ، والماكولات ، والمعدات العسكرية ، واتصور أن شركة الملاحة البحرية قد توقفت تماما عن الأعمال المدنية وسخرت سفنها للجسر البحرى بين القاهرة وصنعاء ، لقد كنا فى البداية ثلاث كتائب ، أصبحنا الآن عدة الوية .

زوجتى . .

لم اكتب لك فى كل هذه الرسالة ما هى الأعمال التى قمت بها منذ وصولى إلى هنا حتى هذه اللحظة فهذه قصة طويلة ، هى قصة الوجود المصرى العسكرى كله فى اليمن .

إلا أنني أريد أن أعرف ماذا يقول الناس عندك في القاهرة عن وجودنا في اليمن ؟ . .

لقد ودعت القاهرة في الظلام بينما كنت أريد أن أودعها في ضوء النهار ، وأرى وجوه هذا الشعب الطيب وهو يلوح لي بمهمة قد أعود منها أو لا أعود . مهمة تحرير شعب عربي من العبودية والاستبداد .

إنني كل يوم أقول للجنود إننا هنا نحارب في اليمن للحفاظ على مصر . . مصر عبد الناصر . . مصر الأمل . . مصر التي دفعنا لها ومن أجلها الكثير . . ولم يبق إلا سنوات قليلة لنحصد ما دفعناه . .

لقد عشنا ثورة الجزائر . . ودفعنا لها الكثير . . وتحملنا من أجلها على مدى سنوات طويلة حربا قاسية مع فرنسا وبريطانيا وإسرائيل .

لقد عشنا في سبيل الوحدة المصرية السورية ودفعنا لها الكثير .

لقد عشنا في سبيل القضية الفلسطينية ونعيش لها وندفع لها الكثير . وفلسطين لابد أن تمر باليمن ، وحفاظا على تحرير فلسطين والقضاء على إسرائيل لابد أن نحافظ على ثورة اليمن .

وفي سبيل ذلك - أقول للجنود - نحن نحارب في اليمن .

في سبيل العروبة . .

في سبيل مصر . .

في سبيل قائد العروبة . .

نحن نحارب في اليمن . .

زوجتي . .

أرجو أن تكتبي لي عن كل المشاهد التي لم أشهدها في القاهرة ، وعن حياتك العامة والخاصة . . فهنا ستكون رسائلك هي تسليتي الوحيدة .

● زوجك

● ● ●



●● فى أحد المواقع المصرية . . جنود مصر بعد معركة عسكرية استمرت الليل كله وجانبا من الصباح . . وفى الصورة وجيه أبوذكرى وزميله صلاح قبضايا الذى أصيب ـ قبل المعركة ـ برصاص الملكيين . .



●● صنعاء التى كانت : هذه هى صنعاء عام ١٩٦٣ قرية صغيرة . . يحيط بها سور عظيم . . تنام قبل أن تغيب الشمس . .



●● آبار اليمن .. واليمن تعتمد على الآبار وكثيرا ما كانت تسمم هذه الآبار من قبل الملكيين ! !

• جواب الرسالة الأولى •

زوجى العزيز . .

وصلتنى رسالتك الأولى ، ولمست من بين سطورها أن هناك قتالا فى اليمن ، إن الصحف والاذاعات لدينا لا تقول أن هناك قتالا فى اليمن ، حتى أنا زوجة أحد الرجال فى اليمن كنت أتصور أنك هناك لتدريب جيش اليمن ، وليس للقتال . .

والآن . . منك أريد أن أعرف . . من تقاتل فى اليمن ؟ . . ومتى تعود إلى حنان بيتك ؟ . . وإلى متى يستمر القتال فى اليمن ؟ . . قد أكون الوحيدة أو الواحدة من القلائل التى تعرف بعض ما يجرى فى اليمن ، إلا أننى أسأل بصدق ، هل يمر الطريق إلى تحرير فلسطين عن طريق صنعاء ؟ . . هل أنت تؤمن بما تقوله للجنود ؟ . .

الصورة فى القاهرة ، غير الصورة فى صنعاء . .

عندكم قتال . كما تقول وعندكم انتصارات كما أرى . .

أول هذه الانتصارات والتى أراها هو ما حدث فى مطار القاهرة الدولى . كان الرئيس جمال عبد الناصر يودع أحد ضيوفه ، وعندما هبطت ثلاث طائرات من سلاح الجو الملكى الأردنى أرض المطار ، كان جميع السفراء بلا استثناء موجودين بالمطار ، وشاهدوا المقاتلات الثلاث تهبط واحدة وراء الأخرى وعليها إشارة السلاح الملكى الأردنى ، وتساءل سفراء الدول الغربية . . ما الخبر ؟

فقيل لهم : إن هذه الطائرات المقاتلة ، طلبت وهى فى الجو اللجوء السياسى للقاهرة ، وعلى الفور سمحت لهم مصر بالهبوط ، وكانت هذه الطائرات فى طريقها إلى اليمن لضرب صنعاء . ولكن الطيارين رفضوا الأوامر واتجهوا إلى القاهرة معلنين بذلك تأييدهم للثورة فى اليمن ، ولموقف القاهرة منها .

إلا أن الحقيقة أن الطائرات الثلاث قد هبطت فى مطار متقدم من قناة السويس ، وتم إبلاغ الرئيس جمال عبد الناصر بوصول الطائرات الثلاث ، فكان أول سؤال سأله الرئيس جمال عبد الناصر . .

— ألم تعترضهم الطائرات الاسرائيلية أثناء قدومهم من الأردن إلى مصر ؟ . .

فقيل له : لا . .

أعد عمل إعلامى كبير لوصول هذه الطائرات إلى أرض المطار ، كان أهم شىء فى نظر عبد الناصر أن يجمع أكبر عدد من السفراء ، وأكبر عدد من رجال الاعلام وهم يشاهدون الطائرات الأردنية وهى تهبط فى مطار القاهرة .

فى ذلك الوقت كان فى زيارة لمصر أحد زعماء أفريقيا وطلبت وزارة الخارجية من كافة السفراء العرب والأجانب توديع الضيف الافريقى فى القاهرة كما دعا الدكتور عبد القادر حاتم رجال الاعلام الأجانب لتوديع الضيف . وثارت دهشة رجال الاعلام من طلب الدكتور حاتم ، مما أدى به إلى تسرب خبر عن حدث هام سيحدث فى مطار القاهرة ، وكان هذا التسرب كفيلا بأن يسيل له لعاب رجال الاعلام الأجانب ليشهدوا هذا الحدث المثير ، وذهب رجال الاعلام المصريون من إذاعيين وصحافة وتليفزيون .

وهبطت الطائرات أمام أعين العالم . . وعقدوا بعد هبوطهم مؤتمرا صحفيا مثيرا ، وكان عبد الناصر سعيدا إلى حد لا يوصف بما حدث فى مطار القاهرة أن أحد المقربين للرئيس جمال عبد الناصر قد قال لى :

إنه بثورة اليمن سوف نهز عروشا ونغير الخريطة السياسية لشبه الجزيرة العربية والعالم أجمع .

كان الرئيس جمال عبد الناصر يقول لمن حوله أن هذا يكفينى عوضا عن جراحى فى سورية ، إن سوريا ظلت منذ الانفصال هى كل حياة الرئيس جمال عبد الناصر انه يرى فى اليمن الجسر لكل آماله ، انه يرى فى هذه الثورة رد اعتبار لما حدث من السوريين فى دمشق فى سبتمبر عام ١٩٦١ . إنه يرى فى ثورة اليمن رد اعتبار شخصى له من شماتة الرئيس العراقى اللواء عبد الكريم قاسم ، إنه يرى فى هذه الطائرات الثلاث رد اعتبار له فى مساعدة الأردن للمتآمرين على نظام الجمهورية العربية المتحدة فى الاقليم الشمالى . إنه يرى فى هذه الطائرات الثلاث تقريب المسافة أكثر ، وأكثر بينه وبين الشارع العربى فى كل مكان من الوطن العربى .

ثم لم تمض إلا أيام - زوجى العزيز - إلا وطائرات نقل معدات تصل ايضا إلى مطار القاهرة وهذه الطائرات من سلاح الطيران السعودى ، وكانت تحمل ذخائر إلى الخارجين عن الجمهورية على الحدود اليمنية وبدلا من أن تحمل هذه المؤن لهم ، غيرت مسارها فى الطريق إلى القاهرة ، وقد أدى هذا إلى توقف نشاط سلاح الطيران السعودى .

اليست هذه انتصارات يحققها قائد هذا الشعب ، إن القائد الآن يعيش أعلى لحظات انتصاراته وخاصة بعد كارثة الانفصال فى العام الماضى .

زوجى العزيز . .

هذه هى الصورة الاعلامية إلا أن هناك مناقشة دارت بين الرئيس جمال عبد الناصر ، والسيد كمال الدين حسين لا يعرفها إلا القليل فى اجتماع مجلس الوزراء . . بدأ الرئيس جمال عبد الناصر يتحدث عن التدخل العسكرى فى اليمن . . وكان يتحدث بنشوة ، ما بعدها نشوة ، وعلى يمينه يجلس المشـــير اركان حرب عبد الحـكيم عــامر . .

وكان كمال الدين حسين ينظر إلى الأوراق التى أمامه دون أن ينظر للرئيس عبد الناصر . . وكأنه لا يعيره انتباها . .

فسأله عبد الناصر . .

— مالك يا كمال ؟

وسكت كمال الدين حسين .

فواصل الرئيس جمال عبد الناصر حديثه . . تكلم يا كمال . . سمعت أنك تعارض دخولنا فى اليمن .

— أيوه يا ريس . . أنا رأيى . .

وقاطعه الرئيس جمال عبد الناصر . .

— ومن إمتى بقالك رأى . .

فرد كمال الدين حسين :

— والله أنا شايف أن البلد بتغرق وأنا محسوب من اللى بيقودوا البلد .

فرد عليه الرئيس جمال عبد الناصر :

— إسمع يا كمال . . روح شوف الأول انت عملت أيه فى التعليم . . وبعدين تعال اعترض . . أنت يظهر تعبان . . وأنا من رأيى انك تستريح شوية .

فرد كمال الدين حسين قائلا للرئيس جمال عبد الناصر :

— أنا فعلا تعبان . . البلد ما تتحملش مصاريف أكثر فى اليمن . . إحنا بنينا الجيش عشان يحارب اليهود . . مش عشان يغزو اليمن . . إحنا مالنا ومال اليمن . . إحنا صرفنا دم قلبنا فى سورية . . ودى كانت النتيجة . . الانفصال . . ولا يجوز أن دم أولادنا يهدر على جبال اليمن .

فرد عليه الرئيس جمال عبد الناصر :

— الله . . ده إنت بقيت تعرف فى السياسة . . وبقيت زعيم . . ونظر الرئيس جمال عبد الناصر لسيادة المشير عبد الحكيم عامر . . وقال له :

— كمال بقى سياسى يا عبد الحكيم . . فى ذمتك الراجل ده مش تعب . . ومن حقه يستريح شوية .

ثم نظر جمال عبد الناصر إلى كمال الدين حسين . . وقال :

أنا شايف ان الاجتماع ينتهى فورا لأن كمال الدين حسين تعبان . . ولازم يستريح . .

وخرج الرئيس جمال عبد الناصر من الاجتماع وخلفه المشير عبد الحكيم عامر . . ثم بقية الأعضاء . .

وفور وصول كمال الدين حسين بيته ، طلب منه السفر إلى الاسكندرية وهنك حددت إقامته لوقت وهو لا يدرى متى يصفح عنه الرئيس جمال عبد الناصر . . إنه يعيش ذليلا فى الاسكندرية وكأنه لم يكن عضوا فى مجلس قيادة الثورة .

هذه الحكاية يرويها الشارع المصرى . . ولا أدرى ما صدقها ! !

وانتهت معارضة دخول القوات المصرية إلى اليمن .

ودخولنا عسكريا فى اليمن لم يعد سرا ، لم تنشر أرقام إلا انه يبدو ان كل أسرة فى مصر قدمت جنديا موجودا الآن فى اليمن .

والآن . . أريد أن أهمس فى أذنك بأمر خطير . إن من يقول ــ مالنا ومال اليمن ــ يزار فى الفجر ولا أحد يعرف طريقه ، إن أحد أقربائك قد اعترض على إرسال قوات فى اليمن ، فى جلسة خاصة جدا ، وجاء رجال المخابرات فى الصباح وأخذوه إلى أين . . لا أحد يدرى ؟

إن أحد أقربائى فى القصر الجمهورى يأتى لى بأسرار عجيبة ، أسرار تكاد تكون أغرب من الخيال . .

وليس سرا ان كل القوة السعودية اصبحت فى يد ولى العهد ، الأمير فيصل بن عبد العزيز شقيق الملك سعود ، وكما قلت أنه بعد أن اتضح للرئيس جمال عبد الناصر الاصرار السعودى على ضرب ثورة اليمن قرر ان يضرب بالطائرات كل الأماكن العسكرية والاستراتيجية الموجودة داخل المملكة العربية السعودية ، بل إن إذاعة القاهرة أذاعت مثل هذا

النبأ . . إن أسئلة كثيرة قد تبادرت إلى ذهنى عقب سماعى هذا النبأ . . هل نبنى مصر ؟ ، ونكون نموذجا لما يرجوه الوطن العربى ، أم نصدر الثورة إلى الخارج ؟

ثم سؤال آخر قد راودنى ، هل فى إمكانية هذا الشعب أن يقدم كل شىء حتى الدم فى سبيل كل هذه المعارك ؟

إن ريفنا حتى هذه اللحظة لم تصله مياه الشرب النقية .

إن ريفنا حتى هذه اللحظة يشرب الماء الممزوج بالبلهارسيا .

إن شبابنا حتى هذه اللحظة يتقاضون مبالغ لا قيمة لها بالنسبة لكافة الدول العربية بما فى ذلك اليمن .

إنى أسمع أن هناك يوميا ما لا يقل عن مليونين من الجنيهات تصرف فى اليمن . هل تعرف معنى مليونى جنيه يوميا بالنسبة لمصر . . معناه أن عشر قرى مصرية تدخلها المياه . ومعنى ذلك أن حرب اليمن لو استمرت عاما واحدا فقط فمعنى ذلك أن هذا الشعب قد خسر كهربة كل الريف ، وإدخال الماء النظيف والكهرباء فى كل بيت .

نحن - يا زوجى - فى حاجة إلى كل ما ينفق فى اليمن . فى حاجة إليه ليجعل من مصر إطلالة على القرن الواحد والعشرين ، لا ينقصنا شىء . الرؤوس المفكرة لدينا ، الدخل القومى لدينا ، التعداد لدينا ، الحضارة القديمة لدينا ، حبنا للحياة العصرية لدينا . لا ينقصنا إلا أن نبنى مصر ، لا أدرى - يا زوجى العزيز - إلى متى سنظل نحارب . نريد لحظة سلام نلتقط أنفاسنا ، ونبنى بلدنا ، إننى أشعر أننا ننظر إلى خارج الحدود قبل أن نرتب البيت المصرى ، إننا نحاول أن نفرض ترتيبنا على كل البيوت . وبيتنا فى حاجة إلى ترتيب .

إنى أعرف مدى ارتباطك بشخصية الزعيم ، وهكذا كل دول العالم الثالث ، أنا لا أرميك بالجهل إطلاقا ، أنا فقط قد درست الشخصية الانسانية واستطيع أن أراقبها عن كثب . . إن مصر فى نظر العالم

ـ أو هكذا تبدو ـ عملاقة ، ولكن المصريين اصبحوا فى داخلها أقزاما ، إن مصر ظلت عبر القرون عملاقة لأن من بداخلها عمالقة .

زوجى العزيز . .

هل لى فى نهاية هذه الرسالة أن اتحدث عن امورى الخاصة ، ولا أعتقد أنها خاصة بى وحدى بل ربما بكل زوجة لها رجل فى اليمن .

إننى أشعر بوحدة قاتلة ، البيت هنا قاس ، وانتظارى لك ارهق أعصابى ، لذلك فسوف أذهب للاقامة عند والدك حتى تعود ، إن زوارى هم الأسرة ، سواء كانت أسرتى أو أسرتك ، وأحيانا نقضى امسيات مضحكة بين والدى العجوز الذى ينتقد النظام بقسوة ، ووالدك الذى يؤيد النظام بعفوية . . ويستمر النقاش وتنتهى الليلة وأعود إلى مخدعى وحدى فى انتظارك .

● ● ●

● الرسالة الثانية ●



١٠ ديسمبر ١٩٦٢

زوجتى العزيزة . .

وصلتنى رسالة التشكيك فى امر وجودنا فى اليمن . ويبدو اننا ننتمى لمجتمعين مختلفين ، ولذلك فإن مبادئنا ستظل مختلفة ، انا ابن فلاح من مصر ، ذاق الذل والهوان قبل ثورة يوليو ، وانت ابنة بقايا مجتمع سقط ، ساجعل رسالتى هذه عن الاسباب التى دفعتنا لمعركة اليمن ، وقبل ان ادخل فى هذه التفاصيل اقر ان شبابا فى عمر الزهور قد دفنوا فى اليمن ، ولكنهم كانوا بذورا لشجرة سوف تعلو فى اليمن .

إن مصر العزيزة محاصرة من كل اتجاه ، والمعارضين للثورة قد اقتربوا من ضربها . . وضرب قائد الثورة . .

إن ذيول مؤتمر شتورا في لبنان بين الوفد العربي والوفد السورى قد اثبتت عنفوان الثورة المضادة حتى انها هزمت الفارس عبد الناصر في هذا المؤتمر .

إن ليبيا في غرب مصر تقف من هذه الثورة موقفا حازما ضدها ، وتعتبر جدارا لانحسار الثورة المصرية .

إن السودان في الجنوب لا تتفق إطلاقا مع الثورة المصرية .

إن إسرائيل في الشرق ترى في جمال عبد الناصر الخطر الأوحد عليها . .

إن المملكة العربية السعودية على خلاف كبير مع الزعيم . خلاف وصل إلى حد القتال .

إن ملك الأردن قد استطاع ان ينهى الوجود الناصرى من سوريا بالانفصال .

إن اللواء عبد الكريم قاسم في العراق قد خصص ميزانية كاملة لهدم الزعيم جمال عبد الناصر .

إن الرئيس الحبيب بورقيبة في تونس ، يهاجم علنا سياسة الثورة وزعيمها .

إن المغرب يرى في وجود عبد الناصر خطرا عليه وهو على بعد آلاف الأميال من القاهرة .

وسط هذا الحصار جاءت ثورة اليمن لتسقط بقيامها جدران العزلة المفروضة على الثورة المصرية .

وكان لابد أن نذهب إلى اليمن ، وكان لابد أن نقاتل ونستشهد فوق جبالها وفي الوديان والصحارى وإن هذا سيكلفنا كثيرا ، في الأرواح

والمال ، ولكن مصر على مر التاريخ تعطى بلا حدود ، وهذا سر عظمتها .

فما بالك باليمن ، ولنا مع اليمن تاريخ قديم . . واسمعى جانبا من هذا التاريخ .

— اهل اليمن هم الذين اشتركوا في الفتح الاسلامى لمصر ، وبعضهم ظل في مصر وعلى مر السنين هاجر الكثير من اهل اليمن إلى مصر ، واستطيع أن ادلك على مناطق استيطانهم في الأراضى المصرية .

— في المنيا واسيوط ومنفلوط قبائل بنو جهم .

— بين الجيزة واسيوط يسكن بنى خزاعة وهم الأنصار (الأوس والخزرج) وكانوا هاجروا إلى يثرب - المدينة المنورة - بنى خولان في المنيا ، وزيد وسالم وطى ، وعامر ، وعبس ، وعبيد ومالك وغيرهم وكلهم منتشرون في كل مكان من الأرض المصرية .

في سبتمبر عام ١٩٤٥ م وقعت في الاسكندرية معاهدة صداقة بين مصر واليمن ، وقعها عن الجانب المصرى ونيابة عن ملك مصر عبد الحميد بدوى وزير الخارجية في ذلك الوقت ، وعن ملك اليمن عبد الله يحيى ، وتنص المادة الأولى من هذه المعاهدة « يحافظ كل من الطرفين المتعاقدين على حسن العلاقات بينهما ويوثق أواصر المودة والصداقة التى تربط رعاياها برعاية الطرف الآخر » .

— في ابريل ١٩٥٦ م . وقع اتفاق ثلاثى بين مصر واليمن والسعودية لزيادة تقوية العلاقات بين الدول الثلاث في كل المجالات ، ولو عدت إلى هذا التاريخ فستجدين ثلاثة توقيعات عن مصر جمال عبد الناصر ، عن السعودية الملك سعود ، وعن اليمن الامام أحمد حميد الدين .

— في مارس ١٩٥٨ وقع الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، والبدر ميثاق اتحاد الدول العربية ، وكان البدر ينوب عن والده في توقيع الاتفاق .

لست اذيع عليك أسرارا عن اليمن ، إن الامام البدر كان يعتبر نفسه ناصريا ، وكان يقول ـ كما سمعت هنا في اليمن ـ انه صديق حميم للرئيس جمال عبد الناصر ، وانه يعتبر تلميذا من تلاميذ الزعيم ، وليس سرا انه في إحدى زياراته للأردن قبل وفاة والده ، أمر الملك حسين بوضع بعض كبار ضباط الجيش الأردني مرافقين له ، وتوطدت علاقة البدر بهم ، حتى انه طلب منهم الاطاحة بالنظام الملكي في الأردن ، وذهب الضباط إلى الملك حسين وابلغوه حديث ولي عهد اليمن ـ في ذلك الوقت ـ وهنا عاتب الملك جمال عبد الناصر على حديث ولي العهد اليمني بصفته صديقه .

وفي عام ١٩٥٩ ، كان هناك لقاء ثان بين الزعيم جمال عبد الناصر والامام احمد في بورسعيد ، كان الامام قادما من إيطاليا بعد علاج استمر عدة اشهر في طريقه إلى اليمن ، وذهب الرئيس جمال عبد الناصر إلى بورسعيد حيث تم بين الاثنين على ظهر المركب (لقاء تاريخي) .

زوجتي . .

انا اعرف افكارك واستطيع الرد عليها ، علاقة كانت قائمة بين سلطة الثورة ، وسلطة الامام ، فكيف يقوم عبد الناصر بمساعدة الثورة التي انقلبت على سلطة الامام ؟ .

وردي عليك . . انه عقب الانفصال ، وكان عبد الناصر حريصا ، متألما من جراح الانفصال ، اذاع راديو صنعاء قصيدة من ستة ابيات يهاجم فيها الامام عبد الناصر والوحدة ، وقد تكون أول مرة في التاريخ ان تنقل وكالات الأنباء ابيات شعر عاجلة ، لتوزيعها على جميع انحاء العالم .

إذن . . من هو الذي انقض على الآخر . . ليس عبد الناصر هو الذي انقض على الامام . . اقول لك هذا حتى لا تعودي لتسالي مرة اخرى .

انا ناصري . . وارجو ان تساعديني انت على ذلك فالحقيقة انني

اجتاز مرحلة نفسـية سيئة ، وارجو إذا تحدثت معك فيها الا تهاجميني من خلال هذه الحقيقة . .

زوجتي العزيزة . .

كما تعلمين ـ كنت أول من وضع قدمه على أرض اليمن ـ وذهبنا إلى قيادة العملية ٩٠٠٠ ، وهذا اسمها فلكل عملية عسكرية اسم ورقم ، وتم توزيعنا ، ثم اعيد التوزيع في الأسبوع الماضي بشكل جيد ، وعلى ضوء احداث اليمن الدامية .

لم يعد أمر وجودنا سرا في اليمن ، العالم كله الآن يتحدث عن الوجود المصرى في اليمن ، لقد اقيم جسر جوي وبحري بين مصر واليمن ، هذا الجسر ينقل يوميا مئات الجنود ومئات الأنواع من الأسلحة ، واصبح هنا ثلاث قيادات ، قيادة الطيران ، وقيادة الجيش ، وقيادة البحرية ، وكلها تعمل تحت امرة قائد العملية ٩٠٠٠ .

انا في صنعاء ـ زوجتي ـ محاصر منذ الأسبوع الأول لقيام الثورة ، إننا محاصرون حتى هذه اللحظة إن العدو قد ركب الجبال المحيطة بصنعاء وهو يطلق النار بصفة دائمة من أسلحة خفيفة ولو ان لديه أسلحة ثقيلة لسقطت صنعاء ، وثوار اليمن قد تركوا الدفاع عن ثورتهم للقوات المصرية تماما ، إن ما ينقذنا بعض الشىء الطائرات القاذفة التى وصلت إلى الحديدة ، فهى تقوم من هناك بضرب العدو على الجبال في محاولة لفك الحصار .

لا أخفيك سرا ، إننى قضيت ليالى سوداء في هذه المدينة التعيسة نتوقع الموت بين لحظة واخرى ، فلقد استطاع العدو منذ ايام ان يدخل صنعاء بمجموعة صغيرة من قواته ، ولكن هذه المجموعة اثارت الرعب في كل القوات ، فلقد اكتشفنا في صباح يوم تعس ، وفي احد المواقع داخل هذه العاصمة التعيسة ، رجالا بلا رؤوس لقد حزنت من هذا المستوى حتى اليوم ، كيف يذبح رجل رجلا اخر ، كيف يخرج خنجرا من غمده ويكون لديه القدرة على ان ينقض على رجل نائم ويفصل راسه

عن جسده ، ثم ياخذ الراس إلى مكان لا نعلمه ، وماذا فعل هؤلاء الرجال حتى يذبحوا . .

زوجتى . .

لقد جمعنا جثثهم التى بلا رؤوس ، وحفرنا لهم حفرة وقمنا بدفنهم فيها ، ربما تكون هذه نواة مقابر زهورنا من الشهداء الذين سيدفنون فى اليمن .

انا لا اخاف الموت ، ولكنى ارفض رفضا باتا العثور على جثتى بلا راس فى اليمن ، وعلى بعد آلاف الأميال من مسقطها .

زوجتى . .

لن اكذب عليك . . ساقول لك دوما الصدق كله . . لقد كان المشهد قاسيا علينا ، وزاد الحصار ، فاجتمعنا فى قيادة العملية . . نسال . . ماذا نفعل إن لم يفك الحصار . .

وقررنا ان نجتمع فى مراكز قوية وحراسة شديدة . .

وطلبنا من رجال الثورة فى اليمن البحث عن القتلة . . ولكنهم أيضا مثلنا يخافون على رؤوسهم .

وتقدمت من القائد وقلت له :

— سيدى بعد شهور من وجودنا هنا . . لم أعد اعرف العدو من الصديق ، ولا ادرى ما إذا كنت ساموت مذبوحا وتختفى الراس ، او مسموما ، او بخنجر فى ظهرى . .

وسكت القائد .

وتقدم زميل آخر . . وسال القائد :

— ماذا لو هجم العدو واستطاع ان يصل إلينا فى صنعاء ؟

وعلى الفور وضعت يدى على رقبتى ، وتخيلت خنجرا ينزعها ، وتصورت الجميع يضعون أيديهم على رقابهم ، وبرزت العيون بحثا لاجابة هذا السؤال . . وساد صمت رهيب . .

قال القائد :

— نحاول الهرب إلى عدن ! !

والانجليز . . نعم إنهم عدونا الحقيقى ، ليس فى ذلك شك ، ولك
كان لدى القائد قناعة بان الانجليز لن يفصلوا رؤوسنا عن اجسادنا
ربما تكون عرضة لعدسات الصحافة والتليفزيون ، وربما تفص
رؤوسنا عن اجسادنا فى سجون مصر ، ولكننا جميعا بلا استثناء نرفة
شكل رؤوسنا وهى منفصلة فى اليمن .

برغم كل ما اسبق ، لست اريد ان اقول اننى رافض لهذا الوجود
اليمن ، إنك لو كنت مكانى لفعلت المستحيل لكى تحمى شعبا انه
الظلام والقسوة والاستبداد ، ولست اقول لك إننا سوف نخرجه
هذه الظلمات ، ولكن الظلام فى اليمن كثيف ، يحتاج إلى سنوات حا
يبزغ فجر جديد حقيقى ، إنه من الصعب ، بل من المستحيل ان ين
هذا الشعب من قرون ما قبل الميلاد او العصور الوسطى إلى الق
العشرين مرة واحدة ، نحن نمثل مرحلة فقط ، ولكنها بالتاكيد ارو
المراحل ، نحن ندفع الثمن ، ربما يكون باهظا ، ربما يكون أك
مما ينبغى . . ولكن مصر هى الأم . . الأم العربية . . وعليها ان تس
وتعطى . . وتقدم .

والآن . . ما هو موقفنا العسكرى . . وما هى احتمال
المستقبل . .

لا ادرى . . لدى قناعة غير حسابية باننا لن نذهب إلى عدن . . و
هذا الحصار سوف ينفك عن صنعاء . . فلا اتصور ان سيادة الرئي
جمال عبد الناصر قد يوافق على الهزيمة فى صنعاء . . وانه سيضع
إمكانياته فى سبيل إنقاذ العاصمة . . لقد هرب الامام . . سيرا
الاقدام حتى وصل إلى المملكة العربية السعودية . . واذاع راديو ع
فى ١٥ اكتوبر ١٩٦٢ ـ الماضى ـ رسالة من الامام البدر إلى الملك حس
ملك الأردن .

وكان ابن عمه الأمير حسن ، والذى يمثل اليمن فى الامم المتحدة ،
طار من نيويورك إلى لندن إلى الخرطوم إلى جدة ، واعلن نفسه إ

خلفا عندما اعلن عن موت الأمير البدر . .

وتجمعت أسرة حميد الدين في المملكة العربية السعودية ، وتنازل الأمير حسن عن الامامية للأمير البدر ، وقرروا شن حرب شعواء على اليمن والوجود المصرى في اليمن ، وتكونت قوات من القبائل قوامها اكثر من ٢٠ الف مقاتل بالشكل التالى :

شرق اليمن يقود القوات الملكية الامير حسن ـ الذى عاد من نيويورك .

بالقرب من مدينة صعدة ، يقود الأمير البدر القوات الأخرى :

الأمير عبد الله حسين ، استطاع ان يتواجد في منطقة الجوف ، وهو الذى يحاصر صنعاء .

في حريب قوات بقيادة الأمير عبد الله إسماعيل . وهذه القوات تستعد الآن لخوض معركة للوصول إلى صنعاء . .

ففى العاشر من نوفمبر الماضى ، اعلن الامام البدر انه سوف يتجه بقواته إلى صنعاء ، وتعز والحديدة لاسقاط الجمهوريين ، وان هذا سوف يتم خلال اسابيع أو اكثر .

والمملكة العربية السعودية تقدم لهم كافة المعونات وخاصة الجنيهات الذهبية ، وحكومة المنفى الملكية اليمنية تعيش الآن في المملكة العربية السعودية ، واصبحنا الآن امام صراع عسكرى وصراع مادى ، صراع عسكرى حيث تم تسليح القوات الملكية باسلحة جديدة ، وصراع مادى حيث ان الجنيهات الذهبية التى تقدمها السعودية للقبائل لا تعد ولا تحصى . المهم ان يسقط النظام في صنعاء .

لقد اتخذوا من نجران بالأراضى السعودية ، والقريبة من حدود اليمن مقرا سياسيا وعسكريا لهم ، وإننا نتوقع هجوما كبيرا على المدن الثلاث ، صنعاء ، الحديدة ، تعز . وإذا قاموا قبل وصول بقية القوات فإنهم قد يحرزون تقدما وخاصة في تعز والحديدة ، وها هى ذى صنعاء محاصرة .

إن السكان في مدينة تعز في خوف شديد من الهجوم المرتقب من القبائل ، فإنهم شوافع ، والقبائل من الزيود ، التركيبة اليمنية غريبة ، الزيود رجال القتال ، والخطاط ، والشوافع رجال الزراعة والتجارة والاستقرار ، ولذلك فإن معظم الشوافع ، أو الغالبية العظمى تسكن السهول الزراعية ، والزيود يسكنون الشمال الجبلى العنيف ، الزيود مسلحون منذ القدم ، والشوافع مستقرون منذ القدم أيضا . وكانوا على مر التاريخ موضع خطاط القبائل الزيدية عليهم ، ومعنى ذلك ان هناك آلافا من القتلى وأن على الشوافع أن يقدموا للقبيلة كل ما يملكون من مال وغذاء ونساء . . كل شىء حتى ترحل القبيلة . .

وكثيرا ما استخدم هذا الأسلوب الامام ، أى فى تاديب الشوافع .

زوجتى . .

منذ الحصار ، وذلك المطار القريب الذى تحدثت معك عنه ، يشهد كل يوم عددا من الطائرات الأنتينوف الضخمة تحمل السلاح والغذاء والرجال وعلى الفور يتخذون مواقعهم حول صنعاء ، للرد على القوات الملكية التى تحاول اقتحام العاصمة .

إننا بعد حادثة الرؤوس المسروقة من على اجساد الجنود ، ونحن نضع حول صنعاء نقطا قوية . وإن سبب هذا الحصار ان قوات العاصمة قد خرجت منها للشمال للسيطرة على مدينة صعدا بالقرب من الحدود السعودية وقوات أخرى ذهبت إلى الجبل الأسود للسيطرة عليه حتى لا يسقط فى أيدى الملكيين ، وقوات فى الطريق إلى مأرب ، وهذه القوات قد تركت العاصمة مكشوفة ، بل ان هذه القوات هى أيضا مكشوفة لأنها قوات صغيرة ، وطرق إمدادها وتموينها عسيرة فى اليمن ، ولذلك فإنى أتوقع لكى يفك حصار صنعاء ، والحصار المضروب على بعض القوات فى الشمال يحتاج إلى نصف الجيش المصرى أن يصل إلى اليمن لتكون هناك شبكة طرق فى حماية القوات المصرية ، تصل بين كافة المواقع ، تمدها بالرجال والسلاح والمؤن والعتاد .

إن الطائرات القاذفة المصرية تلعب دورا رئيسيا فى هذه الحرب ، إنها تنطلق كل يوم من الحديدة وتعز وصنعاء ، وتضرب تجمعات العدو التى تحاصر القوات المصرية فى كثير من المواقع ، ولست اخفى عليك امرا ان بعض القوات لا ندرى عنها شيئا فإن شبكة الاتصال ضعيفة إلى حد كبير ، بسبب اجهزة اللاسلكى التى اشتريناها من الاتحاد السوفيتى ، إنها اجهزة ضخمة ورديئة التوصيل ، وكثيرة العطب ، لا ندرى ما إذا كانت هذه القوات قد حوصرت ، أو دفنت فى ارض اليمن .

وليس سرا ما اقوله لك أن مواقع تموين الملكيين ، موجودة فى جيزان ونجران فى السعودية ، وربما غدا تصل إلى الشاطىء السعودى قادمة من الحديدة ، مدمرة مصرية لتدك جيزان بمن فيها ، وأن هذه العملية ستتم فى الفجر ، وسوف تقوم طائرة قاذفة من القاهرة وإسمها تى يو ١٦ ، تدمر قيادة الملكيين فى نجران ، إن هذا اقتراح من قائد العملية ٩٠٠٠ إلى القيادة فى القاهرة .

ووصلت اليوم الموافقة على قيام البحرية بهذا العمل . . وأخطر أن الطائرات القاذفة الطويلة المدى سوف تضرب غدا صباحا مركز قيادة الملكيين فى نجران ، وبهذا فقط سوف يخف الضغط على القوات المصرية الموجودة فى اليمن .

ولقد تحركت امس قوات كبيرة من الحديدة برا على الطريق الصينى الذى يربط العاصمة بالميناء ونضع أملا كبيرا على هذه القوات فى فك الحصار .

لا أدرى . . إلى متى سنظل فى اليمن ، إن صورة الوجود فى اليمن طويلة فإذا عرفت ما نحتاجه من قوات ، فسوف تعلمين إلى أى مدى سنبقى فى اليمن ، فلو وصلت كل هذه القوات ، فإنها تحتاج إلى شهور قتال ، ثم شهور عودة . . وهذه هى مشكلتنا فى اليمن .

● زوجـك



●● أبريل عام ١٩٦٣ : الغادر . . قائد القبائل المتمردة على النظام الجمهورى بالذهب السعودى وحوله بعض من رجاله . . والعميد محمد أحمد قاسم ضابط شئون القبائل . . ووجيه أبوذكرى مراسل أخبار اليوم العسكرى ومؤلف الكتاب . .

• جـواب الرسـالة الثـانية •

زوجى العزيز . .

أنا أيضا بشر ، وزوجة مقاتل . وأعيش المشكلة بكل تفاصيلها ، وأسمع كل إذاعات العالم . التقى بزوجات كبار المسئولين . لعلنى أعرف متى تتوقف حرب اليمن ؟

اقول متى تتوقف حرب اليمن ، لأنى كزوجة فى حاجة إلى زوجها ولأن الخطاب الثانى الذى وصلنى منك يؤكد أن فى اليمن حربا حقيقية . بدأت بعدد من الجنود . ولا أحد يدرى بكم سوف تنتهى . .

واشم من رائحة خطابك ، ومن بين السطور . أن القوات المصرية وحدها بلا مساعدة من ثوار اليمن ، وانهم الذين يحاربون . وهم الذين يدفنون فى تراب اليمن . وهم الذين سينتصرون أو يهزمون . . هم « جنودنا فى اليمن » . . لماذا كل ذلك الذى يحدث فى اليمن ؟ . .

لماذا انت محاصر فى صنعاء . . ونحن محاصرون فى مصر ؟

لماذا ندفن زهور شبابنا فى اليمن . ونحن فى حاجة إليهم فى النهوض بالشعب فى مصر ؟ إنى لا اثقل عليك بالأسئلة ، وإنى لا اريد أن اضعك فى موضع المتهم . ولكنى أرجو ان تقدر موقف زوجة تعيش وحدها فى بيتها بالقاهرة ، وزوجها الذى احبها واحبته يعيش محاصرا فى بلد بعيد . لأهداف غير مقنعة ، وقد يعود . . ولكن متى ؟ . . وقد يدفن فى اليمن ؟ . .

أرجو أن تقدر موقفى واكاد ان اقول لك إننى اتخيل الأجهزة تنام معى فى السرير خوفا من أن أبوح برفضى لحرب اليمن . .

محاور . . وطائرات . . ومواقع . . ومدافع . . وكنا نتصور فى البداية أن الاذاعة تحتاج إلى حراسة لكى تستمر ثورة اليمن .

إننا نعيش فى مصر أسود ايام حياتنا ، إذا نظرت للوجوه تجدها وجوها بلا حياة ، وكان كل الناس قد ارتدوا رؤوسا من الحجارة ،

إنك إذا نظرت فى هذه الوجوه فستجدها رافضة بصمت رهيب لهذه الحرب القذرة . لماذا ؟ . . لأننا فى حاجة إلى كل ما ينفق على الصراع فى اليمن ؟ . . لو أن ما ينفق على رفاهية وتقدم أى شعب يختاره ، الشعب المصرى أو الشعب اليمنى ألم يكن هذا يدفعه إلى الأمام سنوات . . أنا ضد القتال ومع السلام . . ففى ظل السلام يتقدم الناس ، وفى ظل القتال تباد حضارات . . ولا أريد لحضارة مصر . . وقدرتها على التقدم أن تتوقف بسبب الحرب فى اليمن . .

الخبز اشتد سوادا فى مصر كأيامها . .

الأرز لا نجده فى الأسواق حتى لو كنت تملك ثمنه . .

وقد قال الرئيس جمال عبد الناصر حلا لهذه المشكلة ان سكان الصعيد عليهم ان يأكلوا « الفريك » . وسكان وجه بحرى يأكلوا المكرونة ! !

نحن نتعاقد على « تراب الشاى » ليقدم فى أكياس قذرة للناس . . وبأسعار خيالية . .

نحن الذين عشنا التاريخ فى تقدم ورفاهية ، نعيش اليوم أسرى لهذه الحرب . . والتى سوف يدفع ثمنها هذا الجيل . . وأجيال قادمة ! !

استمر فى القتال زوجى العزيز . . فلو عدت منتصرا لن أقول إنك بطل . . ولو عدت منهزما لن أقول إنك هزمت . . وإن لم تعد فهذه كل المأساة . . أريدك بطلا شهيدا على التراب الفلسطينى . . حيث يعيش عدو يريد الانقضاض علينا فى كل لحظة . . أريدك تدفع عملية التقدم فى مصر . . ولا أريدك جثة فى اليمن .

أنا كزوجة فى حاجة إليك . . وتشتد حاجتى لك وأنت فى اليمن . . لأنك لو عدت أو حتى استمر قتالك فى اليمن . . فلن يعود بفائدة عليك أو على أسرتك . وقبل كل ذلك على بلدك .

أنا أعرف أن هناك عدة آلاف فى السجون اعترضوا على حرب اليمن .

أنا أعرف أن القيادة العامة فى مصر قد أعدت أهدافا فى المملكة العربية السعودية لضربها . . وهذه الأهداف هى الاذاعة فى جدة

والرياض . . معسكرات الجيش السعودى ، والقصور الملكية . . وإنهم جادون فى ذلك . . وعندما جاءت ساعة الصفر . . عرفت المخابرات الأمريكية . . فارسل چون كينيدى رسالة شديدة اللهجة للرئيس جمال عبد الناصر ، وحذره من التدخل الأمريكى لحماية المملكة العربية السعودية من الطائرات المصرية . .

واعلم ما لا تريد ان تقوله لى عن « حرب الطيران » فى اليمن ، اعلم - زوجى العزيز - ان الطائرات طويلة المدى تقلع يوميا من القاهرة وتضرب نجران وجيزان فى السعودية ، وتضرب بعض القرى الجنوبية للسعودية ، وتضرب قرى اليمن وتعود .

واعلم أن البحرية تضرب بقسوة الساحل الجنوبى للمملكة العربية السعودية . .

وانت قد اخفيت فى رسالتك « حرب الطيران » .

هل تعلم عدد الجنود الذين رحلوا إلى اليمن ، إنهم الآن ، فى بداية هذا العام قد وصلوا إلى ٣٠ الفا من شبابنا ، لم يحاربوا من قبل فى الجبال لقد كنت فى المطار مع زوجة مقاتل متجه إلى اليمن ، وشاهدتهم ، شاهدت شباب مصر المخدوعين وهم يتجهون إلى الطائرات . . إنهم سعداء لأنهم لا يعلمون . . سعداء بما قيل لهم عن المبادىء وحماية ثورة ، وتقدم شعب ، ولكنهم لا يعلمون حكاية الأجساد بلا رؤوس ، يعلمون من يحاربون ، سعداء بأنهم سيسافرون إلى الخارج لشراء بعض مما حرموا منه ، وكانوا يصنعونه بايديهم من قبل .

وعندما شاهدت هؤلاء . . تذكرت مشهدا آخر . . طابور صندوق المعاشات فى وزارة الحربية . . لأرامل الشهداء . . إنه طابور طويل . . نساء فى عمر الزهور يرتدين السواد . . ويقفن فى طابور لاستلام معاشاتهن . .

شهداء عام ١٩٥٦ . .

شهداء الجزائر . . وهم قلة . .

شهداء اليمن . . وهم إلى الآن قلة .

واشعر بأنني قد اكون واحدة من الواقفات في هذا الطابور . .

تقول في رسالتك - وهذا قد أحزنني - إننا ننتمي لمجتمعين مختلفين انت ناصرى ، وأنا من بقايا مجتمع سقط بالناصرية . .

أبدا - زوجي - والدى كان موظفا كبيرا ، يملك بيتا من ثلاثة طوابق يدر عليه هذا البيت ٨٠ جنيها في الشهر بالاضافة إلى مرتبه ، فيجعلنا نعيش في « بحبوحة » ، من هذا كان والدى لا يعترض على العمل الناجح الذى تقوم به ثورة مصر ، وكان ينتقد بشدة أى فساد ، لأنه كان يريد لهذه الثورة أن تحقق أهداف قيامها ، كان يبدى الراى في مجالس خاصة ، لأنه شجاع ، ولأنه من المثقفين ، ولأنه يستطيع ان يعيش بمعاشه ودخل هذا البيت الصغير ، فوالدى - إن كنت لا تعلم - ليس إقطاعيا ، ولا رأسماليا ، ولا مستغلا . . إنما له دخل « ٨٠ جنيها » كل شهر من بيت صغير . . ووصل إلى الأجهزة انتقادات والدى . . فوضع البيت تحت الحراسة ، وفصل من عمله ، وحقق معه ساعات طويلة في مبنى المخابرات العامة بالقرب من القصر الجمهورى بالقبة . وخرج مندهشا ، إنه لم يعد لانقلاب ، وإنه لم يشترك في مؤامرة ، إنه فقط أبدى رايه في أمر ما . . إنه تكلم في جلسة مغلقة . . إنه رفع قامته قليلا . . فاصبح الآن مراقبا . . وأصبحت انت تقول انه ينتمى لمجتمع سقط .

إن والدى يوم قامت الثورة ، وكان لا يعلم ما إذا كانت ستنجح او تفشل ارسل رسالة تاييد لها ، ولكنه كان يناقش الأمور من قاعدة الثورة نفسها وليس انقلابا عليها ، فتكلت به المخابرات ، ووصل الأمر إلى حد قطع لقمة الخبز .

ليس والدى هو الوحيد في مصر ، إنه مثل آلاف يحدث لهم اليوم ذلك ، إن الرئيس جمال عبد الناصر كما سمعت يريد أن يخرج من اليمن ولكن كيف ؟

هذا هو السؤال .

انا لا اذيع لك سرا جديدا ، فإن الرئيس جمال عبد الناصر قد التقى

بالسيد محمد أحمد محجوب الوزير السودانى ، وقال له انه تورط فى هذه الحرب ، وإنه يريد أن يخرج منها بشىء من الكرامة ، وطلب منه التوسط لدى المملكة العربية السعودية للتوصل لصيغة للخروج . .

ولكن الدكتور محمود فوزى له رأى آخر ، لقد قال فى جلسة خاصة حول الخروج من اليمن ، بأن السعودية لن توافق على صيغة للخروج ، لأن مصر سوف يتم تدميرها اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا فى اليمن ، القتال فى هذا المكان لمدة سنوات ، وعبد الناصر لن يستطيع الخروج مهزوما تماما من اليمن ، وهذه هى المعادلة الصعبة .

امريكا تقدم للسعودية السلاح الحديث الذى تحارب به القوات المصرية فى اليمن . . نعم . . لأنها تريد نهاية مصر فى مستنقع اليمن ! !

بريطانيا . . جعلت من الجنوب العربى ممرا للملكيين الذين يهاجمون القوات المصرية لأن الهدف البريطانى لا يفترق عن الهدف الأمريكى ! !

ومصر ترسل كل يوم رجالها للموت على هضاب الجبال . .

والأزمات الاقتصادية بدأت تدق أبواب مصر بعنف . . والناس ارتدوا أقنعة من الجبس . . لا دماء فيها ولا موافقة ولا اعتراض . .

كل ما أرجوه . . أن تعود . . تعود وراسك فوق جسدك . . لا يهمنى ما إذا كان مرفوعا . . أو منخفضا إلى الأرض . . فالأمر عندى يستوى . . المهم لى أن تعود . . تعود إلى بيتك . . وإبنك وزوجتك . . ووالدك . . تعود ولا تدفن فى اليمن .

لى رأى فى حربنا فى اليمن ، أو فى حربنا خارج مصر . . لا مانع من الحروب فى سبيل المبادىء . . ولكن إنطلاقا من قاعدة قوية . . أن نبنى مصر ونجعل منها قاعدة ثم ننطلق منها .

إن العالم كله لا يرضى لمصر القوة ، إنه يريدها أن تستيقظ يوميا تبحث عن لقمة خبزها فقط . إن علينا أن نظل نبنى ذاتنا وبذاتنا ولا نضيع شبابنا وأموالنا فى اليمن أو غير اليمن .

● زوجـــك

• الرسالة الثالثة •



صنعاء - أول إبريل عام ١٩٦٣

زوجتى . .

أسف للتوقف طوال هذه المدة عن الكتابة إليك ، لأن الأحداث هنا كانت متلاحقة ، لقد كانت صنعاء محاصرة ، وكنا فى موقف صعب فالقوات الملكية كانت تسيطر على المواقع الرئيسية التى تصل صنعاء بالمدن الأخرى ، والقوات اليمنية هربت من الخدمة العسكرية ولا نعرف لهم طريقا والقوات الملكية تساندها السعودية والأردن ، ان بين القوات الملكية عددا كبيرا من خبراء الجيش الأردنى ، ومعونات عسكرية سخية وصلت من الباكستان وهؤلاء - بالاضافة إلى بعض المرتزقة من بقايا الجيش الفرنسى فى الجزائر - قد وضعوا هجوما شاملا على صنعاء . .

وفى الشهر الماضى ، قابل السيد عبد الرحمن البيضانى القائم بالأعمال الأمريكى وأبلغه أن اليمن لن تسكت على التهديدات السعودية الأردنية ، وأن اليمن سوف تضطر لضرب الأردن والسعودية .

ويبدو أن الملك سعود والأمير فيصل قد اتخذا هذا التهديد بعين الاعتبار وقد علمت من القادمين من السعودية أن الأمير فيصل تعاقد على شبكة صواريخ مضادة للطائرات لحماية السعودية من غارات الطائرات المصرية . ان بعض الطائرات الأمريكية تقوم بحماية سماء جدة والرياض ، وأن الأسطول الأمريكى موجود فى جدة لحماية المدينة من غارات البحرية المصرية . وعلى السعودية أن تدفع لأمريكا . . من مالها ومن قرارها . . ثمنا لهذه الحماية ! !

ورغم ذلك ، رغم التحرك العسكرى خارج صنعاء ، إلا اننا عشنا اياما قاسية من الحصار ، واستطاعت القوات الملكية أن تبيد الآلاف من القوات المصرية فى مواقع متفرقة خارج العاصمة .

إلا ان المشير عبد الحكيم عامر قد وصل إلى صنعاء ، وبوصوله تجدد لدينا الأمل ، فهو رجل عظيم ، وفى نهاية هذه الرسالة سوف اتحدث معك عنه ، أو عن اللقاء الذى تم بينى وبينه .

بوصول المشير ، كما ذكرت تجدد الأمل ، لقد جمع قياداته ، واخبرهم ان قوات هائلة فى طريقها إلى اليمن بعضها سينزل فى الحديدة . والآخر سيصل بالطائرات إلى مطار صنعاء ، وهذا المطار لم يسقط فى أيدى الملكيين رغم أنه خارج المدينه .

ووضع المشير عامر مع قائد العملية ٩٠٠٠ خطة أسماها ، الهجوم الكبير وهذا الهجوم يقضى بفتح الطريق إلى الحديدة ، وفتح الطريق إلى تعز كمرحلة أولى .

ثم تدعم القوات الموجودة فى صنعاء وتتجه شمالا لتامين الطريق إلى صعدا .

ثم قوات اخرى تتجه من صنعاء إلى مأرب وصرواح وحريب وقيادتها فى الخرم .

وقوات تحاصر القوات الملكية الموجودة فى جحانة .

وإذا تمكنت القوات المصرية من تنفيذ خطة المشير عامر ، فان اليمن كلها تصبح فى قبضة الجمهوريين .

وبدأت القوات تصل تباعا وبكثافة لا نظير لها ، وقامت القوات الجوية بجهد ضخم فى تمهيد الطريق أمام القوات البرية لتصل إلى اهدافها ، ثم بدأ الهجوم الكبير ، وبدأت القوات فى الزحف إلى مواقعها ، واستطاعت القوات المصرية بقيادة المشير عبد الحكيم عامر أن تصل إلى المواقع التى حددت لها بكثير من الخسائر .

واستطيع ان اقول لك ان القوات المصرية تحارب فى ظروف غير طبيعية .. ولولا طبيعة المقاتل المصرى لما تمكنت من الوصول إلى هذه الأهداف .

لقد عشنا فى حرب غريبة ، اسمها حرب الكهوف ، ان اليمنى ياخذ معه طلقات من الرصاص ، وبندقية قد تكون قديمة جدا ، وبعض عيدان القات وقليلا من الطحين ، وبعض الزيت الذى يزخر به اليمن ، ويصعد إلى الجبل حتى يجد احد الكهوف ويجلس فيه .

وعندما يشاهد جنديا مصريا ، يخرج من الكهف ، ويصوب طلقة واحدة إلى الجندى تصيبه دائما فى جبهته فيسقط شهيدا ، وقد تاتى القاذفة لضرب الجبل ، فماذا يفعل ؟ عندما يسمع صوت الطائرة يدخل الكهف وينتظر حتى تسقط حمولتها من القنابل ، وهى دائما تحمل أربع قنابل . وبعد أن يعد أربعة انفجارات يخرج مرة أخرى من الكهف ويصوب هذه البندقية العتيقة نحو الطائرة ، ونادرا ما يصيبها ، ولكن احتمال الاصابة وارد عند الطيار مما يجعل مهمة الطيار مهمة محفوفة بالمخاطر .

أمر آخر فى قتال اليمن ، إننا نسير إلى مواقعنا بالدبابات ، واحيانا

يقف الجندى على مدفع الدبابة وعندما يصل طابور الدبابات إلى طريق ضيق لا يسمح حتى بدوران الدبابة ، يخرج اليمنيون من فوق الجبال ويمطرون الدبابات بالرصاص مما يؤدى بالجندى الحارس للدخول فى الدبابة .

ثم ينزلون إلى الأرض يحاولون إصطياد الدبابة بالخناجر ، ولكن هذا من المستحيل ، فاخترعوا طريقة غريبة ، يلقون على حديد الدبابة بترولا ويشعلون البترول ، وهذا يؤدى إلى زيادة الحرارة داخل الدبابة ، وخاصة أن الدبابة الروسية غير مكيفة ، ويصبح داخل الدبابة جحيما لا يطاق مما يجبر طاقم الدبابة إلى الخروج منها ، وهنا تكون الخناجر فى إنتظارهم لنزع رؤوسهم عن أجسادهم ، وتتوقف الدبابة ، ويتوقف من خلفها طابور الدبابات .

وفى هذا المناخ استطاعت قواتنا أن تنفذ الخطة ، وإذا كان هناك انتصار فى اليمن ، فان المشير عبد الحكيم عامر استطاع خلال شهر مارس ١٩٦٣ أن يقود القوات المصرية للتمكن من كل أنحاء اليمن .

يبدو - زوجتى - بعد هذا الهجوم اننا سوف نستريح قليلا ، فلقد اجتمعت مع المشير عبد الحكيم عامر ، وهو رجل حريص على الدم المصرى ، وقال نحن - العسكريين - لابد أن ننفذ قرارات القيادة السياسية ولقد وصلتنا قبل وبعد الثورة تقارير خاطئة وعلى ضوء هذه التقارير سرنا الخطوة الأولى نحو اليمن ، ووجدنا أن العجلة قد دارت وأنه لابد من إنجاز الخطوة الثانية والثالثة إلى آخر ما وصلنا إليه .

وسوف اخبرك بخبر هام ، إننى سوف أحضر إلى القاهرة لأقضى عدة أسابيع فان المشير قد أمر بتنظيم الأجازات للقاهرة . كما أن المشير قد أخطرنا بأن مكتب العلاقات العامة التابع لسيادته شخصيا قرر أن يقوم بحل مشاكل المقاتلين فى اليمن ، فمن يحتاج إلى شقة سيقوم المكتب بتقديمها له . ومن يريد إدخال تليفون فى منزله ، ايضا فسيقوم المكتب بتوفيره له ، ومن يريد سيارة نصر ١١٠٠ ، يستطيع أن يتسلمها فورا

بعد دفع الثمن مباشرة ، ومن يريد أن يشترى أى شىء من اليمن يستطيع أن يدخل به مصر بدون جمارك . وقرر المشير زيادة بدل السفر للمقاتلين فى اليمن .

ورحل المشير بعد أن قام بتأمين الموقف العسكرى تماما فى اليمن ، إلا أنه لم يتمكن من تأمين الموقف السياسى ، نحن نقاتل ونستشهد على هذا التراب ، والخلافات طاحنة بين الفريق الجمهورى والفساد يشتد يوما بعد يوم فى جهاز الحكومة اليمنية ، وأرى أن هذا الموقف خطير .

مثلا . . كافة صغار الموظفين لا يقبضون رواتبهم ، لأنه لا يوجد ما يكفى لرغبة كبار المسئولين فى الثراء السريع ، وبين المرتبات لصغار الموظفين .

ومثلا . . طلبت حكومة الجمهورية من اليمنيين فى الخارج العودة إلى اليمن الجديد ، ويوجد من اليمنيين فى الخارج الآلاف على درجة كبيرة من الثقافة ، بعضهم يحمل الدكتوراه ، وبعضهم يحتل مراكز مرموقة فى بلدان أخرى . وعاد البعض وعرض خدماته للنهوض ببلده ، وهنا حدث تناقض بين الذين قاموا بالثورة وبين هؤلاء العائدين بأفكار تقدمية للنهوض بالبلد ، وظل بعضهم شهورا لا يجد ما يفعله ، مما أدى إلى عودتهم من حيث جاءوا .

ومثلا . . أرسلت إحدى الدول الاشتراكية مستشفى هدية منها لحكومة الجمهورية اليمنية ، ووصل المستشفى إلى ميناء عدن ولابد أن يكون باسم الوزير المسئول وأبلغ بوصول المستشفى ، وفعلا ذهب إلى عدن ، واستلم المستشفى ثم جمع تجار عدن ، وأعلن عن بيع المستشفى فى المزاد العلنى ، وتم البيع ، وقبض ثمن المستشفى وعاد إلى صنعاء ، وعندما سئل . قال : إنها هدية خاصة لى .

لو أن هذا الحادث قد وقع فى بلد آخر لاهتز الكرسى من تحته ، إلا أنه يعلم أن الجميع قد صنعوا أكثر منه .

وقائد الثورة السلال . . على خلاف مع الكثير ، إلا أن أكبر خلافاته مع إثنين هما عبد الرحمن البيضانى ومحسن العينى .

ومحسن العينى غير مرغوب من القيادة السياسية لمصر ، لأنه يميل إلى البعثيين ، البعثيون هنا قد قاموا بتوزيع منشورات ضد الرئيس جمال عبد الناصر . وضد الوجود العسكرى المصرى فى اليمن ، لذلك كان لابد أن يشغل منصبا خارج اليمن ، فأسند إليه منصب المندوب الدائم للجمهورية العربية اليمنية فى الأمم المتحدة ، وغادر صنعاء ووصل إلى نيويورك وحدثت معركة بينه وبين مندوب الامام ، ولكن المنظمة الدولية اعترفت بالنظام الجمهورى خاصة بعد اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالنظام الجمهورى فى اليمن .

لى ـ زوجتى ـ معك وقفة قصيرة ، هذه ليست أول مرة يعين فيها سفير عربى ، لا لأنه أصلح من يكون لهذا المنصب ، ولكن لابعاده عن البلاد ، أليس غريبا أمر الساسة العرب ، إذا أرادوا عزل رفيق السلاح أرسلوه سفيرا فى الخارج ، بحيث تكون معظم البعثات الدبلوماسية العربية فى الخارج لا تمثل النظام ، أليس هذا الأمر يحتاج إلى دراسة ؟ !

عودة إلى الحديث ـ زوجتى ـ هنا أيضا خلاف بين الرئيس السلال ، وبين عبد الرحمن البيضانى وقد أشيع فى اليمن أن البيضانى قد استولى على أموال الامام وذهبه ، وانه استطاع أن يهرب هذه الأموال إلى أحد البنوك فى عدن ومنها إلى بنك روما . يقال إن هذا سبب الخلاف ، واعتقد أن البيضانى سيترك اليمن فى طريقه إلى القاهرة .

لا أدرى تماما ما إذا كانت هذه الواقعة صحيحة أم كاذبة ، ولكن الذى أعلمه أن هناك تحفظات على السياسة التى ينتهجها الرئيس السلال ، القاهرة تريد أن تقف بجانب البيضانى إلا أنها لا تريد أن تخسر السلال .

والآن . . إليك تحليلا لشخصية الرئيس السلال على ضوء قربى منه فترة من الزمن .

للسلال بيت متواضع جدا فى صنعاء ، له باب خشبى ، يغلق من

الداخل بمزلاج من الخشب ، لا أثاث فيه بالمعنى العصرى للأثاث ، إلا أن القيادة المصرية قد أحضرت له أثاثا فخما من محلات الصيرفى فى مصر ، ولصاحب هذه المحلات علاقة وطيدة ، ومصالح مشتركة مع العقيد على شفيق مدير مكتب سيادة المشير عبد الحكيم عامر لشئون الخدمات ، وقام المقاول المعروف عثمان أحمد عثمان بتحسين بيت السلال ، فاقيم طابق ثان ، ونزع الباب الخشبى بالمزلاج ، ووضع باب حديدى وكشكان وحرس ، ونافورة فى الداخل ، وسور وأنوار .

ويوجد للسلال صالة للضيافة ، نصفها مفروشات عصرية ، والنصف الآخر سجادةووسادات ، وهو يحب الوسادات إلا انه يضع بدلته العسكرية فى هذه الصالة الواسعة معلقة على مسمار .

والسلال ليس بالرجل المثقف ، وليس بالرجل الطيب القلب كما يبدو وهو مريض من إنهاك سنوات الظلام ، لذلك سمعت انه سيغادر صنعاء قريبا إلى القاهرة لعمل فحوصات طبية وليس له مزاج خاص ، ولكن فى نفس الوقت ليس تافها ، إنه من احسن الذين يتآمرون فى اليمن ، ولا تستطيعين معرفة فى أى جانب هو ، بالاضافة إلى انه ـ من شدة حرصه ـ لايثق فى اليمنيين كثيرا ، لذلك فان حرسه ـ بناء على طلبه ـ من المشير عامر ـ من جنود الصاعقة المصريين ، وحرس السلال سعداء بهذا العمل ، فهو إنسان بسيط ، ياكل معهم ويشرب معهم ويتحدث معهم طويلا . . فالحرس أصدقاء الرئيس .

والسلال يعشق القاعدة الجوية فى صنعاء ، ويعشق بيت الطيارين ، ويكاد يكون له برنامج يومى . .

فى الصباح يذهب إلى القاعدة الجوية ، تكون الطائرات قد وصلت من القاهرة ، وعليها الغذاء اليومى للطيارين ، وهو عبارة عن كل مـا تتخيلـه من محــلات جـروبى فى القــاهـرة ، والطمــاطم والاسكالوب ،والسوتيه والخبز والحليب ، والفواكه . .

ويقوم الطباخون ، باعداد طاولة طعام الافطار ، ويجلس السلال مع

الطيارين يتناول الافطار ، ثم يبدأ أقسى عمل ممكن أن يقوم به إنسان . . يعطى أوامره للطيارين بمسح بعض القرى اليمنية من على الوجود ، فى البداية رفض الطيارون تنفيذ أوامره وبعد يومين جاءت لهم الأوامر من الفريق صدقى محمود مباشرة بتنفيذ اوامر الرئيس السلال لأنه أدرى منهم باليمن .

وتخرج طائرات الموت والدمار ، وتنقض على القرى تنفيذا لأوامر الرئيس السلال . .

يعود السلال بعد ذلك لتناول طعام الغداء فى منزله الذى كان متواضعا وبعد الغداء يتناول عيدان القات ، وفى المساء يذهب إلى بيت الطيارين ، وهنالك يتناول طعام العشاء ، ويشاهد بعض الأفلام العربية التى تعرض فى بيت الطيارين ، وخاصة أفلام إسماعيل ياسين ، ويضحك كثيراً على إسماعيل ياسين إلا أنه يسعد سعادة منقطعة النظير إذا عرض الطيارون الأفلام الزرقاء القادمة من عدن .

بعد ذلك يعطى أوامر لطلعات الصباح لضرب القرى اليمنية . .

ذات مرة . . قال له أحد الطيارين . .

ـ هذه القرية مجمهرة . .

فرد السلال :

ـ لا . . لقد قلبت . .

وكلمة « جمهرت » أى أنها أعلنت الولاء للجمهورية ، يقول لى صديقى الطيار ، أخذت الطائرة وذهبت إلى القرية ، وكانت الشمس فى بداية بزوغها ، الناس بدأت الخروج من بيوتها لعملها اليومى فى الزراعة ، القرية هادئة ووديعة . . أربعة أطفال ينظرون إلى السماء لمشاهدة الطائرة . . والطائرة تحمل الموت والدمار وهم لا يعلمون . . وانخفضت بالطائرة لألقى على القرية قنابلى . . وتذكرت إبنى فى القاهرة . . وزوجتى . . وأمى . . وإرتفعت دون ما ألقى بشحنة الموت على القرية الآمنة فى أحضان الجبال وقلت جمهوريين كانوا أم ملكيين ،

إلا انهم لا يستحقون الموت لا يعلمون حتى الفرق بين الاثنين ، إنهم مخدوعون من الطرفين .

ارتفعت ـ يقول الصديق الطيار ـ وذهبت إلى الجبال الخلوية ، وما اكثرها في شمال اليمن والقيت بالشحنة ، وعدت إلى صنعاء . . وكذبت وابلغت القيادة بانني نفذت الأوامر ، وبعد يومين جاء الرئيس السلال غاضبا ، واخطر القائد إنني لم انفذ المهمة ، وكدت أحاكم ، ولم اكن خائفا من المحاكمة ، كنت اخاف الله اكثر من اى شىء . . ولذلك نقلت إلى القاهرة ، وكان هذا وحده توفيقا من عند الله . .

انتهى حديث الطيار الصديق . . وأحيانا ـ زوجتى ـ أسأل نفسى . . هل هؤلاء يستحقون أن ندفن فى اليمن زهرة شبابنا ؟ . . لقد عشت مرحلة الشك هذه ، خاصة انهم لا يشتركون معنا فى حماية ثورتهم ، وكأننا جيش من الغزاة ، ولكن إذا تعمقت فى تاريخ الشعب اليمنى ، فى قديم الزمان ، فستجدين انهم أعطوا الكثير للحضارة الانسانية ، وأعطوا الكثير للحضارة الاسلامية ، وبرجالهم انتشر الاسلام فى كثير من بقاع العالم . ثم أسدل الستار ، ستار كثيف من النسيان واستطاعت هذه الحواجز أن تقطع جذور الشعب اليمنى بما قدمه من حضارات ، ومع مرور القرون عاش الشعب حياة القهر والذل وتعود عليها ، حاول كثيرا التمرد ، وقدم الضحايا ، إلا أن السلطة كانت أذكى وأقوى منه ، إننى أسمع كل يوم حكايات عن بطش الأئمة ، حكايات تفوق التصور والخيال ، وكلما أسمع هذه الحكايات أشعر أن القوات المصرية تقوم بعمل إنسانى وحضارى فى نفس الوقت فى اليمن .

يكفى أن تعلمى ـ انه قبل الثورة ـ كانت أبواب المدن تغلق بعد غروب الشمس وتفتح بعد شروق الشمس ، وفى الليل الطويل ، يقتل بشر ، ويساق آخرون إلى السجون ، وفى السجن قد ينسى السجين مدى الحياة .

والآن . . هناك محاولات جادة لتحطيم كل هذه الأسوار . . لتحطيم الأبواب المغلقة ، ليرتبط شعب اليمن بشعوب العالم ، إن سكان

الشمال ، يعتقد الكثيرون منهم ان العالم ينتهى بعد جبال صعدا وانه لا بشر فى هذه الأرض غيرهم .

والآن ـ ايضا ـ سواء اكانوا ملكيين أم جمهوريين ، يعلمون ان هناك دولا اخرى غير اليمن ، وان هناك حضارات وشعوبا ، وان هذه الشعوب تعيش فى قرن إسمه القرن العشرون .

بل عرف سكان الشمال ان هناك غذاء غير الدقيق والقات والزبيب ، وعرفوا ايضا ان اسرة حميد الدين ليست منزلة من عند الله . . وانهم ايضا بشر مثلنا .

هنا ـ زوجتى ـ محاولات جادة للاصلاح ، ولولا الحرب لشمل الاصلاح كل مكان ، هنا تستعد بعثة تعليمية مصرية للوصول إلى اليمن . هنا بعض مشايخ من الأزهر يعلمون الناس الدين الاسلامى ، فالكثير نسوا اركان دينهم ، هنا عشرات المهندسين المصريين يبنون المدارس ويشقون الطرق ويرصفون الشوارع ويقيمون المساكن ذات الطوابق العالية . فلعلمك لم يكن مسموحا لأن يبنى احد بيتا اكثر من طابق . . فلا علو إلا للامام ، هنا اقيمت المكتبات ودخلت ملايين الكتب ، وملئت الصحف لمن يريد أن يعرف .

واصبح هناك طريق تجارى ضخم بين صنعاء وعدن ، صحيح ان الأسواق قد فتحت لنهم المستهلك المصرى من قواتنا ، إلا انها فى نفس الوقت مفتوحة للجميع ، بحيث اصبح الآن فى بيت كل يمنى تقريبا ثلاجة ، وجهاز راديو ، بعد دخول الكهرباء البيوت .

واليمنيون ، حاليا ليسوا فقراء كالسابق ، إن الحرب هذه جعلت من بعضهم اثرياء فان الأموال المصرية التى اعطيت للقبائل ، والأموال السعودية التى اعطيت ايضا للقبائل ، قد جعلت هناك رواجا .

والآن . الست معى أن ما يقوم به الجندى المصرى فى اليمن، عمل تاريخى ، وموقف إنسانى ، مهما كانت التضحيات ؟

● زوجـك



● السلال يصافح رجال القبائل . . وفى الصورة الفريق أنور القاضى قائد القوات المصرية فى اليمن . .

• جواب الرسـالة الثـالثة •

زوجى العـزيز . .

انتظرك ، وطال الانتظار ، أتصور أن أيام فتوحات الاسلام ، كان الجندى يعود إلى بيته بعد ستة أشهر قتال ، ولم يكن هناك طائرات سريعة تنقلك من صنعاء إلى القاهرة فى ساعات تعد على أصابع اليد الواحدة والآن مضى على وجودك فى هذا المكان ثمانية اشهر ، ولكن ما يعزينى فى ذلك اننى أعرف ما يدور فى اليمن من خلال رسائلك لى .

لقد شعرت من رسالتك الأخيرة لى ان هناك فى اليمن « حالة ركود قتالى » وهذا أسعدنى ، فانا لا أريد أن تدفن فى اليمن وأسعدنى اكثر لقاؤك بالمشير عبد الحكيم عامر والتسهيلات التى قرر أن يمنحها لكم . .

ولهذا . . فإنى أريد أن انتقل من سكننا المتواضع فى مصر الجديدة ، ونحصل على شقة من الحراسة فى جاردن سيتى ، وانا اعرف عمارة غاية فى الروعة ، بالقرب من ڤيلا مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين وبالقرب من السفارة الأمريكية ، كان من بين آمالى أن أسكن فى حى كحى جاردن سيتى وليس كثيرا علينا أن تحجز لنا سيارة أتنقل بها والولد فى القاهرة حتى تعود كما أرجو أن ترسل لى ما حرمت منه سنوات طويلة واعتقد انه أصبح متيسرا فى أسواق صنعاء ، وانت تعلم ما حرمنا منه .

زوجى . .

أليست مهزلة ان نطل على صناعات العالم من اسواق صنعاء ؟ ولأننا في مهزلة لا أريدك تعترض ولا أريد قضية المبادىء أن تركب رأسك ، فهذا أقل ما يجب أن يتوافر لأسرة مقاتل في اليمن ، ولكى أنزع من رأسك بعض الأفكار الخاطئة سأقول لك أن السيدة حرم الرئيس قد طلبت من السيد محمد أحمد أن يوفر لها بعض ما يحتاجه البيت من « مكسرات » رمضان . فأرسل الرجل إلى سفارتنا في قبرص ، وكلف الملحق العسكرى هناك بشراء « مكسرات » لبيت الرئيس ، وأرسل ألفى كيلو غرام في صندوق كبير حملته طائرة اليوشن ، ووصل الصندوق إلى مكتب المشير عبد الحكيم عامر . وتصور مستلمه انه هدية من الملحق العسكرى في نيقوسيا فقام بتوزيعه على الأصدقاء ، ولم يرسل لبيت الرئيس منه شيئا ، ومرت الأيام وأرسل السيد محمد أحمد إلى السفارة مرة أخرى مستفسرا ، وجاء الرد ، وعرف القضية وطلب صندوقا آخر فأرسل الملحق العسكرى صندوقين ، في هذا الوقت فإن مصر تعانى من ازمات تموينية حادة ، فلقد اختفت المواد التموينية الأساسية ويقال أنها ترسل لليمن .

أنا آسفة لأن أبدأ خطابى بمطالب ، ولكن عذرى في ذلك انها فرصة يجب أن تستفيد منها ، وتستفيد معك أسرتك لأننى أتصور أن هناك في الكواليس السياسية بحثا عن حل لمشكلة اليمن ، وأتصور أنكم ستنسحبون من اليمن . فلقد علمت هنا أن الرئيس جمال عبد الناصر قد قام بتكليف بعض الرجال ببحث إمكانية الانقلاب في المملكة العربية السعودية وعلى أساس وجود قوات مصرية في اليمن تستطيع أن تقوم بحماية الانقلاب ، وسافر الرجال إلى المملكة العربية السعودية وقضوا شهرا ، وامكنهم الاتصال ببعض العناصر الوطنية واليسارية وعادوا بتقرير قدموه إلى الرئيس جمال عبد الناصر وأن هذا التقرير يؤكد عدم إمكانية قيام أى إنقلاب في السعودية للأسباب الآتية :

١ - أن المسيطرين على كافة أمور المملكة هم أبناء أسرة واحدة ، وهم فى حد ذاتهم يشكلون نسبة غير بسيطة من عدد السكان .

٢ - إن الانقلاب إذا نجح فى جدة ، سقط فى الرياض وذلك للمسافات البعيدة ، الهائلة بين مدن المملكة العربية السعودية .

واقترح الرجال أن يكون العمل للضغط على المملكة العربية السعودية بأحد طريقين :

الأول : إرسال متفجرات لاشاعة الرعب فى المدن السعودية .

الثانى : الضغط السياسى بواسطة بعض الأطراف ومحاولة قيام حوار حول المشكلة اليمنية .

والتقرير يؤكد أن السعودية غير راغبة فى استمرار وجود القوات المصرية أو أنها يمكن أن تقدم لها خروجا كريما من اليمن ، ومصر التى انهكت بشكل لا تتصوره فى اليمن خلال الشهور الماضية ، فإنها مستعدة للدخول مع السعودية فى مفاوضات من أجل الخروج من اليمن .

إذن أرى أن الطرفين الرئيسيين فى هذا الصراع الدامى لديهما الاستعداد للاتفاق لذلك فإنى اتصور سرعة وسهولة الاتفاق .

من هنا اقول لك ربما تسمع عن انفجارات فى المملكة العربية السعودية وسوف تسند هذا الانفجارات إلى « منظمة » سيبحث لها عن إسم فيما بعد . .

وسوف تسمع خلال الأيام القادمة حملة إعلامية ضد النظام فى المملكة العربية السعودية ، لقد بدئت الحملة بالفعل ، لقد وقف الرئيس جمال عبد الناصر والقى خطبة هاجم فيها السعودية بعنف ، خطبة أرضت الجماهير التى نادت من خلف المنصة « إحكى . . إحكى . . عالمكشوف . . بدنا نسمع بدنا نشوف » . وأنت كما تعلم عبد الناصر عبد الشارع . وحكى كثيرا و « وعلى المكشوف وأسمع الناس وأرضى من يريد أن يشوف » .

والآن . . أنت تريد أن تعرف أخبار مصر ، وسوف أخبرك ببعض منها .

الأخبـــار . .

ما زالت قرى مصر مظلمة . .

وما زالت الأمية بنفس النسبة التى كانت عليها عام ١٩٥٢ . .

وما زال الناس منتظرين نهاية للحرب التى بدأت منذ ثمانية أشهر . .

وما زال الناس فى حالة انتظار لشىء ما ، لا يعرفونه ، ولكنهم يأملون فيه دون معرفة لموعد أو لأى شىء . .

والناس هنا ، من كثرة الحزن واللامبالاة يضحكون . . هل تريد أن تسمع آخر ضحكاتهم عن حرب اليمن إليك بعض ما يضحك إلى حد البكاء .

الأولى تقول أن باخرة قد ثقبت فى عرض البحر ، وكان لا بد من تخفيف حمولتها ، واقترح قائد الباخرة أن تجتمع كل جنسية وتختار واحدا يلقى بنفسه فى البحر وتم الاختيار ، ووقف الأول وكان مصريا ، وقال فى سبيل مصر ، وألقى بنفسه فى البحر ، والثانى فى سبيل بريطانيا العظمى وألقى بنفسه ، ومواطن يمنى وقف وقال فى سبيل الجمهورية العربية اليمنية ودفع إلى البحر بشاب مصرى يقف بجواره .

وإليك الثانية . . بعد استمرار الحرب فى اليمن ، والعلاقات الثورية بين كوبا ومصر ، قرر الرئيس جمال عبد الناصر إقامة إتحاد بين الدول الثلاث ، واختار إسما لهذه الدولة وهو « مصر يمن كوبا » ؟

هنا ، من شدة القهر يضحكون ، أن الخطة الخمسية توقفت تماما بسبب حرب اليمن وثروة الكهرباء تبدو كأنه من المستحيل الاحتفاظ بها لعدم وجود عشر ما ينفق فى اليمن للاستفادة من هذه الثروة لبناء المصانع أو كهربة الريف .

وبدأت الصحافة تتحدث عن انتصاراتكم على جبال اليمن وفى سهولها أى انتصار هذا .

كلما تنتصرون ، وكلما يدفن مصرى فى اليمن ، فإنها الهزيمة

بعينها ، هزيمة تهز مصر حتى العظام .

أى عدو تحاربون ؟ . .

أمريكا تريد أن تخرج من فيتنام . ونحن فى وحل اليمن .

تعالوا حاربوا عشرات الأعداء فى الداخل . .

تعالوا حاربوا الفقر والجهل والمرض .

تعالوا هنا أقيموا العدل والثراء والرفاهية والحرية . . ثم صدروها للخارج .

تعالوا أبناء مصر . . إلى أرض مصر . فهى فى حاجة إليكم ، كما لم تكن فى حاجة إليكم من قبل .

زوجتك

● ● ●

● الرســالة الرابعة ●



صنعاء . . أول يونيو ١٩٦٣

زوجتى . .

لا أدرى من سيصل أولا ، هذه الرسالة أم كاتبها ؟ قرابة من عام على فراقنا . . وأشعر بحنين إلى نسمات النيل وضحكات الناس . . والزوجة . . . والبيت الهادىء . . وملابس آدمية وأسمع الموسيقى ، ولكن علينا أن نؤدى الرسالة مهما كلفتنا من تضحيات . .

قرأت رسالتك الأخيرة ولو أنى أعرف خطك جيدا ، لتصورت أن إنسانة أخرى هى التى كتبت هذه الرسالة . . رسالتك متناقضة . . حرصك على الناس فى مصر . . ومطالب خاصة بك وبأسرتك .

ومطالب خاصة بك وبأسرتك .

تطالبني بالعودة وأنا أريد ذلك لا خوفا من القتال ولكن عندى شعور ما ، يؤكد أننا فى طريق مسدود ، لم يعد الموت يهز شعرة واحدة فى رأسى ، فاليوم جلست أفكر فى ذلك المكان الذى أبيت فيه عندما أكون فى صنعاء ، إنها صالة كبيرة بها خمسة أسرة ، أنا وأربعة نبيت فى هذه الغرفة منذ وصولى إلى صنعاء . . ويختفى أحدنا ، يدفن فى مكان ، وأى مكان فى اليمن ويأتى مقاتل جديد ويختفى اثنان ، ويأتى غيرهما وعملية الموت تدور فى هذه الغرفة وحتى اليوم كم من الرجال دفنوا فى اليمن ؟ . . الله أعلم بهم .

ويعود القتال من جديد وتعود عجلة الموت تحصد فى الجانبين ، لقد بدأت المحاولة برسالة من الرئيس الأمريكى جون كيندى للرئيس جمال عبد الناصر والأمير فيصل والرئيس السلال ، يطلب منهم وقف القتال ، وبعد أيام من هذه الرسالة وصل إلى صنعاء المشير عبد الحكيم عامر واجتمع بالقيادة للعملية ٩٠٠٠ وأخطرهم بأن رالف بانش السكرتير العام المساعد للأمم المتحدة سوف يصل إلى صنعاء وعليه يجب أن تكون كافة المدن الرئيسية فى اليمن فى أيدى القوات المصرية مهما كلفنا ذلك من عتاد وأرواح .

كانت مأرب هى المدينة الرئيسية التى سقطت من أيدينا وذبح كل الرجال الذين كانوا بها ، وبناء على تعليمات المشير أعدت خطة لاستعادة مأرب وكنت ضمن القوات الزاحفة إلى هناك لتحرير مأرب .

واستطعنا تحريرها بعد أن فقدنا فى الطريق مئات من القتلى ، وجاء فى مارس الماضى رالف بانش وقابل الرئيس السلال وقابل المشير عبد الحكيم عامر وقال له المشير أن جميع مدن اليمن فى أيدى الجمهوريين وقال له رالف بانش :

— حتى مأرب ؟

يعرض عليه المشير عبد الحكيم عامر أن تحمله طائرة هيلوكوبتر إلى مأرب ، وفعلا وصل بانش إلى مأرب ، وسألناه أسئلة حول وجودنا ، وإلى متى نتوقع أن نبقى فى اليمن ، وهل نحن مؤمنون بما نؤديه فى اليمن .

وقال لنا :

— أيها الرجال بصدق انا أشفق عليكم إلا انكم تقومون بعمل تاريخى وإنسانى فى سبيل هذا الشعب الذى لا يوجد معاناة فى العالم مثل ما عاناه هذا الشعب .

وقال أحد المقاتلين . . ممن يعرفهم المشير :

إنه ـ كما قيل ـ تاريخ مشجب نعلق عليه اللوحات ، قد يأتى مؤرخ ويقول فترة الاستعمار المصرى فى اليمن ، هنا ندفن يا سيدى بلا معالم ، ومشكلة اليمن أكبر من أن تتحملها مصر تاريخيا ، إنها وصمة عار فى جبين الحضارة الانسانية كلها .

وسكت رالف بانش . .

وركب الطائرة الهيلوكوبتر ، كاد الرجل أن يبكى حزنا على ما شاهده فى اليمن ، ويبدو أنه أيضا حزين على ما علمه من عدد الضحايا من شهداء قواتنا .

ثم سافر الرجل إلى عدن وهناك عقد مؤتمرا صحفيا تحدث عن الموقف فى اليمن مؤكدا سيطرة الجمهوريين على كافة مدن اليمن .

وقد أدى المؤتمر الصحفى الذى عقده غرضه ، إلا أنه حرم من دخول المملكة العربية السعودية فلقد اعتبرته السعودية منحازا للجمهورية .

وكما قرأت فى الصحف فإن رالف بانش قد قابل الرئيس جمال عبد الناصر بينما الرئيس كنيدى قد أرسل سفيره السابق فى الهند مستر بانكر إلى المملكة العربية السعودية ، ثم انتقل إلى القاهرة وقابل الرئيس جمال عبد الناصر ليبحث صيغة الانسحاب من اليمن مع الحفاظ على النظام الجمهورى .

لقد تسربت هنا أنباء عن احتمال اتفاق . كانت بشرى لمواطنى مصر ، وهو وقف المساعدات تماما عن الملكين من جانب السعودية وإعطاء الدليل على ذلك بإخراج الامام البدر من السعودية .

وكانت شروط السعودية هى الانسحاب من اليمن . وكان موقف السعودية يتمشى مع رغبتها فلقد وافقت على الشروط المصرية وطلبت فعلا من الامام محمدالبدر مغادرة السعودية ، هنا حدث ما كان متوقعا ، أن الطرف الجمهورى والطرف الملكى غير راغب فى الاتفاق ، بل أن هناك بعض القيادات المصرية غير راغبة فى مثل هذا الاتفاق .

إن حرب اليمن كانت كنزا عظيما لأطراف كثيرة ، أن الرئيس السلال مثلا رجل ذكى وقد صرح فى جلساته الخاصة بأنه يرفض جلاء القوات المصرية من اليمن وسيعمل على إيقاف الاتفاق . والامام البدر صرح علنا بأنه لن يأمر قواته بالتوقف عن القتال ، وشيوخ القبائل يرفضون وقف القتال مع الجمهوريين ما دامت مصر تدفع ، وأكثر من قائد عسكرى مصرى ضد هذا الاتفاق أيضا .

مثلا . . لواء . . قائد محور فى اليمن عندما سمع نبأ قرب الاتفاق ، كان الرجل واضحا لقد ضرب كفا على كف وقال . . وكيف أنتهى من بناء الفيلا ؟

فحرب اليمن - زوجتى - قد شكلت من كافة الأطراف طبقة مستفيدة ومستعدة للتآمر ، للاغتيال ، حتى لا يتوقف القتال ، أو بالأصح لا يتوقف سيل الذهب القادم من السعودية وسيل الفضة القادمة من مصر .

أقول لك أن الرئيس جمال عبد الناصر صادق فى الانسحاب . . وأقول لك أن الأمير فيصل صادق فى وقف المساعدات عن الملكين .

وأقول لك أن رالف بانش ويوثانت والأمم المتحدة ، كلهم يرغبون فى وقف القتال وانسحاب القوات المصرية .

إلا أننى أقول لك أن هذا لن يحدث ، فأن الذين يأمرون بالضغط على

الزناد لا يرغبون . أن السعودية قد وافقت ـ كما أعلن الراديو ـ على السلام . ومصر أعلنت الموافقة أيضا . والأمم المتحدة قررت إرسال قوات الطوارىء بقيادة كارن فان هورن ، ولعلمك لقد طلب الرئيس جمال عبد الناصر من السكرتير العام للأمم المتحدة إرسال هذه القوات بالسرعة الممكنة . لذلك فلقد شكلت هذه القوات من قوات الطوارىء الموجودة فى غزة وشرم الشيخ ، على الحدود المصرية الفلسطينية ، حتى تصل على وجه السرعة وقررت مصر والسعودية تحمل نفقات هذه القوات أثناء وجودها فى اليمن ، وذهب السفير الأمريكى السابق بخريطة لوضع قوات الجانبين وإيجاد الشريط لتعسكر فيه قوات الطوارىء الدولية .

وجمعنا الجنود المصريين وأصدرنا إليهم أوامر بعدم الاحتكاك بقوات الطوارىء الدولية وتقديم كافة المساعدات لهم فى حالة طلبها كما طلبنا منهم المحافظة على حياتهم فى حالة حدوث أى اشتباك ، فهم رسل السلام ولا ذنب لهم فى هذا الصراع الدامى ، على جبال اليمن ، ولأن جنودنا فقراء شددنا عليهم بعدم طلب أى شىء منهم ، وأخبرناهم أنهم فى اليمن بناء على طلبنا وبأموالنا ، وهمس فى أذنى أحد الأصدقاء قائلا :

أموالنا . . ماذا تكفى ؟ .

نعم . . هم عندنا هنا بأموال هذا الشعب المصرى الصبور ، صحيح أنها مناصفة ولكنها قسمة غير عادلة .

وهبطت فى مطار صنعاء أول قوة من قوات الطوارىء التى شكلت من قوات الكونغو والعاملة فى ، ثم تبعتها قوات أخرى وهى قوات كندية ويوغسلافية وسويدية ونرويجية واسترالية ونمساوية أيضا ومن نيوزلاندا .

وبدأت هذه القوات تتخذ مواقعها وسط توتر شديد ، وكان جنودنا يشاهدون جنود القبعات الزرقاء بدهشة شديدة ، وكان نفس الجنود التابعين لقوات الطوارىء الدولية فى دهشة من أمر اليمن .

كانوا يشعرون بخيبة الأمل ، وبالحظ الأسود الذى رماهم من السويد إلى جبال اليمن الشمالية وكانت قيادتهم تحاول الترفيه عنهم بشتى الوسائل حتى أن أحد جنودنا جاء يسألنى . . .

ما داموا هنا بأموالنا . . فلماذا لا نعيش نحن أيضا فى اليمن مثلهم ؟

ولم أعرف الاجابة على هذا السؤال وكل ما استطعت أن أقول له : إذهب إلى وحدتك . .

قوات الطوارىء الدولية تعيش فى رعب بعد أن سمعت حكايات اليمن والرصاص الدمدم . . وهو رصاص يستخدمه رجال القبائل ـ القناصون منهم ـ وهو ممنوع دوليا ، فإذا أصاب أحدا ، فإنه لا بد أن يموت ، كما مات بهذا الرصاص كثير من جنودنا ، كما أن قوات الطوارىء الدولية تخاف الخناجر أكثر من خوفها من أى سلاح آخر لأنه السلاح الوحيد الذى يمكن أن يفصل الرأس عن الجسد .

زوجتى . . .

أحيانا أنظر لهؤلاء وأقول ما ذنبهم ؟ ؟

ولكن أراه صراعا مريرا فى كل أنحاء العالم ، على كل العالم أن يتحمله ، وعلى البشر كلهم أن يشاركوا فى أخطاء وغرائز وشذوذ حكام هذا الكوكب اللعين .

وأحيانا أخشى على هؤلاء الجنود من الموت فى اليمن . فإن القبائل لا ترغب فى وجودهم ، لقد تعودوا القتال ، تعودوا المكاسب من القتال ، ولا فرق عندهم بين سويدى أو أمريكى أو مصرى ، أو حتى يمنى المهم أن تظل اليمن مشتعلة أو أن تظل الخزانتان السعودية والمصرية مفتوحتين لحرب اليمن .

نحن لنا موقف سياسى والسعودية لها أيضا موقف سياسى آخر ! . .

وهؤلاء الرجال من القبائل يقاتلون ويقتلون ـ ما هو موقفهم السياسى . . لا شىء . . لذلك فهم يحاربون كل يوم فى إتجاه ، ولن

يوقفوا القتال ، فهو بالنسبة لهم هواية واحتراف ، مال وملء فراغ لن يخسروا شيئا ، إذا كسبوا الحرب فسيخسرون الكثير إذا توقف القتال ، إنى آسف لهذه الرسالة الحزينة ، أكتبها بعد فترة هدوء نسبية ، فلقد علمت خبرا مؤلما اليوم ، أن عدد الشهداء من جنودنا قد بلغ حتى الآن ثمانية آلاف شهيد ، ثمانية آلاف دفنوا فى اليمن وأسرهم فى مصر لا تعرف عنهم شيئا ، أن مشهد الصباح كان فوق ما تحتمله عواطفى ، لقد جاءت الخطابات من القاهرة للجنود ، وضعتها أمامى على منضدة وبدأت أوزعها ، وتجمع الجنود وبدأت أنادى على صاحب الرسالة الأولى وبسرعة الريح كان قد خرج من الصف وخطف من يدى الخطاب ، وأخذت أنظر إليه وهويقرأ الخطاب خارج الصف أو الطابور ، وإذ بدموع غزيرة تنساب من عينيه ، لا أدرى حتى هذه اللحظة لماذا ؟ . . ربما يكون الحنين ، ربما يكون خبرا سيئا ، ربما أى شىء ولكنه بكى ، ونظرت إلى الطابور الواقف أمامى فوجدته مائلا إستعدادا للركض لخطف الخطابات ، وناديت على الثانى وركض وبدأ يقرأ الخطاب ، وإذا به ينهار ويبكى بصوت عال لقد مات إبنه الذى ودعه وكان عمره عامين ، ثم ناديت على الثالث ، وأعطيته رسالته ، فوضعها فى جيبه دون أن يقرأها ، وعندما سألته عن السبب قال لا أريد أن انهار كما انهار أصدقائى لا يمكن أن تكون هناك أخبار سارة من القاهرة . إننى أرعى أسرة كبيرة ، وهذه الأسرة تضيع عندما أغيب عنها وناديت على الرابع . . ولم يرد أحد . . ونظرت فى وجوه الحاضرين . . ورفعت صوتى أين العسكرى محمد . . محمد استشهد . . محمد استشهد . . كان مرحا . . ضاحكا . . وكان قد كيف ظروفه على هذه الحياة القاسية ، كان فى العشرين من عمره . . زهرة ناضرة . . اختطفت وتماسكت . . الرسالة الخامسة . . أستشهد يا أفندم . . والسادسة نزل أمس إلى القاهرة بعد أن فقد بصره وساقه اليمنى .

نعم . . نزل إلى القاهرة بعد أن فقد بصره وساقه اليمنى . . ولم أتمكن من توزيع الرسائل وطلبت أحد الجنود ليوزع الرسائل ، لقد شاهدته صباح أمس وسأقول لك بصراحة ، كان المفروض أن أكون اليوم في القاهرة استطعت أن أحصل على تصريح من القائد لمهمة في القاهرة ، لم تكن المهمة سوى إنزال بعض ما اشتراه القائد من عدن عن طريق أحد التجار ، وقبلت هذه المهمة لأراك وأرى ولدى وأسرتى وذهبت إلى مطار الرحبة وجاءت السيارة الروسية تحمل جهاز اللاسلكى لانزال الطائرة الأولى ووصلت الطائرة ، واندفع بعض الضباط داخل الطائرة ، وجاء الجرحى ، لم يكن لهم مكان على هذه الطائرة ثم اقلعت في طريقها إلى القاهرة وجاءت الثانية وكان هناك عشرات من الجرحى في طريقهم على غير اقدامهم إلى بلدهم ، كان من الممكن أن أركب هذه الطائرة ، إلا انني كنت أمام اختيارين ، أما أن أحد الجرحى لا يركب الطائرة أو أنا ، وفضلت أن يركب مكاني جريح في حالة خطرة ، الكل في حالة خطرة بعضهم يصل إلى مستشفيات القاهرة وبعضهم يموت في الطريق ولكنهم جميعا سعداء لأنهم سوف يدفنون في تراب مصر . وجاءت الثالثة ، وقال القائد لن أسمح بركاب معى . أنا في طريقى إلى الحديدة والطائرة مليئة بالمفرقعات ولن أجازف بأى راكب من صنعاء . وعدت إلى حيث كنت ، وما أن رآنى القائد حتى سألنى عن عدم سفرى وأخبرته القصة كاملة ، قصة الجرحى ، والمفرقعات ، وكان سؤاله . . وأين الصندوق ؟ . .

سيدى كان هناك عشرات التوصيات ، الصندوق في السماء ، على أول طائرة في طريقه الآن للقاهرة . .

وقال . . لقد حاولت أن أخدمك ، لتذهب وترى أسرتك وتوصل الصندوق لبيتى .

وما الحل ؟ .

قال القائد :

سأتصل باللاسلكى لينتظره غيرك ، ثم أضاف . .
وعليك الآن الذهاب إلى وحدتك .

وذهبت إلى وحدتى . . أجمع رسائلك ورسائل أسرتى وأعيد قراءتها واسترجع كل ما كتبته لك ، حتى كان الصباح ، حيث جاء أحد ضباط الأمن ، وجلس معى ، وأخبرنى بالرقم المذهل لشهداء ثمانية أشهر كل شهر ألف شهيد ، ولا أحد يعرف متى يتوقف نزيف الدم على هذه الجبال اللعينة إنها قصة بلا نهاية ، ومحيط بلا شاطىء . . إننى لا أعرف إلى أى مدى إنتصرنا وإلى أى مدى إنهزمنا إنى لا أعرف وإلى أى مدى سيكون إنتصارنا ، وإلى أى مدى ستكون هزيمتنا .

نحن نحارب الآن الغيب ، وفى الغيب ، لا يستطيع أحد أن يحدد لنا عدوا واضحا كما لا نستطيع أن نحدد صديقا واضحا ، الكل يخشى الكل ، والكل يترقب الكل . . والذين ملكوا شن الحرب لا يملكون اليوم وقفها ، والذين يملكون وقفها يريدون لها الدوام والاستمرار ، ويريدون بحور الدماء لكى تستمر بحور الذهب والفضة ، إننى فى حالة من الشك ، إننى أريد مهمة محددة المعالم ومعروفة الأهداف ، لها نهاية كما كانت لها البداية . .

وأنت - يا زوجتى - وسط كل هذا تريدين بيتا فى جاردن سيتى ، وسيارة ، وبعض ما حرمت منه ، وأخيرا - زوجتى - أنت تريديننى أن أحارب من أجل شقة من الحراسة ، والانسلاخ من طبقتى ، وشعبى يجد قوته اليومى بصعوبة ، أنا لن تهون مصر على بكل تاريخها ، أنا لن يهون على نفسى ترابها ، وفتيانها ، الذين يدفنون بالجملة فى هذه الأرض ، لن تهون من أجل سيارة أو طائرة أو بيت على النيل ، وإلا ما الفرق بينى وبين البدر ولواء الصندوق . وما الفرق بينى وبين رجل قبيلة لا يعرف لماذا يحارب ؟ .

لا . . لن أتحول إلى تاجر حرب ، أو ثرى حرب ، سأظل أنا ، مقاتلا مصريا ، يدافع عن مصر ، وترابها وميادئها فى أى مكان وفى كل مكان .

زوجك

• جواب الرسالة الرابعة •

زوجى الغـــائب

آه يا زوجى من رسالتك الماضية ، احزنتنى وارضيتنى فى نفس الوقت . احزنتنى وانا أراكم تتساقطون كأوراق الخريف بينما أنتم فى الربيع . احزننى المشهد المؤلم لتوزيع الرسائل ، وانتظار وصولك ، وانت واقف امام الطائرة .

وارضيتنى لأننا بدأنا نقترب من التفكير فى حرب اليمن ، فانا كنت أراها استنزافا لطاقات مصر بغير فائدة على مصر ، وكنت تراها معركة مبادىء فى سبيل مصر ، انا لا اعارض التضحية من أجل شعب عربى مسلم له تاريخ وحضارة كشعب اليمن ، ولكنى أعترض بشدة أن نموت فى اليمن ، إنها أشبه برب اسرة قتل نفسه لمرض أصاب إبنه فالابن سيشفى يوما ما ، ولكن سيظل دائما فى إحتياج إلى والده .

لسنا أمريكا ذات المصادر والموارد المالية والبشرية اللامنتهية ، نحن دولة خرج الاستعمار من ديارها منذ سنوات قليلة . .

لو تأتى إلى القاهرة لتشهد آثار حرب اليمن فى كل بيت ، لو تأتى لتشهد الطوابير التى تبحث على كسرة خبز ولا تجدها ، لأن مصر فى أزمة إقتصادية حقيقية . وتصور المهزلة الكبرى ، سأل أحد الصحفيين مسئولا مصريا عن الأزمة الاقتصادية فى مصر . فبدلا من أن يجيبه ، سأله :

— أين تقيم ؟

فقال فى الهيلتون . .

— وماذا تناولت فى العشاء أمس ؟ .

فقال الصحفى :

— دجاجة . . وبعض السلاطا .

أ آلله :

كيف تكون هناك أزمة إقتصادية وقد تناولت دجاجة « وسلاطا » بهذه البساطة ينظر المسئول للأزمة الاقتصادية التى تمر بها البلاد ، والناس لا تجد البيضة التى تاتى من هذه الدجاجة .

والناس هنا من شده الأزمة يريدون السفر إلى اليمن ، وكافة وسائل الاعلام تحجب الحقيقة عن الناس فى مصر ، والناس هنا قانعون بما تقدمه لهم أجهزة الاعلام ، والبعض « يفلسف » الأمور ويقول اذا كانت هنا أزمة ، فإن أولادنا فى اليمن فى بحبوحة وهم لا يعلمون أن أولادهم يدفنون فى اليمن ، وتفصل رءوسهم عن أجسادهم .

والعائد من اليمن ، كأنه العائد من « الجنة » أن جريحا كان عائدا من اليمن وخرج من المستشفى بعد علاجه ، ولم ينس أن يأتى ومعه من اليمن « شاى » فاخر وكان معه ٥٠٠ جنيه مصرى وفى طريقه إلى قريته التى تقع على بعد عدة كيلو مترات من شبين القناطر ، نزل من الأتوبيس فى المحطة الرئيسية للمدينة ، وبدأ السير على الأقدام فى طريقه إلى القرية ، وشاهد سيارة لشرطة النجدة فأوقفها ، وركب معهم لتوصيله إلى بيته ومن شدة سعادته بالعودة والسلامة معا ، ومن شدة سعادته بما جمعه من أموال فى اليمن ، أخبر الشرطى والسائق فحاولا أخذ كل شىء منه . . فقاوم . . وقاوم . . وقتلوه وأخذوا منه كل شىء . . واكتشفت الشرطة الجريمة الشنيعة ولم تنشر ولكنها كانت حديث مصر كلها ، وأعدم الشرطى والسائق . فالناس لا تدرى ماذا يحدث فى اليمن ، وشعبنا لم يكن تصدر عنه مثل هذه الأفعال حتى الخارجون على القانون كان لديهم الرحمة .

* * *

زوجى . . .

لا تفكر فيما كتبته فى الرسالة السابقة ، فأنا آسفة ، فلا تهمنى السيارة ولاجاردن سيتى ، ولا شىء . . فقط يهمنى أن تعود سالما من اليمن ، فأنت كل ما أرجوه . ولكن المسألة باختصار . . عندما تموت المبادىء . . تبدأ مظاهر الطوفان . . ويقول كل منا . . خذ بقدر ما تستطيع . . وأتصور أننا نعيش الطوفان ! !

زوجى :

إن الدافع وراء هذه المطالب أن كل من يجد فرصة ينتهزها ، وكأننا فى سفينة تغرق ، لا تصدق ما يحدث هنا . ولن تصدق . لقد وصل أمر المشير مثلا لشركة نصر للسيارات لتسهيل حصولكم على السيارات وخرجت من هذه الشركة مئات السيارات بأسماء ضباط فى اليمن ، وهؤلاء الضباط هم أصدقاء مدير مكتب المشير ، وهؤلاء الضباط كل من فى الوسط الفنى ، المطرب المغمور أصبح رائدا والراقصة أصبحت ملازما ويأخذون هذه السيارات ويقومون ببيعها فى السوق السوداء بضعف ثمنها .

وحرب اليمن ، والقتال على الجبال ، بعيدة كل البعد عن تفكيرهم ، المهم أن « تنتهز الفرصة » وإلا انتهزها غيرك .

فى قاموس اللهجة المصرية ، دخلت كلمات جديدة لم نسمع عنها إلا أثناء هذه الحرب ، وكلها تشير إلى ما وصلت إليه الحالة الداخلية من فساد ، وما وصل إليه الناس من نفاق ، أن أخطر ما قد يقتل هذه الأمة العظيمة هو اختفاء كلمة الحق .

زوجى العزيز . .

إن لديك حسا سياسيا تحسد عليه ، إننى أسمع هنا أن قوات الطوارىء الدولية سوف تغادر صنعاء لأنها لن تستطيع أن تحل المشكلة وأن العالم لا يريد أن يساهم فى حل هذه المشكلة ، والناس فى

دهشة من أمر مصر التى تنفق على قواتها وقوات الطوارىء الدولية والقوات اليمنية وعلى الجانبين .

إن العالم لو أراد أن يحل هذه المشكلة لأمكنه حلها ، ولكن لا أحد يريد حلها . . الكل يريد أن تستمر مصر فى التورط حتى تنتهى تماما .

الاتحاد السوفيتى لا يريد حلا لهذه المشكلة ، فإن الوجود المصرى فى اليمن هو أعظم انتصار له ، كان ذات يوم يريد أن يصل إلى المياه الدافئة واليوم وصل إلى المياه الدافئة والحارة ، ولو خرجت القوات المصرية ، خرج السوفييت من اليمن .

أن الولايات المتحدة الأمريكية تريد أن تظل مصر فى جبال اليمن ، تنفق كل ما لديها من مال وقوة ، حتى يتوقف نبض القاهرة الذى أعطى الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من صفعة فى أكثر من مكان فى العالم .

أن الدول العربية ، على حد سواء ، تريد أن تستمر مصر فى حربها فى اليمن ، حتى تأمن شر التدخل فى شئونها الداخلية ، سواء كانت هذه الدول يسارية أو ملكية ، أو حتى بين بين .

زوجى . .

اليمن . . ثقل كبير على أكتاف هذا الشعب ، ومدخل خطير لمسيرة لا يحمد عقباها ، يكفى أنها أفسدت الأخلاق ، وقد تسأل ما علاقة الأخلاق بحرب اليمن ، وهناك علاقة وطيدة بين الاثنين ، وسأحكى لك ما حدث فى منزلنا فى الأسبوع الماضى .

جاء والدى كعادته للسؤال عنى ، وجاء والدك بعده واجتمع النقيضان ، الرافض والمؤيد ، ودارت مناقشة بين الاثنين حول حرب اليمن . لماذا نحن هناك ؟ وما نهاية هذه الحرب ؟ . . واستمر النقاش ، ولم يتمكن والدك من الدفاع . .

وقال له والدى مداعبا .

أما أنك منساق . . وأما أنك مستفيد ماليا من وجود ابنك فى اليمن . .

وقد تكون دعابة ثقيلة من أبى . . ولكن والدك ـ سامحه الله ـ أبلغ

أجهزة الأمن أن والدى رجل من الثورة المضادة ورأسمالى مستغل ، وأنت تعلم أنه منذ أن وضعوه تحت الحراسة وهو لا يكاد يجد قوته الضرورى . . واعتقل والدى فى فجر اليوم التالى . . وشعرت أن هذه مسئوليتى ، فأنا القاتل والقتيل ، وعجبت من أمر دنيا حرب اليمن ، عجبت كيف يمكن لرجل أن يشى برجل يعلم أنه فى طريقه إلى المعتقل لكلام فى الهواء لن يؤثر . . لرأى . . لمجرد رأى . !

وقررت أن يفرج عن والدى مهما كلفنى ذلك من جهد ، وأنا أعرف صديقة لى زوجها رجل هام فى أجهزة الأمن هذه ، وأخذت ما معى من أموال وذهبت إلى أحسن « جواهرجى » فى القاهرة واشتريت لها هدية ثمينة ، وزرتها ، وتحدثنا فى كل شىء ، ثم تركت لها الهدية ، وكانت مندهشة لتقديمى لها هدية بهذا السعر . .

فسألتنى :

— هل لك أحد فى المعتقل ؟

فقلت لها . .

— والدى . .

— ولماذا ؟ . .

— أبدى رأيا . . مجرد رأى . . عن وجودنا فى اليمن . .

وقالت بثقة :

— سيدق عليك الباب فى الصباح . .

ودق والدى الباب فى الصباح . .

والآن . . أريدك أنت أن تدق الباب . . فى الصباح . . فى المساء . . فى أى وقت . . فإنى أريد أن ألقاك .

● زوجتـك

● ● ●

• الرسالة الخامسة •



صنعاء فى نوفمبر عام ١٩٦٣

زوجتى . .

لو أنى أملك الاختيار ، لاخترت البقاء فى القاهرة لمدة طويلة ، ولكنى مقاتل ، وعلى أن أعود إلى حيث يجب القتال ، شهرا ممتعا بين الأهل والاصدقاء ، نتنسم فيه الهواء الندى ، وبين الناس البسطاء الذين يعيشون فى هذه المدينة الحلوة .

★★★

زوجتى . .

هل أهمس فى إذنك ، لقد أفسدنى كثيرا هذا الشهر ، حتى أن الطائرة عندما بدأت تهبط فى مطار صنعاء ، شعرت وكأنها تدخل اجنحتها فى جسدها وتتحول إلى شبه صاروخ يغوص فى قناة مظلمة تصل إلى مركز الأرض . بلادى - زوجتى - ما أجملها ، وما أرقها ، وسكانها ، وما أكرمهم ، وما أبسطهم .

ونزلت من الطائرة ، ووجدت المشهد القاتل أمامى جرحى ، ومقاتلين فى انتظار السفر إلى القاهرة ، وركبت السيارة إلى صنعاء ، وهناك إلى الغرفة التى يسيطر عليها شبح الموت ، غرفة تخرج رجالا يدفنون فى اليمن .

هأنذا قد عدت إلى الغرفة اللعينة ، واليوم تبدأ حياتى التعيسة ، بين العدو والمجهول والحرب والبارود .

وتركت الغرفة ، بعد أن وضعت امتعتى ، وبدأت السير فى شوارع صنعاء ، اشاهد جنود بلادى وهم فى الاسواق يشترون أى شىء ، ولا أحد يعلم ما إذا كانوا سيعودون إلى بلادهم ومعهم هذه المشتريات . أو ستسلب منهم فى المواقع أثناء القتال .

كدت أختنق فى هذه الشوارع لأن نسبة الاوكسچين فى صنعاء أقل بكثير من نسبة الأوكسچين فى القاهرة ، ورئتى مازالت متعودة على نسمات القاهرة الغنية بكل شىء حتى الأوكسچين .

ثم - بعد هذه الجولة - فى المدينة التعيسة ذهبت إلى مقر القيادة مشيا على الأقدام ، ووجدت مشاهد غريبة فى هذه القيادة ، الرجال هنا مستريحون ، يتحدثون فى أمور خطيرة تكاد تقتلنى بلا أثقال ، وكأنهم فقدوا ردة الفعل ، أو تجمدت أعصابهم .

أى صحافة

كان هنا الفريق أنور القاضى ، وكان الحديث عن قوات الطوارىء الدولية ، وعن شهداء الجبل الأسود ثم جاء صلاح قبضايا الصحفى المعروف لعمل مقابلة مع الفريق أنور القاضى ، وسأذكر لك أهم ما قاله الفريق أنور القاضى . سأله الصحفى :

— ما هى الفوائد العسكرية لحرب اليمن ؟

وقال له الفريق القاضى :

— إذا اعتبرنا حرب اليمن مشروعا قتاليا ، فانه لا يعلم القتال إلا القتال ولذلك فإن هذه الحرب سوف تصقل المقاتل المصرى ليحارب فى أقسى الظروف فى المستقبل . .

زوجتى . .

المشروع باللغة العسكرية هو مناورة ، أو تدريب شاق للجنود ، ثم بعد هذا السؤال سأله الصحفى . .

— وما هو الموقف العسكرى الآن ؟

وقال الفريق أنور القاضى :

— إن رجالنا يسيطرون على اليمن ، والحالة هادئة إلا من بعض المناوشات من هنا وهناك ، وجنودنا يقفون بحزم ضدها .

— وإلى متى ستستمر حرب اليمن ؟

وقال الفريق أنور القاضى :

— حتى يتوقف الطرف الآخر عن القتال . .

وسأله الصحفى :

— كم تكلف قواتنا فى العام الواحد فى اليمن .

وضحك الفريق أنور القاضى وسأله . .

— الست مصريا ؟

— نعم . .

— وأين ستنشر هذا ؟ . .

— فى الصحافة . .

— سيدى . . سأنشر على ورق مطبوع ، يوزع على الناس ، فى يوم ما من الأيام ، قد يكون غدا ، وقد يكون بعد أعوام ، ولكننى يا سيدى لابد أن أنشره ، وأوزعه لكل قراء العربية . .

وضحك الفريق . . وانتهى الحديث . . وخرج الصحفى . . وبدأنا التعقيب .

وسأصف لك أطراف الحديث ، الفريق أنور القاضى ، رجل مقاتل وقائد ممتاز جرىء ، كان على رأس قوات اقتحمت ذات يوم مدن شمال اليمن ، متزوجا وبلا أبناء ، بعد هذه الحرب سيحصل على أجازة طويلة يقضيها هو وزوجته فى رحلة حول العالم ، يحلم بهذه الرحلة ، ويعد لها ، اشترى ماكينات للسينما ، وبعض الأفلام ، حقائب ، وأعد نفسه لهذه الرحلة ، أمله أن تنتهى هذه الحرب ويعود إلى القاهرة ليقود ذات يوم القوات المتجهة إلى فلسطين المحتلة ، يريد أن ينهى حياته العسكرية بانتصار كبير على الاسرائيليين ، بعدها يترك الحياة العسكرية ويعيش حياة مدنية هادئة .

اللواء عبد المنعم خليل ، وقد رقى لهذه الرتبة بصفة استثنائية ويطلقون عليه « رجل الاستراتيچية » هادىء ، يستطيع أن يضع خطة عسكرية لا يضعها إلا كبار العسكريين فى العالم ، لا يتحدث كثيرا ، وإذا تحدث ابتسم حتى فى أحلك الأوقات ، متزوج من سيدة مثقفة فاضلة وله أسرة صغيرة مكونة من ثلاثة أفراد ، رغم صغر سنه ، ألا أنه يشعر أنه أب لكثير من أفراد هذه القوات المنتشرة فى اليمن . .

ضابط ، لا أذكر اسمه حاليا ، فى الأربعين من عمره ، مهمته ارسال الجواسيس من عملاء القوات المسلحة المصرية إلى مراكز اليمنيين ليأتوا بأخبار عن تحركاتهم ، أثرت فيه حرب اليمن ، فهو لا يقاتل ، ولكنه يتلقى الكثير من المعلومات ، وهو أول من أطلق على هذه الحرب ، حرب « ت ـ ح » أى حرب تحسين حالة ، أى انها الحرب التى يأتى إليها يحسن حالته المالية .

العميد محمد أحمد قاسم رجل خفيف الظل ، لم يتزوج ، اشقر ، ورغم ذلك كأنه ولد فى اليمن ، وهو ضابط القبائل ، يذهب إلى القبائل ليتفاهم معهم ، ويعيش حياتهم ويعرف اسرارهم ، يقدم لهم « هدايا المشير » وهى عبارة عن آلاف الريالات من الفضة حتى لا يهاجموا القوات المصرية أو يفصلوا الرؤوس عن الاجساد . . متى تنتهى حرب اليمن ، أو حتى لماذا نحارب فى اليمن ، ولقد أدى هذا الرجل خدمات جليلة للقوات بما له من صلات مع رجال القبائل . .

والطرف الأخير فى هذه الأطراف . . أنا . . كما تعلمين زوجتى . . مقاتل فى اليمن . . لا يهمك من أمر رتبتى شىء . قد أكون جنديا . . وقد أكون قائدا . . لا أنا ـ كما تعلمين ـ لست قائدا ، أنا مثلى ، مثل هؤلاء الآلاف المنتشرين على جبال اليمن ، أنا مصرى ناصرى ، ترك زوجته وولده وجاء إلى اليمن ، ليحقق مبادىء يؤمن بها ، وعاش شهورا فى اليمن يقاتل ، ولم يفقد إيمانه بالمبادىء ، مرت عليه حالات شك فيما يؤمن إلا أنه يبحث دائما فى هذه القرية عن مبرر لوجوده ، أنه يؤمن بالوجود فى اليمن .

وبدأ الحوار بعد خروج الصحفى . . وكان أول من تحدث الفريق . .

— ماذا يحدث فى مصر . . لو علم الناس مجريات الأمور فى اليمن ؟

ورد أحد الحاضرين :

— لن يحدث شىء .

وعندما سئل لماذا ؟ قال :

— شعبنا قانع . . بكل شىء . . وأى شىء . .

فرد أحد الحاضرين :

— لا . . لقد تحمل شعبنا كثيرا . . وقاوم كثيرا . . إلا أن الأجهزة كانت أقوى منه . . والانسان . . أى إنسان لديه قدرة تحمل .

وقال آخر

— تحمل إلى درجة أنه أصبح جالية داخل بلده . .

أن آخر نكتة تقول . . نحن الجالية المصرية فى الجمهورية العربية المتحدة نؤيد حرب اليمن . .

وحسم الفريق أنور القاضى النقاش . . بسؤال عن الشيخ الغادر

ـ العميد محمد أحمد قاسم . .

سوف نذهب إليه فى الجبل الأسود بعد غد .

زوجتى . .

وكنت مع العميد قاسم فى الرحلة إلى الشيخ الغادر ، طبعا لم يذكر اسمه فى صحف القاهرة ، أن كل مقاتل هنا يعرف الشيخ الغادر ، إنه فى نظرى حقيقة اليمن الوحيدة . فهو وحده أكد ان الصراع فى اليمن ، هو صراع بين مصر والمملكة العربية السعودية ، وان المسرح هو أرض اليمن ، وهذه القوات تحارب فى البداية فى صفوف الملكيين نظرة للعطاء السخى الذى يقدم إليهم من السعودية وفى نفس الوقت عندما تتوقف السعودية عن العطاء يبدأ الشيخ الغادر معنا .

والشيخ على الغادر من أخطر رجال القبائل ، بل أنه أخطرهم على الاطلاق ، وان مجرد ذكر اسمه بين القوات قد يثير الرعب ، وكثيرا ما كان فى أيدينا ولكننا لا نستطيع ان نقول له شيئا ، فإنه ذكى ، وأنه أحيانا ما يكون همزة الوصل بين الملكيين والجمهوريين ، وكثيرا ما باعنا لهم ، وكثيرا أيضا ما باعهم لنا ، واستطاع ذات مرة أن يقيم فى بيته ضابط مصرى موفد من المشير وأن يضم الأمير عبد الله الحسن ، ولا أحد يدرى منهما بوجود الآخر ، كان يفاوض الأثنين فى وقت واحد .

وبدأنا الرحلة بعد الغداء .

القافلة مكونة من سيارة نصف لورى ، نجلس ثلاثة فى المقدمة ، العميد محمد أحمد قاسم ، والسائق وأنا ، وتتقدمنا سيارة مصفحة لحمايتنا من « ركاب الجبال » وسيارتنا بها فى الأسفل حمولة ثقيلة هذه الحمولة هى « الهدية » . . وهى عبارة عن ريالات يمنية فضية سيقوم

العميد قاسم واللواء عثمان نصار قائد المحور الشمالى بأخذها إليه فى صباح اليوم التالى واهدائها للشيخ على الغادر .

وسألت العميد . .

— كم تبلغ قيمة الحمولة التى نحملها . .

وقال الرجل . . بعد ان تنفس تنفسا عميقا . .

— ٢٥٠ ألف ريال . .

— وكم تبلغ قيمة الريال .

— له سعران . السوق السوداء وصل الريال إلى جنيه . . وسبب ارتفاع سعره أن اليهود فى عدن يشترون الريال اليمنى لأنه من الفضة الخالصة ، استعدادا للرحيل من عدن . . ولكن السعر الرسمى فإن الجنيه بريالين ونصف . .

— ألست معى أن المبلغ كبير . .

وقال العميد محمد أحمد قاسم . .

— كبير . . أنه جزء . .

أن الغادر شيخ قبائل بكيل ، انه ساحر ، يأمر قواته ان تقاتل فتقاتل ، لايهم من تقاتل ، يستطيع ان يوجه هذه القبائل كيفما يريد . . يعتبر هذا المبلغ وسط اتفاقات اليمن مبلغا زهيدا جدا . .

— وكيف تم الاتصال به ؟

— عند الجبل الأسود . . رجل اسمه الشيخ طلوعى وهو يلتقى باللواء عثمان نصار وبينهما صداقات ، والشيخ طلوعى يرتب هذه المقابلات .

— ومتى سيكون الموعد ؟ .

— نحن سنقضى الليلة فى الجبل الأسود . . مع اللواء عثمان نصار . .

— إلى أى مدى أنت مؤمن بالحرب فى اليمن . .

— يا سيدى غ .

— ومتى ستنتهى . .

— ياسيدى . .

وكم قتل من شبابنا .

— أسمع . لا أريدك أن تلقى على الكثير من الاسئلة ، دعنى لا أفكر فإن الفكر فى هذا الزمان هو آفة البشر . . المهم أننى فى طريقى إلى رحلة ، ومعى هذه الأمول ، وعلى أن اقدمها للشيخ الغادر ثم أعود إلى صنعاء . يكون الغادر قد انضم إلى الجمهوريين ، وجمهر بالتعبير الشائع هنا ، أو على الأقل أوقف هجماته على قواتنا فى اليمن ، فلا يدفن من شبابنا الكثير . .

وساد صمت طويل . . ولا أدرى - زوجتى - ما إذا كان يفكر فيما طرحته من أسئله . . أم ماذا ؟ . . ولكنه قطع فترة الصمت قائلا :

— تصور اننى أخشى على نفسى بقية حياتى . . لقد انقذنى الله فى اليمن ثلاث مرات . . ولكى سوف انسى أيامى وعندما أعود إلى القاهرة شأشرب حتى الثمالة ، وأقامر ، وأعيش فى غيبوبة كالموت . .

— لكننا تعرضنا هنا للموت . . وأنقذنا الله . .

— لا . . موتى كان من نوع آخر . لقد كان بالسم .

— بالسم . . كيف ؟

— نعم بالسم . . هى عادة قبلية . . لأنى ضابط شئون القبائل ، فلا بد أن أقبل دعوتهم على العشاء . . ومن كثرة عملى أصبحت معروفا لدى الملكيين ، وأرادوا قتلى . . وفى إحدى العزائم دسوا السم لى فى الطعام وعدت إلى صنعاء . . وحرارتى مرتفعة . . وبعد دقائق تحول جسدى كله إلى حبيبات حمراء وكأنى قد أصبت بالحصبة ، ولو أن الاطباء فى صنعاء قد مرت عليهم هذه الحيلة ، لكنت فى عداد الشهداء غسلوا لى المعدة ، ونقلوا لى الدم ، وأعطونى أكواما من الادوية ، ونقلت إلى المستشفى وعدت لوظيفتى اللعينة كضابط شئون القبائل . . وتكررت المأساة أكثر من مرة . . ولكنى كنت أشفى أسرع ، ربما لأن جرعة السم الأولى قد جعلت عندى مناعة . وربما أصبحت خبيرا فى طعم السم .

أشفقت عليه ، أنه يسرد الحكاية بشكل روتينى . وكأن الموت فى اليمن أصبح بالنسبة له كالطعام والشراب والتنفس . . ورغبت فى تغيير الحديث .

— لماذا أنت الضابط الوحيد الذى يحمل عصا دائما معه .

— هل أقول لك ولا تخبر أحدا . .

— نعم . .

لأننى أتحدث معها كل مساء . ياعصاتى . . وإلى أين أسير ؟ يا عصاتى العمر قصير . . والقتال فى اليمن مرير . . والعدو فى مصر على السرير . . وضحكت . . وضحكت طويلا . وضحك معى . .

— أنت تقول شعرا .

— أنا لا أعرف الشعر . . إن رجلا آخر فى الجبل الأسود هو الذى كان ينشدها ويضع ما يريد من بدل . . يا عصاتى .

غريب أمر هذا السائق الذى يقودنا إلى الجبل الأسود ، لا يضحك ولا يتكلم ، ولا يبتسم ، ولا ينظر إلى اليسار أو اليمين ، آلة تقود السيارة وحاولت أن أخرجه من صمته . .

— ما أسمك ؟ .

— محمود . .

— من أين ؟

— من أسيوط . .

— متى تعود إلى أسيوط يا محمود . .

— غير واضح . .

— هل تحب البقاء فى اليمن ؟ . .

— لا . . فى أسيوط . .

— هل لديك مشاكل ؟

— . . . .

لا شىء يهم . .

ووصلنا إلى الجبل الأسود . . ويبدو أن اللواء عثمان نصار كان

يرصدنا من بعيد ، إذ أنه كان فى انتظارنا على باب موقع قيادة المحور الشمالى . . وقال على الفور . .

— لماذا تأخرت يا قاسم ؟

واللواء عثمان نصار شخصية نادرة الوجود ، أنه لا يكف عن الضحك انك تستلقى على قفاك من الضحك من كثرة نوادره ، وكل نوادره عن القتال فى اليمن . . وأمر الجنود بتفريغ الأموال الفضية الثقيلة التى وضعت فى أكياس وحمل كل اثنين كيسا واحدا ووضعوها كأكياس الأسمنت فى غرفة القائد ، ثم أمر أحد الضباط وقال له :

— أذهب وأحضر الشيخ طلوعى . .

— اليوم أنتم محظوظون . . فإن الألغام قد أتت بثلاث عنزات . . وسنأكل العنزات الثلاث حتى نموت . . ان الموقع محاط بالألغام ، وكثيرا ما تشرد العنزات وتسقط فى حقل الألغام ، فيخرجون منها الشظايا وتكون وليمة فى المواقع البعيدة عن صنعاء ، لأن ولائم صنعاء من القاهرة بالطائرة رأسا .

وجاء الشيخ طلوعى ، رجل طاعن فى العمر ، نحيف القوام ، صلب العود ، أبيض اللحية ، له ابتسامة ثعلب ، وعينا صقر . وقال له اللواء عثمان نصار :

— لقد وصلت الفضة .

فقال الشيخ طلوعى :

— غدا سيأتى رسول من الغادر . . ولا بد أن نتناول الغداء فى دارى تكريما للعميد قاسم . .

وقال لى العميد قاسم :

— ان شاء الله .

فرد اللواء عثمان نصار :

— وأين الذهب ؟ . .

— موجود . .

وأخرج الشيخ طلوعى كيسين بداخلهما جنيهات من الذهب .

ووضع أمامنا هذه الجنيهات الذهبية وبدأ يعد ألفين من الجنيهات . .
ووضعها جانبا ثم بدأ يعد أكياس الفضة ، وأخذ الشيخ طلوعى المبلغ هذا وحمله فوق ظهره وذهب بالفضة . .
وبدأنا العشاء . . عنزات الألغام . .
وذهبت أخلد للنوم فلقد كانت رحلة شاقة فى كل شىء . . وجاء الصباح ، وسألنى اللواء عثمان نصار :
— هل استطعت أن تنام ليلة البارحة ؟ . .
— نعم . .
— لقد حدثت معركة استمرت طوال الليل . .
— من كثرة ما حضرت من معارك أصبح لدى القدرة على النوم رغم أنغام البارود . .
واستمر الحديث حتى اقترب موعد الغداء عند الشيخ طلوعى . . وركبنا سيارات الجيب فى الطريق إلى الجبل الذى يقيم فيه الشيخ طلوعى . . كان بانتظارنا عند سفح الجبل . . وصعد الرجل أمامنا بسرعة لم أتمكن أنا الشاب من مجاراته فيها ، ووصلنا ألى قمة الجبل حيث يوجد مسكن . . ودخلنا . .
وجاءت صينية عليها قطع من اللحم وتحت اللحم شىء ما لاأدرى حتى هذه اللحظة ما هو ، تقدم الشيخ طلوعى وضرب يده فى كل قطعة لحم ، ثم وضع يده تحت قطع اللحم وأدارها فى كل الغذاء ثم ذاق الطعام . .
وقال لى العميد قاسم :
— انه يأكل أولا من كل مكان ، ومن كل قطعة لحم ليؤكد لنا أنه لا يوجد سم فى الطعام - آه - يا زوجتى - السم . . وتذكرت حديث العميد قاسم ، وسألت نفسى ، وما شأنى بهذا كله . . لماذا قبلنا الغداء ، لماذا نضع السم فى أفواهنا كارهين وبأيدينا ؟
. . وبدأت فى تناول طعام مشكوك فى انه ممزوج بالسم . . وحاولت ان أبلعه . إلا أننى لم أتمكن رغما عنى . . بل وكدت أن أعيد إلى

الخارج كل ما يحتويه جسدى . . وشعرت بعرق بارد يتصبب من جبينى لماذا لا نموت فى اليمن إلا بالسم والخنجر أو رصاص الدمدم ، لماذا نضرب دائما من ظهورنا ، ثم لماذا نقبل الاستمرار فى هذه الحلقة المفرغة ؟

وانتهت حفلة « السم » . . وبعد ان انتهينا من الغداء . . قال الشيخ طلوعى . . الآن الغادر فى انتظارنا . .

— أين ؟ .

— على مقربة من هنا .

وأمر عثمان نصار بعض الضباط الذين حضروا أن يذهبوا والعميد قاسم لاحضار شحنة الفضة ، وانتظرنا فى سفح الجبل . . وعلى الفور قام الضباط ، وجلسنا قليلا ، ثم بدأنا نهبط الجبل فى الطريق إلى السفح فى انتظار سيارة الفضة ، وجاءت السيارة بعد قليل وبدأت القافلة تسير ، والقافلة مكونة من مدرعة ، ثم سيارة اللواء ، ثم سيارتنا ثم سيارة الفضة ، ومدرعة أخرى للحراسة . سرنا خمسة كيلو مترات فى طريق وعر ، ثم همس فى أذنى العميد قاسم قائلا :

— نحن الآن فى عرين قبائل بكيل . . أن طلقة واحدة تكفى لأن تشتعل هذه المنطقة كلها بالنيران ، لقد أعد الشيخ طلوعى هذا اللقاء ، وكان اللقاء فى عرينهم ، انهم يخشون دائما الغدر ، انظر حولك على قمم هذه الجبال لتعلم أين نحن الآن . .

ونظرت إلى الجبال حولى إنها اشبه بأشجار الخريف التى أمتلأت بالغربان السود . آلاف يقفون فوق القمم ، يحملون البنادق فى أيديهم ، ونحن نسير فى الوادى تحت رحمة نيرانهم . .

سرنا حوالى ساعة . . ثم وقفت المدرعة ، ووقفنا ونزل الجميع . . وإذا بنا فى العراء . أو فى دائرة سهلة تحيط بها الجبال من كل اتجاه ، لا يوجد سوى حائط من الحجارة ، ولا أدرى ما هو هذا الحائط .

ووقفنا جميعا تحت رحمة نيرانهم ، وبعد دقائق طويلة وجدنا من يهبط الجبال ، واقترب الهابطون ، رجل نحيف ، متوسط الطول ، رجل

ذو ذقن رمادية ، حافى القدمين ، يربط فى خصره خنجرا ، وفى يده اليسرى بندقية ، وخلفه ما لايقل عن خمسين رجلا . . واقترب أكثر . . وقال لى العميد قاسم . . ها هو ذا الغادر ؟ . .

واقترب الرجل أكثر . . وها هو ذا أمامنا ، رجل غير عادى ، وأكثر ما يميزه عينان صغيرتان صادقتان وحادتان فى نفس الوقت ، هادىء الأعصاب كأنه يعيش حالة ثأر دائمة . . وصافحنا وحده ، ولم يصافحنا أحد . . ثم أخذ اللواء عثمان نصار إلى ناحية بقايا الحائط الحجرى . . ثم دار همس طويل . . ثم طلب منا اللواء المشاركة . .

قال عثمان نصار :

هل تعلم أن لدينا طائرات ، ومدافع ، وقنابل ، ومتفجرات ، ورجالا لا يفنون . .

وقال الغادر :

أعلم . . ولكن رجالى لا يعلمون . .

وقال اللواء . .

— هل تعلم اننا نستطيع أن نحارب إلى ما لا نهاية هنا فى اليمن . . وقال الغادر .

ورجالى لا عمل لهم ألا الحرب . .

وقال اللواء عثمان نصار . .

— لماذا لا نبنى بما ننفقه المدارس والمستشفيات . .

وقال الغادر :

— أنا أعلم معنى ما تقول . . ورجالى لا يعلمون معنى مدرسة انهم يحاربون « الجمهورية » لأنها فى نظرهم امرأة . .

وقال اللواء عثمان نصار :

— ألم تحاربوا الأمام من قبل ؟

قال الغادر كثيرا .

قال اللواء :

— إذن لماذا تشنون الحرب اليوم على الذين يحاربون الامام ؟

قال الغادر :

— لأننا نريد ذلك .

قال اللواء :

— ومتى تتوقفون ؟

قال الغادر :

— ومتى تلبى جميع طلباتى وأقابل عامر . .

ثم أضاف الغادر :

— سوف يتوقف القتال شهرا أقابل فيه عامر وتكون مطالبى قد تحققت وصافحنا . . وذهب مع الرجال إلى قمة الجبل . . وتركنا له الفضة واتجهنا إلى الجبل الأسود ، وعدنا إلى صنعاء فى الصباح .

وكانت هذه الرحلة ، هى نقطة تحول فى كل أفكارى . . نقطة تحول خطيرة . .

وقبل أن أقول لك إلى اللقاء ، أرجو أن ترسلى كل ما ترغبين فيه من اليمن ، وأسواق اليمن حاليا ، أصبحت عامرة إلى حد بعيد . .

زوجك



● ● السلال يخطب . . والمشير عبد الحكيم عامر يفكر . . وانور السادات يستمع . . وفى الصورة الفريق انور القاضى . . والمناسبة الاحتفال بالذكرى الثالثة لثورة اليمن . .

● جواب الرسالة الخامسة ●

القاهرة فى أول فبراير عام ١٩٦٤

زوجى العزيز . .

وصلتنى رسالتك وكنت أفكر فى أعياد رأس السنة ، وتذكرت أنه منذ سنوات لم نقض معا هذه الاعياد ، تمنيت أن تبقى حتى نقضيها معا ، لأننى سئمت رؤيتها فى الأفلام والتليفزيون والصحافة ونسيت ممارستها الا أن هذا العام سوف أذهب إلى منزل إحدى صديقاتى لأقضى هذا العيد .

رسالتك هذه تنقلنى بحق إلى مناخ اليمن ، والآن عرفت ما معنى الغادر وحاشد وباكيل ، والقتل بالسم والخنجر ، وتحسين الحالة ، والجبل الأسود ، وأكاد أكون صديقة لكل ما ذكرتهم لى فى رسالتك وهذا قدرنا أن يكون اللقاء فيما بيننا دائما على ورق وعلى بعد مسافات طويلة . .

ولقد سعدت بأنك قررت أن تلبى لى مطالبى من اليمن ، أخيرا أصبحت « رجلا من رجال العصر » ، فأنا ما أريده سبق وكتبت لك عنه ، فلو أنك تذكر رسالتى ، تذكرت ما أريده ، وسأضعك فى هذا الامتحان .

وأريد أن أقول لك كم يكون ابننا سعيدا وهو بجانبى فى سيارتنا الجديدة نطوف معا شوارع القاهرة نذهب إلى أفخم النوادى ، نذكر هذا جيدا وأنت تحقق لى ما أريده . وتطل هذه الأسرة على مصنوعات القرن العشرين فى أسواق اليمن ! . .

شهرا جميلا رائعا قضيته معك فى بلادنا المسالمة الحالمة الهادئة الصبور التى لا تعرف الكثير ، شهرا سأحلم به حتى تعود مرة اخرى ونعيشه بعيدا عن الجبال والقتال ، وبين أسرة صغيرة ، وعالم جميل .

زوجى . .

أعلم أنك تريد دائما أن أكتب لك عن اليمن فى القاهرة ، كان بودى ان تكون رسالتى لك عن غير هذا الموضوع ، ألا أننى أعلم انه كل حياتك ، وما يحدث فى القاهرة يؤثر تأثيرا مباشرا على طلقات الرصاص فى جبالكم اللعينة .

فى ديسمبر الماضى ، وصلت إلى ميناء الطور فى سيناء أول قوات عائدة من اليمن على ثلاث بواخر مدنية تابعة لشركة الملاحة البحرية التى أصبحت تعمل على خط الأدبية الحديدة فقط . وذهبت مع آلاف ، بل ملايين المصريين إلى مدن القناة لاستقبالهم ، فهم سيسيرون فى القناة حتى بور سعيد حيث يقام لهم احتفال كبير . .

وبين الكتل البشرية وقفت أنظر إلى البواخر الثلاث وهى تعبر القناة ، والناس تهتف لها ، تهتف لهؤلاء الذين أنقذهم الله من الموت فوق جبال اليمن .

لقد شاهدت يوم ٢٢ ديسمبر عام ١٩٦٣ مصر وهى تحتضن برفق أبناءها العائدين من حرب قاسية لقد شاهدت مصر وهى تبكى وكنت أبكى معها ، فرحة بعودة هؤلاء وحزنا على استشهاد الآخرين .

خرج الفقراء البسطاء فى قوارب صغيرة ، يلقون على الجنود بالفواكه والورود على طول الطريق من مدينة السويس إلى الاسماعيلية

والقنطرة حتى بور سعيد . .

وفى بور سعيد ، كان الرئيس جمال عبد الناصر فى استقبالهم ، وكان لقاء حارا بين الزعيم والجنود العائدين ، وكنت على مقربة من هذا المشهد .

ليس سرا أننى أشعر بحب شديد لهذا الرجل عندما أراه ، وأرفض الكثير من أعماله عندما أناقشها . .

لن تصدق أن قلت لك أننى كنت أنظر له بإعجاب شديد رغم اننى أعرف خفايا اليمن .

* * *

وفى المساء وقف الرجل يخطب فى الجماهير ، وشعرت انه يفقد السيطرة على نفسه عندما يرى هذه الجماهير . لقد تحدث طويلا ، تحدث عن اليمن ، وثورة اليمن ، وانجازات ثورة اليمن ، ثم تحدث عن فلسطين ، ومحاولة اسرائيل تحويل روافد نهر الأردن بالقوة ، وقال إنه لا بد من منع اسرائيل من تحويل روافد نهر الأردن بالقوة ، أيضا وفى سبيل ذلك . لابد من انعقاد مؤتمر للقمة .

ولم نكن نتصور أن القادة العرب سيقبلون اجتماعا للقمة ، واخذت أرسم صورة لشكل هذا اللقاء . .

كيف يلتقى عبد الناصر والرئيس السورى أمين الحافظ ، ولقاء السلال بسعود ؟ ولقاء الملك حسين بعبدالسلام عارف ؟ . .

وتمت الموافقة على قمة عربية فى القاهرة ، وخرج الشعب المصرى ، ربما ليشهد هذا اللقاء المثير، أكثر من ترحيبه بزعماء الدول العربية . .

كان الرئيس جمال عبد الناصر بالأمس فقط يؤكد « اننا لن نحكم من خلف أسوار الحريم » مستمرا فى معركته الساخنة مع الملك سعود ، ونزل الملك من الطائرة يمسك عصا فى يده ، ويكاد لا يرى أمامه ، وأشفق يومها الشعب المصرى على هذا الملك ، فهذا الشعب ـ زوجى العزيز ـ يصعق عندما يرى عزيز قوم ذل .

وجاء الملك حسين ، وأثار اعجاب الناس لا أحد يدرى لماذا أثار اعجابهم . .

ونزل أمين الحافظ . . وكان مشهدا مضحكا حقا لقد دفع بصره وصدره إلى أعلى وهو يصافح عبد الناصر كان الملك سعود قد فقد في المملكة السعودية سلطاته ، فقد كل شيء هناك ألا الاسم وأصبحت كافة الأمور في يد الأمير فيصل .

والملك حسين جاء ليفتح صفحة جديدة في القاهرة مع الرئيس جمال عبد الناصر . .

وأمين الحافظ قالوا له أن جمال عبد الناصر يصافح بطريقة معينة يبدو فيها المصافح كانه ينحنى له ، وسمعت بعد ذلك أنه قام بهذه التجربة عشرات المرات قبل حضوره إلى القاهرة وكانت القمة مهمة لكل ملك . ولكل رئيس

كانت القمة - للسلال - مثلا - الحصول على الشرعية العربية .

وكانت القمة لعبد الناصر محاولة لانسحاب كريم من اليمن .

وكانت القمة للملك سعود محاولة لاستعادة قوته في السعودية . وكل هذا تحت مظلة الاستعداد لمعركة عسكرية ضد القوات الاسرائيلية .

واجتمع الملوك في القاعة المستديرة الحمراء في الجامعة العربية تحت جدول أعمال ، وجاء الخبراء . المهندس أحمد سويلم يتحدث عن تحويل نهر الأردن ، الفريق على على عامر يتحدث عن القوات المسلحة العربية وامكاناتها ، ولكن في المحادثات الثنائية يحاول كل انسان ان يحقق ما يريد دعما لوجوده ودعما لسياسته .

ولكن . مصر لم تجد من تحاوره في القمة الأولى . الملك سعود لا يملك أن يتحدث حتى باسمه شخصيا ، لا يستطيع ان يوقف أو يستمر في حرب اليمن .

وانتهى الاجتماع . . وذهب كل ملك ورئيس إلى حيث جاء . . واستمرت حرب اليمن .

زوجى .

هل تصدقنى عندما أقول لك انى اشفق على عبد الناصر ، اشفق عليه من كل شىء ، انه يتصور انه يصنع الصحيح ، وانه يريد وقف الدم فى اليمن وانه يريد لشعب اليمن كل حرية واستقرار . . ولكن دائما تأتى الرياح بما لاتشتهى السفن .

آه . . لو أخذ الرأى . . آه لو سمع النصيحة . . آه لو انتظر حتى يعلم ما يدور فى اليمن . . آه لو علم طبيعة قبائل اليمن . . وجبالها . . آه لو قرأ تاريخ اليمن . . لما دفعنا فى اليمن . . نبيل الوقاد وعلى مراد ، وسليمان ، وعبد الله ، ومحمد وعوضين وكل هؤلاء الشباب . . ولما كانت اليوم مقبرة لزهرة شباب مصر . .

آه لو علم قبل ان يقدم . . وآه لو تراجع قبل أن يتورط . . ولكن هذا هو قدرنا .

زوجتـــــــك

● ● ●

• الرسالة السادسة •



صنعاء .. فى عام ١٩٦٤

زوجتى ..

لقد حاولت خلال الأسابيع الماضية ألا أكتب لك حرفا عما رأيته ، لأنك فى الموقف الأكثر خطأ ولأنك فى الموقف المعارض دائما ، ولا أريد أن أناقش معك هذا الموقف ، فلديك الأسباب المقنعة ، وهى أسباب خاصة ولكنى أنظر للموقف من وجهة نظر أكثر اتساعا ، وسأعطى لك مثلا بسيطا ، وهو أنك اذا رغبت فى تناول « البيض » فلابد أن تكسريه ، فما بالك بحماية ثورة ؟ .

ولقد توقفت عن الكتابة لأن ما رأيته كان بشعا الى أبعد حدود البشاعة ، ولكن بنظرة أكثر اتساعا قد نجده عملا ضروريا لحماية الرئيس السلال ، واليك ـ زوجتى ـ الحكاية من بدايتها . .

كما اخبرتك فى رسائل سابقة ، فاننا لم نجد شكلا حقيقيا من أشكال الحكومة ، وساعد على عدم ظهور قوة الحكومة وجود القوات المصرية فى اليمن .

رغم ان قائد القوات العربية ـ وهو أعلى سلطة عسكرية ـ لا يتدخل فى الشئون الداخلية الا فيما يتعلق بأمن القوات المسلحة المصرية .

وأهم الكثير من الأحداث الداخلية ، قرار الرئيس عبد الله السلال تشكيل « جهاز حكومى عصرى » ، أنا أتصورك الآن تبتسمين عندما قلت لك « جهاز حكومى عصرى » . . ولهذا وقبل أن ادخل فى الموضوع أرجو ان أهمس فى أذنك ، أنت تتصورين أنى أعمى لا أرى ، وانى منساق وراء الزعيم ، وأحيانا تشككيننى فى كل شىء . . واننى ادافع عن [illegible] . [illegible] ان ذكرته فى رسائلى السابقة . .

واذا كان من بين سطورها شك فان مرده اننى أكتب لك . .

اليمن ـ زوجتى ـ كانت فى حاجة الى ثورة . . والثورة كانت فى حاجة إلى حماية . . والحماية لا تتوافر الا لدينا . . فهل نترك ثورة دون حمايتها . . مهما كلفنا ذلك من جهد ومال . . وشباب . .

الخلاف بيننا كالتالى :

زوجة اقليمية التفكير وزوج قومى الأمل والتفكير . .

زوجة تنظر للمستقبل القريب . .

وزوج ينظر للأجيال القادمة . .

زوجة تكره الرئيس جمال عبد الناصر دون ابداء الأسباب . .

وزوج ناصرى بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان وفعل وأهداف . .

زوجة متطلعة الى طبقة أعلى . .

وزوج مؤمن بالطبقة التى ينتمى اليها . .

زوجتى . .
هذا التناقض لا أريده . حتى لا أخفى عليك حقيقة واحدة ، ولا تبقى فى روح الانهزامية ، ولا تجعلينى أتصور اننى ادافع عن قضية خاسرة . أعود معك الى أحداث اليمن . . والى « الجهاز الحكومى العصرى » . . فمنذ فترة وفى ١٣ ابريل ١٩٦٣ اجتمع فى العاصمة ممثلون عن معظم انحاء اليمن لمناقشة وضع دستور دائم بدلا من الدستور المؤقت ، وفى نفس الوقت تم تشكيل المجلس الجمهورى برئاسة اللواء عبد الله السلال ، وتشكيل المجلس التنفيذى برئاسة عبد اللطيف ضيف الله ، كما تقرر اقامة برلمان ، ويتكون هذا البرلمان من ٢٥ عضوا يمثلون كافة الأطراف فى اليمن ، ولكن يبدو ان كل هذا مجرد حبر على ورق ، وما أراه أنه لا أحد يحكمه أحد فى اليمن ، ولا أحد محكوم لأحد فى اليمن ، والكثير لا تعنيه أمور اليمن كوطن ، فى كثير أو قليل ، وأنا ـ المصرى ـ احزن لكل ما اراه فى اليمن لأن اليمن يمكنها ان تكون غير الذى نراه الآن ، انها تحتاج الى اخلاص قليل ، فتأتى بثمار عظيمة ، ان ثروات اليمن فى كل مكان تقول انا هنا ، ثروات زراعية ، وثروات طبيعية ، وثروات معدنية ، بل يقال هنا بترول ، لقد حدثتك فى رسالة سابقة عن المستشفى الذى جاء ، هكذا اليمن .

بعد هذا الشكل العصرى للحكومة سافر السلال الى الخارج وأسند الى الرجل القوى حسن العمرى مسئولية قيادة الدولة فى غياب السلال .

وأثناء سفر السلال . أعلن حسن العمرى عن اكتشاف مؤامرة لقلب نظام الحكم .

زوجتى . . لا أدرى لماذا أشك فى مثل هذه المؤامرة فلا يعقل ان تحاك مؤامرة ويتصور مخططوها أنها يمكن ان تنجح فى ظل هذه الألوف من القوات المصرية .

وبدأت الفوضى تعم صنعاء ، عشرات تم اعتقالهم ، واتصور ان العداء الشخصى لعب دورا فى الاعتقال ، فربما كان هناك من يعترض على

الأسلوب ، ولكن لا أتصور من يعترض على النظام ويفكر فى تغييره بالقوة ، وأطلق الرصاص من يمنيين على يمنيين فى شوارع صنعاء ولم نتدخل فى هذا النزاع الداخلى ، كل ما فعله الفريق أنور القاضى انه اطلع على بعض التقارير عن هذه المؤامرة لمعرفة مدى خطورتها على أمن القوات المسلحة المصرية .

وعاد السلال إلى اليمن .. وبدأت المحاكمات .. وانتهت المحاكمة باعدام تسعة من الأفراد والسجن مدى الحياة لاثنى عشر ..

آه .. الاعدام ! ..

وألف آه .. على ! السجن ! !

لا شىء تغير كثيرا فى الوسائل من حكم الامام الى الحكم الجمهورى .. قد تكون عادة يمنية .. ولكنها - مهما كانت - فهى حتى ضد الانسانية هل لديك - زوجتى - القدرة لتحمل مشهد الاعدام فى اليمن .. لا اتصور .. ولكنى سأحاول ان أخفف من حدة الصورة .. واننى أكتب لك لأننى أشعر اننى أحمل أثقالا .

أنت تعلمين مدى قدسية الجسد لدينا ، وقد يكون هذا التقديس تقليدا مصريا قديما ، لذلك فمشاهدة الأعدام بالنسبة لى ، رغم اننى أرى القتل بالجملة ، أمر ليس سهلا على نفسى وبالأمس شاهدت الاعدام فى اليمن فى ساحة من ساحات اليمن ، تجمع عدد من الجنود فى شكل دائرة ، ثم فجأة تجمع الناس لمشاهدة « يوم الاعدام » ثم جاءت سيارة بها المتآمرون على الرئيس السلال . ودهشت فانهم يرتدون ملابسهم العادية ، ونزل الأول فى وسط هذه الساحة ، وعجبت ، فهو لا يرتدى سلاسل . وعيناه مفتوحتان ، وينظر الى الناس بعينين لا تحملان أى معنى ، لا أحد يقف بجواره ، فى مركز الدائرة وقف ، ثم ركع ، ثم خفض رأسه الى أسفل ، لم يطلب منه أحد ذلك ، وكأنه اعدم قبل ذلك . وظهر رجل طويل يحمل سيفا ، وتمتم السياف ببعض كلمات ثم رفع السيف بيديه الى أعلى وفى لحظة كان السيف ينزل على رقبة

الرجل ليفصل رأسه عن جسده ، ثم يأتى آخر ليأخذ رأسه ، واثنان لحمل جسد القتيل ، ثم يدخل المتآمر الثانى وتدور اللعبة .

آه . . كم تحملت من مشقة انسانية ونفسية وأنا أشهد هذه الرؤوس وهى تنفصل عن الجسد بهذه السهولة . . وكدت ألعن الثورة والثوار .

إلا ان اليمنى يفضل الاعدام على السجن ، لأن السجن هو اقسى سجون العالم . . سجن بلا غرف ولا أسوار . . إنه « فن العذاب والتعذيب » ، ان السجن عبارة عن حفرة متر ، فى نهايتها وتد مدقوق ثم ينزل السجين هذه الحفرة ويربط من يديه ورجليه فى هذا « الوتد » ويظل هكذا سنوات ، يقدم له الدقيق والماء كالكلاب ، يقضى حاجته وهو مربوط فى هذا الوتد ، لا يهم اذا كانت الشمس حارة ، أو اذا كان هناك مطر . . ويظل هكذا سنوات ومعظمهم ماتوا فى هذه الحفرة اللعينة .

ونحن هنا فى أرض عجيبة . . عجيبة فى كل شىء . . نحن فى أرض هى عار فى جبين الانسانية . . كل المجتمع البشرى .

وإلى اللقاء .

● زوجك

● ● ●

● جواب الرسالة السادسة ●

زوجي العزيز :

وجاءت الرسالة . . وقرأتها . . ومازلت اقرأها . . وبعد انتابتني شعور هيستي . . شعور بالخوف . فأتصور أحيانا جسدي بلا رأس ، وشعور بالأسى وأنا أسمع منك هذا التقرير عني . . شعور بالحاجة . . الحاجة اليك لمهام أكبر من هذه المهمة . . وقبل ان أواصل حديثي معك عن القاهرة . . لابد أن ادافع عن نفسي كمواطنة مصرية . . تعيش مع زوج على أقل تقدير يجب الا يكون هذا التناقض بينهما . .

أسفة اذا قلت لك أنك اعطيت مختارا لفكرك وتفكيرك أجازة ، لقد ضربت عرض الحائط بالمنطق ، واندفعت بلا تفكير وراء « خلود الفرد » وأنا عندما أفكر ، وأفكر مع زوجي فلقد حدث التناقض . . أرجوك ان نناقش قضايانا بعقل سليم . . وبفكر منفصل . .

تقول في حديثك عنى انني اقليمية التفكير . . بل العكس صحيح . . أنت اجبرت على أن تكون اقليميا . . لأنك اخترت أما أن تكون كل الأقاليم في هذه الأمة تفكر بفكرك ، وتنشد نشيدك ، وتبرر اخطاءك ، وأما فهذه الأقاليم عدوة ، ولم يعد لك سوى حدود هذا الأقليم للتعامل والتعاون والتقارب ، والدليل ان مصر الآن لا تتعامل الا مع اليمن وبقوة السلاح . فأنت الأقليمي المجبر . .

تتهمني بأنني أنظر للمستقبل القريب « أي قصر نظر » . . وأقول ليتني قد ولدت بلا رأس يفكر ، وكنت في نظرك الآن بعيدة التفكير . . أكرر لك ان مصر في حاجة الى بناء . . وان الاعداء في الداخل أضعاف أضعاف الأعداء في الخارج . . والعدو الداخلي أخطر بكثير من العدو

الخارجي . . وان لم نقض على اعداء الداخل . . ونبن مصرنا . . فسوف يلعننا كل جيل قادم ، لأن بناء مصر لهذا الجيل . . وكل جيل قادم . .

تقول اننى أكره الرئيس جمال عبد الناصر . . إطلاقا لا أكرهه . . بل أن نظرتي إليه تختلف عن نظرتك له . . أنت تعتبره معصوما من الخطأ ، أنت تعتبره معبودا . . وأنا أعتبره ثائرا وزعيما . . ورئيس دولة . . وأنه يجب أن يناقش . . وأن أى خطأ يرتكبه يؤثر في مصير أمة وشعب . . ولأنه يرفض الحوار ، ولأنه لا يقبل النقاش فإن الصواب من وجهة نظره خطأ . . . والخطأ صواب ، إن الناس الآن تناقش الآلهة .

تقول إننى متطلعة إلى طبقات أعلى ولو أنى أفكر هذا التفكير الضيق ، لما كان اعتراضى على وجودك في اليمن فإن دخلك في اليمن أضعاف أضعاف دخلك في القاهرة ، وبهذا الدخل ، وبغيره من الطرق السائدة في مصر أستطيع أن أتسلل إلى غير طبقتى من الطبقات . . ولكن نظرتى للأمور أرحم بكثير . . إنها نظرة مصرية ترى أموال بلدها تهدر كل يوم في اليمن ، وشباب بلادها يدفن كل يوم في اليمن ، وبلادها لم يبق فيها ما تدفعه فاستدانت لتدفع ، وسيسدد هذه الديون الأجيال القادمة التى تتحدث أنت عنها . .

وكم بودى أن يحمل البريد رسالة منك تجيب على هذه الأسئلة :

١ ـ هل وافق الشعب على إرسال القوات إلى اليمن ؟

٢ ـ هل يعرف الشعب حقيقة ما يجرى في اليمن ؟

٣ ـ هل تستطيع أن تدلنى على مكان الذين اعترضوا على إرسال قوات إلى اليمن ؟

٤ ـ هل مصر قادرة على الاستمرار في اليمن ؟

٥ ـ هل بنينا الجيش ليحارب في اليمن ؟

٦ ـ إذا شنت إسرائيل ـ وهى العدو الحقيقى والأوحد ـ على مصر

هجوما . . فهل نطلب منها مهلة حتى نسحب قواتنا من اليمن ؟

معذرة زوجى فى هذه الجملة الاعتراضية الطويلة . . معذرة بمشهد الاعدام فى اليمن . . ومحاولتك أن تقول لى أن هذا حماية للسلام . . وأحداث مصر . . وفراقك عنى . . كل هذا وضعنى فى حالة انتحارية . . لا أتصور أن يحدث كل هذا لشعب فى السلام بنى حضارات ، وفى الحروب التى هددت وجوده حقق إنتصارات ، أخشى على هذا الشعب من حرب غير مقنعة هى حرب اليمن .

زوجى . .

بعد عودتك من مصر . . ورأيت فيها ما رأيت . كتبت لى رسالة رائحتها ذكية ، كانت أشبه بأنين مستتر لوجودكم فى اليمن ، واليوم تكتب عن اقتناع ، فهل مشهد الاعدام أقنعك ؟ أم حالة مصر المتدهورة أقنعتك ؟ أم بيوت الضباط فى مصر التى تحولت إلى متاجر من بضائع اليمن قد جعلتك تؤمن بأن جيشنا فى اليمن محارب ؟ . .

لا . . يا زوجى . .

سأظل أقول أن حرب اليمن تنهك قوانا ، وأن انهاك قوى مصر ليس لصالح مصر . . ولا لصالح اليمن نفسها ، إنى أتصور أن الثورة قد قامت لأسباب كثيرة ، ولكن السبب الرئيسى لما حدث لها فى فلسطين أثناء حرب عام ١٩٤٨ ، وأن من الأهداف الستة للثورة ، أو أهم الأهداف على الاطلاق « بناء جيش قوى » ، وأتصور أن بناء هذا الجيش لمواجهة إسرائيل ، ولا يمكن أن أتصوره فوق جبال اليمن يحارب عدوا أنت بنفسك قلت عنه « أنه الغيب » وأنكم تحاربون الغيب بالغيب ! . .

سأسألك زوجى العزيز . .

هل تدرب طيارونا على ضرب مطارات إسرائيل ؟

هل تدرب رجالنا على اقتحام النقب والوصول إلى بير السبع ؟

بل هل تدرب رجالنا على حماية الممرات ؟ . .

هل يعلم أفراد القوات المسلحة أين شرم الشيخ ، وعلى أى ساحل

تقع نهاريا ، وماذا فى حيفا ، وكيف الهجوم على يافا ؟ . .

إنى أسمع صرواح ، والجبل الأسود ، وصعدا ، والحديدة ، ونجران ، وجيزان ، والجوف ومأرب ، كلها أسماء مدن لسكنى أشقاء حتى لو اختلفنا معهم . .

زوجى . . أنا لا أطيقكم تقاتلون فى مدن تحمل هذه الأسماء . . فالأعداء لا يسكنون الجبل الأسود ، ولا مدينة صرواح ، ولا حتى مأرب ، إنهم فى يافا ، وحيفا ، وتل أبيب ، وبير السبع ، وأم الرشراش .

زوجى . .

ناقشنى . . واقنعنى . . أو اقتنع منى . .

سأخطرك فى هذه الرسالة إلى ما وصل إليه الشعور العام فى مصر بالنسبة للقوات المسلحة ، هنا ، من كثرة الضغط ، والفقر ، والتردى الاقتصادى ، تحول الشعب داخل بلاده إلى جالية ، كالجالية اليونانية والجيش كأى جيش احتلال ، يخشون منه ، لا يتعاطفون معه ، وأنت تعلم أنه حتى فى الظلام يكتب هذا الشعب رأيه بالنكتة ، والنكتة التى تقال الآن أن مدنيا تشاجر فى الطريق العام مع ضابط بسبب خلاف حقيقى ، وانضم إلى المدنى ثلاثة مدنيين آخرون ، وساقت الشرطة الجميع للتحقيق ، فأبدى المدنى الأول سببا وجيها للخلاف وكذلك الثانى ، وسأل الشرطى المدنى الثالث : وأنت لماذا ضربت الضابط . .

فرد عليه : تصورت أن الثورة انتهت . . فنزلت فيه ضربا مبرحا . .

وبهذه المناسبة ، فان الطلب الذى قدمته ، قد نجح ، وسوف أتحرك من مصر الجديدة إلى شقة رائعة فى جاردن سيتى ، حتى أستطيع أن أقول ذات يوم أننى استفدت من كونى زوجة رجل من القوات المسلحة ، وليس من أفراد الجالية .

وبعد أيام سأذهب إلى حلوان لأستلم السيارة نصر ١١٠٠ ، وسوف آخذ وحيدى وألف به كل مكان فى القاهرة ، وسأكون نصف سعيدة لأنك لن تكون بجوارى .

● زوجتك

● الرسالة السابعة ●



صنعاء فى عام ١٩٦٤

زوجتى . .

هل تسمحين لى فى بداية هذه الرسالة ان ارد على فقرة فى رسالتك تتهميننى فيها بالتناقض ، بين مؤيد ومعارض لحربنا فى اليمن ، وتتهميننى بالتناقض بين الحب والكراهية لزعيم هذه الأمة ، لك الحق ، كل الحق فى هذا الاتهام ، فلقد كنت أرفض حوارا دائما بينى وبين نفسى ، كنت لا أريد ان ارفض الحرب فى اليمن ، لا أريد ان ارفض اى خطوة يخطوها الزعيم ، كنت اركض فى طريق واحد ، لا أرى ما على يمينى ،أو على يسارى .

كل ما اريد ان اراه او اصل اليه نقطة نهاية السباق ، ورغم اننى لا اراها ، كنت لا اريد ان اشك فى ذلك الرجل الذى تحدى الاستعمار البريطانى ، وهز عروشا ، ومزق احلافا عسكرية ، وقضى فى مصر على الاقطاع وغير فى خريطة المنطقة السياسية . . وكنت اريد ان اغفر له حربنا فى اليمن ، لذلك كنت أحارب بدون نقاش ، وكلما رأيت الخطأ حاولت ان أبرره واخلق له الف تبرير ، واكرر ذلك حتى اصدق نفسى ، فمن الصعب ان ارى العملاق يخطىء . .

ثم اننى احب هذا الرجل ، فليس من السهولة ان ابدل مشاعرى كما ابدل ثيابى ولكن حكايتنا فى اليمن جعلتنى اعيش فى فترة تناقض رهيبة ، كرحلة مرهقة بين الشك واليقين ، وبدأت الحوار العقلانى ، ونظرت حولى فى هذه الجبال ، ونظرت بامعان الى زملائى فى اليمن ، وبدات افكر ، وكلما « فكرت » تسرب الخوف الى قلبى ، وشعرت لأول مرة بالمطلوب منا ، كجنود فى اليمن ، وكشعب فى مصر مطلوب الا « نفكر » . . لأننا لو فكرنا . . لأننا لو تأملنا لو « وقفنا » . . قد نكشف ما لا يجب ان نكشفه ، ونصل الى قناعات غير مطلوبه . . فالفرق بينى وبينك انك فكرت ، وانا رفضت الفكر والتأمل والمناقشة ، ولكن وجودى فى اليمن كان اكبر من أن تخفيه اجهزة الاعلام التى تفكر بدلا منا ، وأضخم من التبريرات ، وسوف يذكر التاريخ ان اكبر خطأ وخطيئة للزعيم هو الدخول فى هذه الأرض المجهولة .

زوجتى . .

أقول لك هذا بعد ان انتهيت من معارك مستمرة وطويلة ، ومريرة كانت دفاعية ثم هجومية ، لقد اعدوا الهجوم على صنعاء بشكل كبير ودقيق اتصور ان هذه هى اكبر محاولاتهم وآخرها ، انها قد نظمت بطريقة عسكرية لا اتصور ان احدا من اليمن قادر عليها .

فى بداية الهجوم الملكى الكبير ، استطاعت هذه القوات ان تقطع الطريق على القوات المتمركزة ، وكانت تنشد بذلك امرين :

* تحييدها عن الدخول فى معارك .
* حصارها وتثبيتها فى مكانها .
* تصفيتها بعد الدخول الى صنعاء .

وتمكنت القوات الملكية من تنفيذ البند الأول والثانى ، وتم حصار مواقع كثيرة من قواتنا فى كافة المحاور ، بل عادت صنعاء محاصرة للمرة الثانية .

فى هذا الهجوم الكبير منهم ، ثم الهجوم الكبير منا ، سقط « ابناء الأمة الواحدة » فى اخطاء تاريخيه كلانا يريد ان يحرز النصر على الآخر ، كلانا يريد ان يدمر الآخر . .

وما حدث فى اليمن خلال الشهور الماضية ، لن يغفره التاريخ الانسانى لنا ولهم ، ولقد القوا من المدافع ذخيرة تحمل جرثومة الكبد الوبائى على قواتنا ، وبدأ هذا المرض اللعين ينتشر بين قواتنا ، واصبحت الطائرات لا عمل لها الا حمل المصابين بهذا الوباء من صنعاء الى القاهرة ، لقد فشلت البعثات الطبية العسكرية من السيطرة على هذا الوباء الذى انتشر بشكل خرافى بين الجنود ، وكاد هذا الوباء ان يشل حركة قواتنا فى اليمن .

واجتمع قادة القيادة العسكرية فى صنعاء لمناقشة هذا الأمر الخطير ، الخطير حقا ، واكدت سرايا الاستطلاع ان هذه القذائف مقدمة الى قذائف جرثومية اخرى اشد فتكا ، واعلن فى هذا الاجتماع ان الملكيين يستعدون لتفجير قنابل تحمل جرثومة « الطاعون » ، وخيم الحزن على الجميع من هذا الخبر الأسود فلقد وصلنا فى الحرب فى اليمن الى ابشع انواع الحروب « حرب الجراثيم » ، بل اختار العدو ابشع انواع الجراثيم فى حربه ضد قواتنا المصرية فى اليمن ، صحيح ان الجراثيم سوف تنشر فى كل اليمن ، ولكن ليس هذا الأمر هاما الى درجة كبيرة ، بالنسبة لأطراف الصراع والحل :

ارسلت القيادة العربية فى صنعاء تقريرا عاجلا الى القاهرة

تطلب المشورة ، وجاء الرد . . استخدموا الغاز السام على مواقع الملكيين بشكل محدود ، والقيادة السياسية سوف تتصرف . .

واجتمع قائد القوات العربية فى اليمن بالطيارين ، يعرض عليهم امر الحرب الوقائية التى تراها القاهرة ردا على بداية حرب الجراثيم . .

وكان رأى الطيارين انه لا يجب ان ننساق وراء هذه الحروب ، فسوف تكون وثيقة عار فى جبين القوات المسلحة المصرية ، ورأى الطيارون تكثيف الغارات الجوية على الحدود الشمالية لليمن حيث معاقل الملكيين فى جيزان ونجران ، والاتصال بالسلطات السعودية للتدخل لدى الملكيين لوقف حرب الجراثيم . .

ولا ادرى تماما ماذا حدث بعد ذلك ، الا اننى اؤكد ان الجرائيم توقفت فى اليمن بعد اسابيع من هذا الاجتماع ، وقامت الطائرات بالاغارة بشكل كبير على جيزان ونجران وكل اماكن وجود الملكيين . .

لقد كان الطيران هو البطل فى اليمن ، فهو الذى ساهم فى رفع الحصار عن صنعاء ، وهو الذى طهر اماكن كثيرة من قواعد اليمنيين فى كل انحاء اليمن .

لقد قاست قواتنا الكثير خلال الشهور الماضية وهى تفك الحصار عن القوات الاستراتيجية الموجودة فى اليمن .

لقد تم تقسيم اليمن عسكريا الى عدة محاور ، وان من اهم المحاور التى ابتلعت آلاف المصريين هو المحور الشرقى الذى يبدأ من صنعاء الى جيحانة العرقوب ، صرواح ، مأرب .

فان مدينة مأرب ، بوجود قواتنا ، تستطيع ان تغلق الطريق امام الامدادات العسكرية التى تأتى من السعودية الى بيحان (احدى امارات الجنوب العربى) تصل هذه الامدادات الى بيحان ثم الى حريب ، ومنها الى مأرب وصرواح والعرقوب وجيحانة الى القوات التى تحاصر صنعاء .

وهذا المحور من اوعر واقسى المحاور . انها سلسلة جبلية عالية ،

والسيطرة على هذه الجبال تحتاج الى شهور من القتال ، ثم التسلق ، وبعد التسلق يحتاج من فى قمة الجبال الى امدادات مستمرة ، وحراسة دائمة فى ظروف من اقسى الظروف ، وفى طبيعة من اقسى ما يمكن ان يتخيله انسان ، فيبدو ان الجبال هنا مختلفة ايضا .

استطاعت قواتنا ان تشق طريقها الى صرواح ، وقد اشتبكت مع القوات الملكية فى قتال عنيف استمر اسابيع تكبدنا خلالها آلاف الشهداء . فان هذه القوات تسير فى هذه الطرق لأول مرة وحاولت القوات ان تتجه من صرواح الى مارب الا انها لم تتمكن من ذلك ، وسقطت فى عشرات الكمائن ، وقتل الكثير فى محاولة الوصول الى مارب ، الا ان القوات الموجودة فى مارب ترسل لها الامدادات والتموين بواسطة الطائرات ورغم انها تعانى مشاكل قتالية الا انها لا تعانى مثل القوات الموجودة فى صرواح وجيحانة .

المحور الثانى ، تقدمت قوات من صنعاء فى حماية الطيران فى طريقها الى عمران ، ومن عمران اتجهت شرقا الى مدينة اسمها « الخراب » المطحة ثم اتجهت جنوبا من الحزم الى مارب حيث استطاعت ان تفك الحصار عن هذه المدينة .

وخلال القتال ، استشهد الآلاف فى هذا المحور الوعر الصعب ، ولكن امكن فك الحصار عن قوات كثيرة محاصرة فى مواقع فوق الجبال .

ثم المحور الثالث : وهو المحور الشمالى الذى يصل صنعاء بصعدا ، وكان اجتيازه مثالا رائعا للعسكرية المصرية .

المحور الرابع : وهو المحور الساحلى لتامين القوات من الساحل ، ومن الحديدة الى ميدى (نقطة التقاء الحدود السعودية باليمن) .

والآن . . اصبحت قواتنا الآن فوق الجبال ، وفى المدن ، وعلى الطرقات جيش كامل محارب ، نحتاج فى كل يوم ما لا يقل عن مليونين من الجنيهات انفاقات ، وطبعا تسمعون فى القاهرة من وقت لآخر اسماء تسمع لأول مرة فى آذانكم ، وقد تتساءلون ما هذه الأسماء ، اسماء

المعارك ، « معركة الجبل الأسود » ، « معركة الجبل المعكوف » ، « معركة الجبل المخروم » . . ففى اليمن جبال قاسية لها أسماء ، وكان للسيطرة على هذه الجبال بقوات نظامية ، واسلحة ثقيلة شهادة خارقة للقوات المصرية .

والآن . . هل انتهت المعارك فى اليمن ؟

أبدا . . ما انتهت . . انهم الآن يبنون اسلوبا جديدا فى القتال . . يمكن ان نسميه عسكريا « القبضة الحديدية » ، يجمعون كل ما لديهم من قوة ، ويحاولون السيطرة على موقع ما ، ويبدأ القتال ، وقد يستمر اياما وقد يتم حصار . . وبالتالى يحتاج الى قوات لفك الحصار ، ويتم فك الحصار ، ويهرب الملكيون ، ثم يعاودون الكرة مرة اخرى فى مواقع أخرى .

ونجد أنفسنا فى حرب جديدة ، وغريبة ، لا نهاية لها يريدون انهاك قوانا الاقتصادية ، وانهاك قوانا البشرية وكل هذا يتم فى السر .

بودى ان اكتب لك عن « المقاتل الجديد فى اليمن » . . أو « أثر حرب اليمن على المقاتل العربى » . . او « مرض حرب اليمن » . . عناوين كثيرة لقصة حزينة ، اليمة تبدو بلا نهاية . .

وينقسم المقاتلون فى اليمن الى قسمين :

— القيادات الموجودة فى المدن المستقرة الى حد ما ، كالقيادات الموجودة فى صنعاء ، وتعز والحديدة ، وهم الى حد كبير فى راحة كبيرة ، بعيدون عن ساحة القتال ، وسط أسواق صنعاء ، وهبوط الطائرات القادمة من القاهرة تحمل لهم بقايا خيرات مصر ، ويستقبلون القادمين من القاهرة ، وعلى مرمى حجر من المسئولين لتلبية كافة مطالبهم .

— القسم الثانى : رجال الجبال والمحاور والقتال ، المحاصرون بقوات ملكية ، المعرضون كل لحظة للموت ، العازمون على الثورة ضد كل هذه الأوضاع ، فلقد وصل بهم الحال انهم يقاتلون لكى يبقوا احياء ، لأن

القضية لم تعد مقنعة لهم . الذين يشهدون جثث زملائهم وقد مثل بها .

مثال ذلك . . قوة من ٤٠ فردا تحتل جبلا في المحور الشمالي ، لاتستطيع أن تتركه ، يحتاج الجبل الى صعوده ثماني ساعات على الأقدام ، ويحتاج هبوطه ساعتين ، ووجدت القوة انها ليست بحاجة للهبوط او الصعود واستمرت على هذا الحال أربعة أشهر ينتظرون الطائرة التي تسقط لهم الغذاء والماء ، أحد أفراد هذه القوات فقد عقله تماما ، فأرسل الى القاهرة ، ولم يكن وحده الذي يحتاج الى « عودة العقل » بل كان هناك مئات غيره ، اعتقد انهم منتشرون الآن في مصحات القاهرة .

هذه هي قواتنا التي اعدت ، وانفق عليها الشعب ما يملك لتحارب اسرائيل وها هي ذي القوات على بعد آلاف الأميال من الجبهة الحقيقة فوق الجبل الأسود وجبال صرواح وجيحانة .

هذا هو الكمين الذي اعد لمصر كلها شعبا وجيشا ولا نريد ان نخرج منه . .

هذه قناعتي ولن احيد عنها حتى الموت .

هنا على جبال اليمن ، وبين شعبها ، وعندما يشهد الانسان بأم عينيه « مأساتنا في اليمن » ، يكفر بكل شيء . .

عندما تشاهدين جثث المصريين الممثل بها ابشع تمثيل . .تكفرين ! !

عندما تشهدين جيشا كاملا يقاتل قتالا عنيفا . . بلا هدف مقنع . . تكفرين !

عندما تشاهدين قادة جيش لأمة فقيرة قد تحولوا الى تجار حرب . . تكفرين ! !

عندما تشاهدين « القيادات العسكرية » وهي مختلفة على كل شيء . . تكفرين !

عندما تشهدين مصر . . بكل تاريخها . . وكل حضارتها . . وكل تراثها . . وكل شبابها يغوصون في وحل اليمن المتحرك بلا منقذ . .

والآن . . قواتنا شبه مستقرة فى مواقعها الشائكة فى كل انحاء اليمن . .

والآن . . قواتنا تبسط نفوذها عل اهم المدن والمواقع فى اليمن . .

والآن . . انتصرت قواتنا فى اليمن . . ولكن على من كان الانتصار ؟ . . ولماذا كان الانتصار والهزيمة ؟ . .

والآن . . لم يبق شىء سوى الزيارة . . زيارة الرئيس جمال عبد الناصر للجمهورية العربية اليمنية . . وبدأنا الاعداد للزيارة . .

وصلت قوات خاصة اضافية الى صنعاء وصدر امر بعدم دخول يمنيين صنعاء ومعهم السلاح ، سواء كانوا جمهوريين او ملكيين . .

وفى الثالث والعشرين من أبريل عام ١٩٦٤ وصل الرئيس جمال عبد الناصر الى صنعاء ، يرافقه المشير عبد الحكيم عامر . . ووصل من المطار الى العاصمة فى سيارة غير مكشوفة طبعا فنحن هنا فى اليمن ولسنا فى دمشق او القاهرة . .

واتجه الى بيت المشير ، فللمشير بيت فى صنعاء ، وكنت بين القلة التى كانت فى استقباله فى بيت المشير . .

وكان هذا هواللقاء الثانى لى بالرئيس جمال عبد الناصر ، كان اللقاء الأول فى يوليو عام ١٩٥٨ فى دمشق ، فى تلك الفترة كنت عند ضابط مخابرات مصرى اسمه نبيل ، ثم دق جرس التليفون وتحدث قصيرا . . وكانت علامات الفرحة والدهشة والسرور ترتسم على وجهه . .

وقال لى :

— يوم العمر . . ستجلس مع الرئيس جمال عبد الناصر . . وركبنا سيارة الرئيس واندفعنا الى قصر الضيافة فى دمشق ، فى ذلك الوقت كان فى بغداد ثورة ، وفى دمشق وحدة ، والقاهرة امل ، وكان الرئيس جمال عبد الناصر فى بلجراد عندما قامت ثورة العراق ، فذهب الى الاتحاد السوفياتى سرا ، وعاد الى دمشق سرا أيضا ، لم يكن أحد فى العاصمة السورية يعلم بوصول القائد الى دمشق ، وفى قصر الضيافة كان عدد

الحاضرين لا يزيد على ٢٥ شخصا انا واحد منهم . . وصافحت عبد الناصر . . بل كدت أقبل يديه حبا ، هذا هو معبودى ومعبود الملايين ، وتحدث معى خلال لحظات هى أروع لحظات عمرى ، كان يبدو نضرا يمتلىء حيوية ونشاطا وجمالا وروعة . . ولقد توقف الكلام فى فمى من شدة الحب والفرحة والاعجاب . .

واليوم بعد مرور اكثر من ست سنوات على هذا اللقاء ، اعود فالتقى به فى صنعاء ، لم تكن لهفتى عليه كالماضى ، له رهبة وكبرياء ، ولكن ليس له نضارة الماضى ونشاطه ، فى هذه المرة استطيع ان أحاوره ، وفى دمشق فقدت النطق من الحب ، أرى فيه ما لم أكن أراه بالأمس ، أرى فيه جثث الشهداء فى السهول والوديان ، ارى فيه الكبد الوبائى ، ارى فيه اقتصادنا المنهار ، ارى فيه الأمل الذى خاب ، أرى فيه هذه المرة عناد الباطل .

وأشفقت عليه . . فكل ما اخشاه ان ينتهى الرجل ومعه مصر فى هذه البلاد التعيسة . .

وقال المشير :

— ياريس سمعهم صوتك فى السعودية وعدن . . وسال الرئيس :

— فين عثمان نصار . .

وضحك المشير . . وفهمت فيما بعد ان الرئيس جمال عبد الناصر يحب عثمان نصار . قائد المدور الشمالى لخفة ظله المتناهية . .

ثم نظر الرئيس جمال عبد الناصر الى كل وجوه الحاضرين ، واحدا وراء الآخر ، ولم يبتسم ، وقد تملكنى الخوف . . عفوا زوجتى ، عندما اقول ذلك فلقد تصورت للحظة انه يعرف ما بداخلى من مشاعر .

اننى بصدق احب المشير عامر . عنده شهامة الأب . ووفاء الصديق ، وجرأة القائد ، وكان المشير عامر ينظر الى جمال عبد الناصر ، وكانه ينظر الى معبودته ، وكان السلال فى كل هذا لا معنى له ولا محل له من الاعراب .

وكان السلال قد عاد من القاهرة فى يناير الماضى ١٩٦٤ ، ومعه ممرضة مصرية من المستشفى الذى كان يعالج فيه ، وقيل انه تزوجها ، وقد جاء ليمسك زمام أمور اليمن بيديه ، وقد حدثت مناقشة بينه وبين قائد القوات العربية فى اليمن اللواء مرتجى حول عدم اشتراك رجال الثورة فى هذه الحرب الا بأعداد قليلة جدا ، وبعض من هؤلاء من الجنوب العربى وقد جاءوا متطوعين . والقليل من اليمن الشمالية ، أما رجال القبائل فى اليمن ، فيوم مع الفضة ويوم مع الذهب ، يوم معك ويوم عليك .

وقرر السلال تشكيل مجلس الأمن الوطنى ، ويتكون هذا المجلس من بعض الضباط اليمنيين ، والفريق مرتجى ، وبعد تشكيل المجلس غادر صنعاء فى طريقه الى القاهرة لحضور مؤتمر القمة العربى ، ثم عاد الى صنعاء بعد زيارة لموسكو . وقيل ان هذه الزيارة قد اقلقت الرئيس جمال عبد الناصر ، وان زيارته الحالية من أسبابها « زيارة السلال لموسكو وليس معنى ذلك أن هناك خلافات بين موسكو والقاهرة ، ولكن كل الأمور يجب ان تتم عن طريق الرئيس جمال عبد الناصر » .

كان هناك خوف شديد على حياة الرئيس جمال عبد الناصر ، وكما فى مصر ـ حدث فى اليمن ـ تم اعتقال كل من :

أولا : من يعارض وجود القوات المصرية فى اليمن .

ثانيا : كل من لهم انتماءات بحزب البعث .

ثالثا : كل من يشك فى ولائه للجمهورية او الرئيس السلال .

اصبحت صنعاء فى وجود الرئيس جمال عبد الناصر مدينة نظيفة ، نصفها رجال أمن والنصف الآخر مما لا يشك فى ولائهم للرئيس جمال عبد الناصر .

وفى صنعاء القى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا سياسيا هاما يعتبر نقطة تحول فى تاريخ اليمن ، هاجم فى هذا الخطاب السعودية ، ثم بدأ الهجوم على الاستعمار البريطانى فى الجنوب العربى .

أقول ان هذا الخطاب يعتبر نقطة تحول هامة فى تاريخ حرب اليمن ، لأن هذا الخطاب كان مولد حرب حديدة فى جنوب الجزيرة الـ ربية ، او ظهور « العملية صلاح الدين » . .

لقد رحل الرئيس جمال عبد الناصر الى القاهرة ، بعد ان اعد تفصيلات العملية « صلاح الدين » ، واختار بنفسه الرجال الذين سيتولون قيادة الحرب الجديدة فى الجنوب ضد الوجود البريطانى هناك .

ويهدف الرئيس جمال عبد الناصر من شن هذه الحرب فى الجنوب الى الآتى :

١ ـ اقلاق القوات البريطانية فى الجنوب .

٢ ـ تخفيف الضغط على القوات المصرية الموجودة فى كل انحاء اليمن .

٣ ـ تشكيل قيادة من أبناء اليمن تابعة له ، مؤمنة به تتسلم مقاليد الأمور بعد رحيل الاستعمار البريطانى .

ولكن . . ان قيام العملية « صلاح الدين » ، تعنى وجودا اطول فى اليمن ، حقا لقد اعلنت الحكومة البريطانية الرحيل من شرق السويس ، وأن أول رحيل سيكون من عدن ، وهنا لا بد ان ننتظر حتى يخرج آخر جندى بريطانى من هناك ليكون لنا تأثير فى عدن ، واذا نجحت خطة الرئيس جمال عبد الناصر فى ذلك ، فان هذا يعنى السيطرة على عمان وامتداد نفوذه الى الخليج العربى لاقامة حزام حول المملكة العربية السعودية .

الا ان عدة قوى ستواجه هذا الموقف بكثير من العناد والصلابة . . فان تصورى انه فى اليمن فقط لاستنزاف قوى مصر ، ولن يحدث ان تسمح له هذه القوى ـ وهى كبيرة ـ ان يحقق اهدافه ، وان يمتد نفوذه الى باب المندب من جنوب البحر الأحمر ومن الشمال قناة السويس ، ثم مضيق هرمز على الخليج العربى .

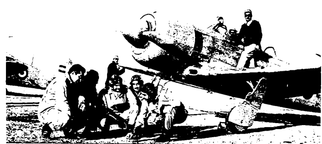
واتصور ان هذه الأفكار الوردية هى التى تدفع الرئيس جمال عبد الناصر الى الاستمرار فى اليمن رغم الزهور التى تدفن هنا ، ورغم الافلاس الاقتصادى الذى نعانية ، ورغم كل الأمراض التى أصابت المجتمع المصرى .

وأتصور ان هذه الأفكار جاءت وليدة الشهور الماضية ، بعد اعلان بريطانية الانسحاب من شرق السويس وان هذا الموقف الجديد سوف ينسف كل محاولات السلام فى اليمن ، وكل المفاوضات السابقة والقادمة بين القاهرة والرياض حول اليمن .

لدى احساس آخر . . ان الاعلان البريطانى أخشى ان يكون كمينا للرئيس جمال عبد الناصر والذى كان جادا منذ فترة فى محاولة الخروج من اليمن ، وان كافة القوى المعادية لمصر تريد منا ان نتورط وأكثر فاكثر حتى يسهل ضربه فى القاهرة . .

والى اللقاء . .

● زوجك



●● الطيارون المصريون . . يناقشون خطة عمل اليوم لضرب تجمعات الملكيين فى شمال اليمن . .



●● رقصات قبلية احتفالا بأعياد الثورة . .
(صنعاء ١٩٦٥)



●● قوات اليمن التى أعدت على عجل فى استعراض للتسلية أثناء الاحتفالات فى صنعاء فى الذكرى الثانية لثورة اليمن . .

● جواب الرسالة السابعة ●

زوجى العزيز . .

أخيرا نلتقى بعد سنوات من حرب اليمن ، وبودى ان يناقش كل الناس حرب اليمن ، فهى ليست حادثة صدام فى الطريق العام ، ولكنها حرب حقيقية وفى اليمن ، ويدفع الناس هنا من قوت يومهم ثمنا لهذه الحرب ، وتدفع الأسرة المصرية من ترابطها ومن أخلاقها ثمنا لهذه الحرب .

اننى كل يوم أرى كارثة تحل بنا ، وأعرف انها بسبب حربنا فى اليمن ، ولا احد يريد ان يفكر فى ذلك ، فكما سبق ان ذكرت لك انها حرب سرية ، جانب كبير من القوات يعلم ذلك . .

بودى ان نناقش بصراحة . . عدة امور منها :

● لو أن مصر لم ترسل قواتها الى اليمن ، فهل كانت الثورة استمرت ؟

● لو فشلت ثورة اليمن ، فما مدى تأثير هذا الفشل على مصر ؟

● هل يستطيع عبد الناصر ان يحقق فى هذه الظروف امبراطورية عربية ؟

● وهل الأسلوب الذى نتبعه يقيم هذه الامبراطورية ؟

● هل الأزمة الأقتصادية المستمرة ، والفساد الادارى ، وخنق الحرية وحصار مصر ، وتوقف كافة خطط التنمية ، هل يستحق كل هذا حماية ثورة فى اليمن ؟ . .

● هل نصلح البيت المصرى أولا ونقيم منه قاعدة صلبة ، ثم ننطلق الى ما يريد ان يحققه الزعيم ، ام ندخل كل هذه المعارك بشعب افقرته هذه الحروب ، وخربت أخلاقه واكثرت من متعطليه ؟

هل ستحقق ثورة اليمن خطوات طويلة اكثر بمراحل من خطوات الامام البدر والذى كان صديقا للرئيس جمال عبد الناصر ؟ . .

شعب مصر الذى يدفع ، وشعب مصر الذى ينتحر ، وشعب مصر سيرتد ردة قومية ، لأنه يدفع كل شىء حتى احلى الشباب .

اتصور ان مصر ، ليست الدولة الثورية الوحيدة فى المنطقة العربية ولكنها الدولة الوحيدة التى اتخذت على عاتقها حماية ثورة اليمن ، وعلى بقية الثوار ان يشهدوا ، ويضعوا النظريات ، ويصدروا المنشورات ، وكاننا فى حلبة مصارعة ، واذا توقفت هذه اللعبة القذرة لعدم القدرة على المواصلة او لاسباب قاهرة القوا على اللاعبين بالحجارة . .

انا أريد لعبة مصرية ، اللاعبين والمشاهدين ، لا اريد ان يلقى على بالحجارة ، من هؤلاء الذين يشهدون ولا يشتركون ، فعندما تكون الدماء مصرية ، يصبح أيضا القرار مصريا .

اخرجوا من اليمن ، فسوف نصفق لكم فى القاهرة .

اخرجوا قبل ان يفوت الأوان ، ونندم كل الندم على كل لحظة قضيتموها على هذه الجبال .

سأذكر لك حكاية ، غريبة ولكنها منطقية ، لا . . سأذكر لك عدة حكايات عن آثار حرب اليمن فى القاهرة . .

فتاة فى الخامسة والعشرين من عمرها ، استشهد زوجها فوق جبالكم اللعينة ، تحصل على معاش من وزارة الحربية يبلغ سبعين جنيها ، وهو رقم بلا ضرائب ، تريد الزواج ــ وهذا حقها ــ ولكنها اذا تزوجت فقدت معاش زوجها السابق ، وأى زوج فى هذا العمر دخله اقل بكثير من المعاش ، واصبحت هذه المعادلة صعبة ، تريد الأثنين ، الرجل

والمعاش ، وهذه ليست فتاة واحدة ، بل آلاف الأرامل ، وعليك ان تتصرف . . والنتيجة دائما الاحتفاظ بالاثنين . . الرجل والمعاش . .

صديقنا ، شاب يحلم بكل ما يحلم به الشباب ، شقيق وحيد لثلاث شقيقات ، استشهد على جبال اليمن ، وجاء مندوب من قيادتكم يحمل ملفا به ثمن حياة هذا الشاب ، واستقبله والده ، وأخرج الأول الثمن ، ووضعه على طاولة صغيرة ، ثم قال للوالد هذه عدة آلاف من الجنيهات ، وابنك قد استشهد على جبال اليمن .

وحدث ما يشبه الزلزال في البيت ، كاد الوالد ان يخنق المندوب ، ولم يتصور ان يدفن ابنه في اليمن وضع كلتا يديه على رقبته . . وقال له . . قتلتموه يا قتلة . . قتلتموه يا قتلة . . وانهار كل من في البيت . .

عندما علمت بموته ، ذهبت لشراء رداء اسود ، فلايصح ان اذهب لتقديم العزاء الا بالرداء الأسود كايامنا ، وكانت مفاجأة قاسية ، ان هناك ازمة في الأقمشة السوداء ولم اصدق ما سمعت وتركت القاهرة الى المحافظات للبحث عن الأقمشة السوداء فلم اجد فعلا ، ومعنى ذلك اذا استمر قتلكم في اليمن ، فان مصر كلها سترتدى السواد .

انا . . كزوجة مقاتل . . عندى الآن سيارة . . وبيت في ارقى احياء مصر . . ولكنى احتاج لرجل يقود لى السيارة ، ويحل لى مشاكل ابنى في المدرسة ، وفي الشارع ، ونذهب معا الى كل مكان . . ومن طول غيابك بالشهور الطويلة ، واحيانا بالسنوات ابحث عن رجل آخر يحمينى . . قد افضل ان اتركك ، وقد افضل ان اخدعك . . ولكن بالتأكيد هناك الاف الزوجات المنتظرات لعودة ازواجهن من اليمن .

هذه حكايات يومية . . ولكن ما زالت الحكايات الأساسية تقتل مصر ، وتفقدها شبابها وجمالها بسبب حرب اليمن ، وان القيادة السياسية تعمل في اتجاهين لاثالث لهما . .

الأول : حماية الكراسى التى يجلسون عليها ، وهناك عيون الآلاف على الناس خوفا منهم . .

الثانى : حرب اليمن ، من كل الساحات ، الساحات الاعلامية والسياسية والعسكرية .

ونسى الرئيس جمال عبد الناصر جملة كنت اتصور انها اساسية فى سياسته ، قال « لقد فشل كمال أتاتورك لأنه قام بثورة سياسية ، ولم يقم بثورة اجتماعية » ، وأستطيع أن أقول لك أن عبد الناصر حاول القيام بثورة سياسية ، ولم يفكر فى الثورة الاجتماعية ، وسيأتى اليوم ليجد نفسه مطالبا بأمور ملحة ، لن يستطيع انجازها . . سيجد نفسه مطالبا بحل مشكلة الأمية فى مصر . .

سيجد نفسه مطالبا بحل مشكلة المياه والمجارى والطرقات واستصلاح الأراضى .

سيجد نفسه مطالبا بالبحث عن مكان لكل طفل ، كل شاب فى المدرسة والجامعة . .

سيجد نفسه مطالبا بالبحث عن عمل لآلاف المتعطلين وانصاف المتعطلين بسبب توقف التنمية فى مصر .

سيجد نفسه مطالبا بتشغيل المصانع المتوقفة إما بسبب الاهمال الادارى او قطع الغيار . .

لا اريد ان اقول انه سيجد نفسه مطالبا باعطاء الحرية للناس ، فهو يعتبر الحرية ترفا لا تستحقه الجماهير ، رأيه كما اعلنه فى الحرية ، ان مخابز مصر تخرج لكل انسان ثلاثة ارغفة فى اليوم . . والحرية التى يراها هى حرية الرغيف ، ورأيه فى الاقتصاد المصرى كما قاله لأحد الصحفيين الأجانب : الم تأكل دجاجة فى الهيلتون ، وسلاطا ، وهذا معناه انه لا توجد ازمة اقتصادية فى مصر .

سيجد نفسه زعيما لشعب فقير ، مريض ، هربت منه كل العمالة والكفاءات . . فكل شىء يهرب الآن ، انها رحلة الخراب من مصر . . الصحافة تهرب . . الفنون تهرب بعد ان سبقتها الحرية وسيادة القانون .

وحكاية البيضانى ليست كما ذكرتها لى ولكن البيضانى نفسه يقول فى القاهرة ، انه كان يريد ان يبنى اقتصاد اليمن بصدق ، فقرر انشاء البنك اليمنى للانشاء والتعمير ، يكون تمويله من الحكومة ومن أموال المغتربين اليمنيين ، وطرح أسهمه للاكتتاب والتى نفدت فورا ، لأن اليمن أرض بكر ، وأى استثمار فيها يكون له مردود سريع وحاولت الحكومة سرقة أموال هذا البنك ، بل وأكثر من هذا قرر ابعاد البيضانى لخلافات فى الرأى السياسى والاقتصادى ، وبدأت الأموال التى دخلت اليمن تخرج ، وقرر البيضانى اقامة مشروعه فى عدن ، وسافر الى عدن وهناك تحدث فى السياسة ، وتحدث عن الأوضاع فى اليمن ، أمام الجماهير اشتد حماسه فعارض الزعيم فى بعض الآراء ، وعند عودته الى القاهرة حددت اقامته فى منزله ، ثم خرجت عشرات الاشاعات حول اعتقاله . . وما زال معتقلا حتى الآن . .

أعود الى رسالتك الأخيرة لى . . وتناقضك بين التأييد والرفض للزعيم انا معك ، انها رحلة شاقة رحلة مؤلمة ، من اليقين به الى الشك به ، واعلم انك فكرت مرارا الا تقيم اى حوار حول سياسة الزعيم ، وعندما بدأت الحوار ، اقتنعت بكثير من الأخطاء ، واخطاء يذهب ضحيتها الاف الشباب ، بل ان الضحية هنا امة بأسرها هى الأمة المصرية .

فأنا لا يمكن ان اتصور مصر قد غاصت الى الأعماق بهذا الشكل ، الكل ينمو ، ونحن نضمر ، الكل يأخذ ونحن ندفع . . لا يمكن ان اتصور هذه الهجرة الجماعية من مصر ، هجرة العمالقة وبقاء الأقزام .

ثم . . عن حرب الجراثيم . . ازعجتنى قسوة هذه الحرب وبشاعتها ، ولا انسانيتها . .

زوجى . . للنهوض باليمن الف وسيلة ، غير حرب الجراثيم والغاز السام ، والنابالم والقنابل الفسفورية الانسان انسان فى اى مكان وزمان . وعلينا ان نحترم انسانيته .

زوجى . . اعلم ان عبد الناصر سيفتح جبهة فى الجنوب ، وانه سيواصل الحرب لآخر شاب فى مصر محاولا تحقيق احلامه ، ولكن لن تتحقق هذه الاحلام . . نعم لماذا ؟

لاننا فى إفلاس اقتصادى . . لأننا محاصرون من كل اتجاه ، واخشى ان يأتى اليوم الذى لا تستطيع ان تدفع فيه رواتب العاملين فى هذه الدولة التى شاخت من كثرة الديدان .

نحن هنا فى مصر ، محاصرون . .

محاصرون بالفساد الادارى . .

محاصرون بأزمة اقتصادية جعلتنا من افقر الدول . . محاصرون بالأعداء . .

محاصرون باسرائيل فى الشرق الأوسط . .

واتصور انه لن يترك ليحقق مثل هذا النجاح ، لن يستطيع ان يحقق آمال هذه الامبراطورية ، واريد ان أقول كلمة انصاف ، انه مؤمن بما يفعل وانه يتصور ان ما يفعله هو الصواب ، مؤمن بالدماء التى اريقت على جبال اليمن ، مؤمن بعدم معارضته لأنه يعمل لصالح الناس . . لكل الناس . .

وهذا الايمان جاء لعدم وجود من يقول له اين الصواب . واين الخطأ . . ليقول له اننا قد نموت جميعا من شدة الطغيان ، ليقول له ان الحرية تلد العمالقة . وتلد الرخاء ، وتلد التقدم وتلد الحضارة . وانه فى غياب الحرية يموت كل شىء ، وأخشى أن نموت .

● زوجك

● ● ●

• الرسـالـة الثامنة •



زوجتى . .

لا . . لم نتفق بعد ـ كما جاء فى رسالتك السابقة لى ـ فلقد تصورت اننى أرفض الزعيم ككل ، بل فقط اننى اعتبر أن أكبر خطأ له فى اليمن ، ذلك أن لحرب اليمن آثارا سيئة للغاية على الشعب والقوات المسلحة ، فهى باختصار انهكت اقتصاد مصر ، وخلقت للجيش أسلوبا قتاليا لا يصلح والمعركة الحتمية القادمة مع إسرائيل ، إلا ان هذا لا يعنى اننا ننسى السد العالى ، والمصانع ، والمدارس ، والأرضى التى استصلحت ، وثقل مصر السياسى فى العالم كله ، ويكفى عبد الناصر انه غرس القومية فى أرض مصر ، والتى حاول الاستعمار ان يبعدها عن الأمة العربية بكل وسيلة . .

ولكن حربنا فى اليمن خطأ ، وخطيئة ، وكل ما أرجوه أن نتحدث عن السلبيات والايجابيات ، ولا ننسى الايجابيات فى غمرة أحزاننا فى اليمن . .

الأحداث هذه الأيام ـ فى اليمن ـ سريعة ومتلاحقة ، هنا فى اليمن محاولات للسلام فشلت ، ولهذه قصة طويلة ، وهنا محاولة للبقاء فى اليمن فترات طويلة ، ولهذه حكاية ثانية وهنا قتال من نوع آخر بدأ فى الجنوب العربى ولهذه حكاية ثالثة ، وهنا الجمهوريون مختلفون ، وهذه قصة رابعة ، ولكن كل هذه الحكايات هى ألوان مختلفة تشكل فى النهاية الصورة فى اليمن . .

ولا أعتقد أن كل هذه الأحداث تتسع لرسالة واحدة ، وسأكتفى فى هذه الرسالة بالموقف العسكرى المصرى فى اليمن بعد زيارة الرئيس جمال عبد الناصر الأخيرة والآخره . .

عندما كان الرئيس جمال عبد الناصر فى اليمن ، عرضنا عليه الموقف العسكرى فى اليمن . وكان يتلخص فى أن قوات ضخمة تواجه قوات عصابات صغيرة ، وأن هذا يؤدى إلى خسائر فادحة . وقد علمنا من الرئيس جمال عبد الناصر بأن فكرة الانسحاب التى تراود بعض القادة غير واردة استراتيجيا ، واننا سنظل فى اليمن حتى خروج آخر جندى بريطانى من الجنوب العربى ، ووعد بأنه سيعقد اجتماعات مع القادة العسكريين فى القاهرة « لتقنين » الموقف العسكرى فى اليمن ، ووضع سياسة جديدة لوجود القوات ، وخاصة ان الجانب الآخر يتصور اننا نريد ان نخرج من اليمن بطريقة كريمة إلى حد ما ، لذلك فهو يوجه ضربات للقوات المصرية حتى لا نخرج من اليمن بطريقة كريمة . .

ولقد جاء الحديث حول الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى تخنق مصر ، وخاصة ان السلاح والذخيرة ندفع ثمنها سواء نقدا بالعملة الصعبة للاتحاد السوفيتى أو بيع المصنوعات والخامات المصرية للاتحاد السوفيتى . .

ثم كان رقم الذين استشهدوا فى اليمن مذهلا ، حتى للرئيس جمال

عبد الناصر ، وكان يريد أن يقلل من عدد الشهداء الذين يقتلون فى الكمائن المستمرة للقوات المنتشرة فى كل اليمن .

وفى اجتماع سرى عقد فى القاهرة واشترك فيه قادة الأسلحة ، والمشير عامر واللواء مرتجى ، ظهرت استراتيجية النفس الطويل ، وهى نظرية ليست جديدة فى الساحة العسكرية ، وهى تعتمد على البقاء فى منطقة ما أطول مدة ممكنة وبأقل الخسائر ، وعسكريا مجهدة فى الخطوات الأولى لتنفيذها ، إلا انها بعد ذلك تتيح للقوات الراحة ، وقد تؤدى سياسة النفس الطويل إلى تحقيق الأهداف التالية :

أولا : تقليل حجم القوات الموجودة فى اليمن ، وبالتالى تقليل الانفاقات ..

ثانيا : امكانية البقاء أطول مدة فى اليمن . .

ثالثا : امكانية القضاء على حرب العصابات . .

ابعا : تقليل الخسائر فى الأرواح التى تتم عن طريق الكمائن ، والهجوم على الوحدات الصغيرة . .

وفى بداية فبراير ١٩٦٥ بدأ تنفيذ سياسة النفس الطويل ،أو تجميع القوات ، وهذه السياسة لنؤكد للمملكة العربية السعودية أننا سوف نبقى فى اليمن ، وبالتأكيد فان هذه السياسة سوف تنسف كل جهود السلام القادمة والتى سوف أحدثك عنها . .

ولعلمك ،اننا لو رغبنا فى الخروج اليوم من اليمن ، فان آخر جندى يرحل بعد عام من الآن ، فلم يعد الأمر سهلا . . المهم ألا نغرق فى رمال اليمن المتحركة . .

جاءت التعليمات من القاهرة بخطوط عامة ، وطلبت التعليمات من قيادة القوات المصرية فى اليمن تنفيذها ، كانت الخطوط العريضة تقول :

١ ـ تجميع القوات فى صنعاء ، الحديدة ، تعز . .

٢ ـ فى حالة اشتباك لابد ان يحسم بكل عنف وقوة وتشترك كافة الأسلحة فى الردع والحسم . .

٣ ـ الهجوم ، على القوات المتجمعة أن تهاجم بعنف كل محاولة لتجميع قوات ملكية . .

وبدأت القيادة المصرية فى صنعاء تنفيذ خطة « تركيز القوات » فى المناطق الأساسية ، وبدأت الوحدات الصغيرة فى منطقة الجوف تتجمع ، حيث أن هذه القوات هى أكبر قوات منتشرة فى اليمن . .

ولقد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر عن سياسة « النفس الطويل » وقد أدى ذلك إلى دفع رجال القبائل بالكثير من المقاتلين لمحاولة ضرب القوات التى بدأت تلتحم بعضها بالبعض الآخر ، كان أهم تجمع هو تجمع قوات الجوف ، فهى منتشرة فى طرق وعرة ، ويسهل القتال معها بالشكل الذى نعيشه فى اليمن ، وبخسائر كثيرة فى الأرواح أمكن القيام بعملية تجميع قوات الجوف والتى اتجهت إلى صنعاء . .

ولقد قام بهذه العملية بنجاح اللواء سعد الدين الشاذلى ، ولقد بدأ التنفيذ فى البداية بأن طلب شيوخ القبائل فى المنطقة لمقابلته ، واجتمع بهم ، وطلب منهم عدم التعرض للقوات المصرية والتى سوف تتحرك فى طريقها إلى صنعاء ، كما أخبرهم اللواء سعد الدين الشاذلى بأن أى ضرب لهذه القوات سيقابل بعنف شديد . .

والحقيقة أن الرجال ـ رجال القبائل ـ تأثروا من خروج القوات المصرية ، وتصوروا انه انسحاب كامل من اليمن ، ولا أدرى هل كانت عاطفة أم مصلحة . .

وقام اللواء سعد الدين الشاذلى بتبليغهم بكافة الطرق التى كان يتسلل الملكيون عن طريقها لضرب قوات الجوف ، ونجحت عملية التجمع فى المرحلة الأولى . .

وبدأ تنفيذ سياسة « النفس الطويل » وأمكن تجميع القوات فى الأماكن التى حددتها القيادة السياسية المصرية . .

ويمكن ان يقال ان شمال اليمن أصبح خاليا تماما من القوات المصرية . وقد دفع ذلك بالملكيين الى تشكيل جيش قوى لاحتلال الأماكن التى اخلاها الجيش المصرى وكان هذا الجيش بقيادة الشيخ قاسم

منصر واستعد الجيش خارج صنعاء ، وقد ارسل اللواء سعد الدين الشاذلى رسولا يطلب منه عدم المحاولة وهدد الشيخ باحتلال صنعاء ، ولكن رسول الشاذلى اهانوه ، بل كادوا يقتلونه ، واعادوه إلى صنعاء فى حالة سيئة . .

وقررنا الهجوم على جيش الشيخ قاسم ، واشترك معنا بعض القوات من الجيش اليمنى ، وتحركت القوات المتركزة على مشارف صنعاء فى اتجاهات ثلاثة لتحاصر تماما قوات الشيخ قاسم ، وقامت القوات الجوية اثناء عملية الالتفاف بالقاء قنابل مستمرة فى منطقة وجود هذه القوات ، ودارت أعنف معركة شهدتها اليمن ، قوات كثيفة من الجانبين ، كانت قواتنا تقدر بحوالى خمسة وعشرين ألف مقاتل ، بالاضافة إلى حوالى ألف من الجيش اليمنى ، وكانت قواتهم تقدر بحوالى ٨٠ الف مقاتل ، ولديهم كافة أنواع الأسلحة ، استمرت المعركة عدة اسابيع ، ونتج عنها آلاف القتلى من الجانبين ، وخاصة من الجانب الملكى ، وانتهى جيش الشيخ قاسم ، وتدخل مستر روشان مندوب الصليب الأحمر الدولى لاخلاء القتلى ، وطلب مستر روشان من قائد القوات العربية بعض الأطباء المصريين ، وسيارات اسعاف لانقاذ المصابين من الجانب الملكى ، وأسرع رجالنا بكل حماس للقيام بهذه المهمة الانسانية ، ان طبيبا صديقا قد اجرى ٣٠ عملية جراحية فى يوم واحد ، لثلاثين من رجال القبائل التى كانت تقاتل القوات المصرية ، ان طلب مسيو شومان أظهر له مدى طيبة وصبر اطباء مصر ، لقد قال لهم بعد ان شاهد على مدى عدة ليال العمليات الجراحية التى قاموا بها « انتم أطباء اكفاء ، وأكثر ما يميزكم انكم أكثر من البشر ، فانتم الملائكة » . .

كانت هذه المعركة من اشرس المعارك ، لو جلست مع الجنود واستمعت إلى القصص الخرافية لهجوم القوات المصرية ، لن تصدقى . .

اننى استطيع أن اقول ان المقاتل المصرى خير من يهاجم ، ويقتحم

بلا خوف ، فلقد كانت جيوب الملكيين الموجودة فى كهوف الجبال تحتاج إلى قتال مواجهة ، واقتحام ، وقد نفذ المقاتلون هذه العملية الكبيرة بشجاعة منقطعة النظير . .

زوجـتى . .

لقد استخدمنا فى هذه العملية عشرات الأطنان من الذخيرة ، والروس يبيعون لنا الذخيرة بشكل احتكارى كما اننا استخدمنا دبابات وسيارات مصفحة وأسلحة متوسطة وثقيلة خرجت من المعركة لا تصلح لمعركة أخرى وإذا كنا هنا فى سبيل المبادىء ، وإذا كان الاتحاد السوفيتى يساعدنا لاننا نحارب حرب مبادىء ، وإذا كان هناك لقاء بين مبادئنا ومبادئهم ، يكفى اننا نحارب الاستعمار والرجعية ، فلماذا لا تدفع موسكو ـ على الأقل ـ ثمن السلاح والذخيرة فى اليمن ؟

وقد كان سؤالى لقائد القوات فى اليمن . . وقال القائد :

— ان الاتحاد السوفيتى قرر ان يتنازل عن نصف ثمن الذخيرة والسلاح الذى استخدم فى اليمن . .

زوجـتى . .

أعلمى اننا هنا باقون . . ليس هناك ملامح للخروج من اليمن ، إن عبد الناصر يريد تحرير الجنوب والخليج العربى من الاستعمار البريطانى وتسليم مقاليد الحكم للقوى الوطنية . .

من هنا كانت العملية « صلاح الدين » والعملية صلاح الدين تكاد تكون منفصلة عن العملية ٩٠٠٠ ، ولقد اقيمت قيادة العملية صلاح الدين فى مدينة تعز الجميلة والقريبة من حدود الجنوب العربى ، أو الجنوب اليمنى المحتل فما هو الجنوب العربى ـ كما تسميه الرابطة ـ أو ما هو جنوب اليمن المحتل ؟

الاجابة على هذا السؤال ، هى القاعدة ، أو احدى القواعد الأساسية التى تركز عليها الاستراتيجية المصرية للبقاء فى اليمن . .

نحن هنا باقون إلى ما شاء الله . . لن نخرج بسرعة حتى يتم تحرير الجنوب العربى ، والعملية صلاح الدين هى دفع تحرير الجنوب

العربى ، ومن الجنوب ننطلق إلى ظفار ومسقط وعمان ثم إلى الامارات المتصالحة وقد كان هناك مغريات كثيرة لوجودنا فى اليمن منها :

١ ـ ان الاستعمار البريطانى قد انهكته حروب عبد الناصر فى الدول العربية أو فى افريقيا أو آسيا ، وقرر الرحيل . .

٢ ـ ان الأنباء القادمة من السعودية تؤكد ان ظلال حرب اليمن ، لا تترك ظلالها وبصماتها على القصور الملكية فقط ، بل وعلى كل مواطن فى المملكة العربية السعودية . .

٣ ـ ان حرب اليمن قد أدت إلى استيقاظ المواطن العربى فى عمان والخليج العربى ، وانه يمكنه ان يقول للاستعمار البريطانى : لا . .

أنا أعلم ان ردك سيكون . . ومصر . . وأقول لك ـ زوجتى ـ قلبى مع مصر . . مع بلادى الجميلة . . مع شبابها . . مع الأبرياء فى السجون . . مع الجوعى فى سبيل اليمن . . مع الأرامل . . مع اليتامى . . مع الفقراء من شعبنا المطحون . .

زوجتى . .

فى نهاية رسالتى . . يراودنى سؤال محير . . هل يقدر العالم . . والعالم العربى بصفة خاصة . . ما تقدمه مصر فى اليمن . . هل سينسى العالم العربى ذات يوم ان آلاف الزهور قد دفنت هنا ؟

زوجتى . .

يوما ما . . سنخرج من اليمن . . لا أدرى متى ؟ وبودى ان أعود اليها بعد عشر سنوات . . بودى ان أرى شيئا غريبا . . مقابر الشهداء فى اليمن . . كيف ستكون ! . . هل كمقابر شهداء الحرب العالمية الثانية فى العلمين ؟ . . أم أنه لن يكون هناك مقابر للشهداء ؟

زوجتى . .

سأطلب منك طلبا ، أنا . . إذا دفنت هنا . فكل ما أرجوه ان تذهبى ـ ولو فى نهاية عمرك ـ لتضعى زهرة على قبرى . . وان لم يكن لى قبر . . فانثرى فى أى مكان من اليمن الزهور على هذه الأرض . . لهؤلاء الشهداء بلا قبور . .

● زوجك

• جواب الرسالة الثامنة •

زوجـى . . الغـائب . .

عاد الرئيس جمال عبد الناصر من جدة بعد مباحثات حول « السلام » مع الملك فيصل ، وعقب عودته علمنا بعض التفاصيل عن هذه المقابلة المثيرة . . عندما بدأت المباحثات نظر الرئيس جمال عبد الناصر . . للملك فيصل . . وقال له :

— يا أخ فيصل . . تعال نناقش بصراحة . . موقفى فى مصر « زى البمب » . . لا يمكن الاطاحة بالنظام فى مصر . . ان الأجهزة عيونها على كل الناس . . ان الأزمة الاقتصادية لن تهز النظام فى مصر . . والعائدون من اليمن ضباطا أم جنودا لن يقوموا بأى انقلاب كما قالت لك المخابرات الأمريكية . .

ثم نظر الرئيس عبد الناصر إلى الملك فيصل وقال له :

— لقد اعتقلت لك فى الأسابيع الماضية ١٠٠ ألف من الاخوان المسلمين . . ففى خلال الشهور الماضية تحولت المدارس [illegible] . ومن فى عداد الاخوان المسلمين ، أو حتى من كان له صلة بالاخوان المسلمين . .

لقد بدأت « هوجة عرابى » بحديث بين الرئيس جمال عبد الناصر وعبد العظيم فهمى وزير الداخلية . .

— كيف حال الاخوان ؟

— كل التقارير تؤكد انهم مستكينون . .

— أنت نايم يا عبد العظيم . . دول معاهم سلاح . . وحيقلبوا البلد . . اصحى يا أستاذ . .

ووضع الرئيس جمال عبد الناصر سماعة التليفون . .

لقد ذهب أحد السائقين يقول للمباحث العسكرية ان جماعة استأجروه لحمل سلاح من مكان إلى آخر ، وانه يستطيع ان يدل على هذا المكان . . وكان الاخوان المسلمون يعدون فعلا انقلابا ضد حكم الرئيس جمال عبد الناصر ، وقيل ان قائد الانقلاب هو الأستاذ سيد قطب ، واستطاع سيد قطب أن يستقطب آلافا من الاخوان المسلمين ، وان يشترى سلاحا من الأهالى والذى كان فى حوزتهم منذ عام ١٩٥٦ وجمع السلاح فى قرية من قرى الجيزة وكان هنا آخر شحنة من السلاح فى طريقها إلى المخازن ، واستطاع سيد قطب ان يكون جيشا للاستيلاء على الحكم . . وفجأة ذهب السائق إلى الشرطة العسكرية الجنائية ليكشف عن هذا الانقلاب ، وعن الأجهزة السرية التى استطاع سيد قطب تكوينها . .

وأخطر الرئيس جمال عبد الناصر ، وعلى الفور خرجت قوائم كافة الاخوان المسلمين ، الذين اعتقلوا قبل ذلك أو الذين لم يعتقلوا ، وفى هذا الوقت كان يمكنك ان تدخل أى إنسان السجن ، بأن تشير بأن هذا الرجل من الاخوان . .

واسندت مهمة اعتقال جماعة الاخوان المسلمين لثلاثة أجهزة :

- الشرطة والأمن العام . .
- الشرطة العسكرية الجنائية . .
- مكتب الأمن لرئيس الجمهورية . .

وكان هناك تنافس بين الأجهزة الثلاثة على من يعقتل أكثر . . وكثيرا ما حدث ان ذهبت قوة من الجهازين فى وقت واحد لاعتقال شخص ما ، وتحدث بين أفراد الجهازين مشاجرة ، ومن يعتقل هذا الرجل . .

وكثيرا ما ذهبت قوة الاعتقال إلى من كان من السابق بين جماعة

الاخوان المسلمين فيقال لهم . . لقد حضرتم متأخرين عدة سنوات . . لقد مات ؟ ؟

وكثيرا أيضا ما كانت تذهب الشرطة لاعتقال شخص ما فيقولون لهم انه معتقل منذ سنوات ، فيعتقلون أى شخص فى البيت . .

ولقد استثنى من هذه الاجراءات رجال الاعلام ، وحدث أن كان أحد الصحفيين من الذين كان لهم علاقة قديمة بالاخوان المسلمين قد حصل على تأشيرة خروج ، وسافر إلى الاسكندرية ، وأثناء سفره بدأت « هوجة عرابى » ، فذهب أحد رجال الجمارك يسأل عنه ليلغى التأشيرة حتى لا يسافر ، وعاد الصحفى إلى القاهرة وعلم من البواب ان ضابط شرطة قد سأل عليه ، وقد خشى ان يتصور انه هارب فذهب إلى الشرطة وقال للضابط ان أحد الضباط قد سأل عنه . . وبدأ الضابط يبحث فى كشف المطلوبين فلم يجد اسمه ، ووقف الضابط حائرا ، إذا تركه فقد يسألونه لماذا لم تعتقله وقد جاء لك برجليه ، وإذا اعتقله ، فقد يسألونه لماذا اعتقلته وهو لا اسم له بين المطلوبين ، ووجد ان اسلم حل لهذه المشكلة أن يسأل الأعلى منه ، واحتار الأعلى منه كحيرته ، فاتصل بأعلى الأعلى ، واحتار الثالث ، فيبدو ان المسئولين من شدة الخوف لا يستطيعون اتخاذ ، قرار ، وظل الصحفى أربعة عشر شهرا لمعرفة ما إذا كان مطلوبا اعتقاله أم لا ! !

بعض الاخوان من كثرة ما اعتقلوا قرروا أن يعملوا كل شىء يتناقض ومبادىء الاخوان المسلمين ، ومن كثرة ممارستهم لهذا التناقض أصبح أمرا عاديا ، ورغم ذلك أعتقل العشرات ممن كانوا فى البارات والكباريهات وعلب الليل فى القاهرة . .

ومن كثرة الأبرياء فى المعتقلات ، ومن عدم وجود أماكن للمعتقلين ، ولأن الدراسة بالمدرسة كانت على الأبواب فلابد من اخلائها للتلاميذ ، فلقد وضع تقليد رحيم ، من يجد كفيلا كبيرا ، يمكنه ان يخرج من السجن ، والكفيل هنا أما وزير أو ضابط كبير على صلة بالنظام ،

وذهبت أسرة عم الأستاذ أمين هويدى تطلب منه كفالة عمه الحاج عبد الرازق الرجل العجوز ، ولكنه رفض . .

زوجــى . .

لقد سمعت حكايات كثيرة ، وكثيرة جدا ، كلها تشير إلى أمر خطير ، ان الخوف قد فرق الأسرة ، والأسرة إذا تمزقت ، تمزقت معها الأخلاق . .

هل تعرف معنى الاخوة . . انها كانت علاقة مقدسة ، والآن اسمع قصة أخ ولا أصدقها ولكنها للأسف حقيقة تؤكد نهاية المبادىء والتقاليد ، أن أخا فى القوات المسلحة بلا سبب أخذ يلفق لأخيه أى تهمة تفصله من عمله مرة يرسل شكوى لرئيسه بأنه يسب فيه ، ومرة أخرى يرسل لرئيسه بأنه سمسار ، ومرة أخرى بأنه يعمل عملا خارجيا وهذا - فى رأيه - ضد القوانين ، ووجد « هوجة عرابى » فأرسل فى شقيقه يقول انه من الاخوان المسلمين فاعتقلوه . . وفى التحقيق قال انه وشقيقه كانا ينتميان إلى جماعة الاخوان المسلمين وفصل شقيقه الضابط فى القوات المسلحة من عمله واعتقل هو الآخر ! !

كانت مصر - زوجى - اشبه بغابة كبيرة ضاعت فيها القوانين وماتت فيها العدالة وانتحر الحق وتبخرت الأخلاق ، وكان الشعب كله يريد ان يلحق بسفينة نوح قبل الطوفان ، إن يوما من هذه الأيام يجعلك تكفر بكل شىء ، فاننا نعيش هذه الأيام لحظات أقوى من الطوفان ، لم تبق عاطفة نبيلة ، ولم يبق سوى اللحاق بالسفينة قبل الطوفان . . يرسلون كل الناس إلى السجن الحربى ، حيث يوجد رجل عزب رغم انه فى رتبة لواء ، اسمه حمزة البسيونى ، أرجوك ألا تنسى هذا الاسم مهما بلغ منك العمر ، وأرجوك كل الرجاء أن تبصق دائما عندما تسمع هذا الاسم اللعين ، انه ممثل النظام فى السجن الحربى ، انه سفاح تحميه القوانين ان إمرأة فاضلة اسمها زينب الغزالى تبلغ من العمر ما فوق الخمسين ، أرسل لها جنديا - بالأمر- يضاجعها . . تصور !

حمزة البسيونى ، مادام اسمه موجودا فى مصر ، فانه علامة اللا إنسانية ، وعلامة التخلف ، وعلامة الظلم بلا عدل ، وعلامة اختفاء الحق والقانون ، وعلامة شريعة الغاب ، وعلامة البغاء والخلق المهدور الذى تراه فى شوارع القاهرة هذه الأيام . .

حمزة البسيونى اسمه تحفظه كل أسرة . . فلكل أسرة سجين ، ولكل سجين حكاية نادرة وقاسية فى ذات الوقت مع حمزة البسيونى ، سفاح بدرجة لواء ، ولواء بدرجة سفاح ، وهو يتصور ، ويتصور غيره انه يحمى النظام ، انه وحده كفيل بان يدين النظام فى محكمة حرة ، هى محكمة التاريخ ، انه وحده كفيل بأن يقال كان فى مصر رجل اسمه حمزة البسيونى يحمى النظام بأقسى من الحديد والنار . .

كان فنانا فى تعذيب البشر ، كان مبتكرا لكل وسائل التعذيب . .

وسط كل هذه الصور المخزية أقول لك ، أنا لا أرفض الناصرية . .

من يرفض القومية كأقوى المبادىء . . ؟

من يرفض العروبة كأحلى انتماء ؟

من يرفض الاشتراكية كأعظم أنواع العدالة !

من منا لا يود أن يعيش فى مجتمع الكفاية والعدل ؟

من يقبل الاقطاع ؟

من يقبل رأس المال المستغل ؟

من يقبل العبودية ؟

من يرفض الحرية ؟

من يرفض الوحدة ؟

من يهادن الاستعمار ؟

أليست هذه الناصرية ؟ . . نعم . . الناصرية هى الحرية والوحدة والاشتراكية ومحاربة الاستعمار والقضاء على الاقطاع ، والعبودية والقضاء على رأس المال المستغل ، واقامة مجتمع العدالة والكفاية . .

الحرية انتحرت . .

والاشتراكية . . الفقر . .

والوحدة هتافات . . بعد اجهاضها فى سوريا . .

والاقطاع استشرى . .

والعبودية طريق المناصب . .

ورأس المال فى الطبقة الجديدة السمسارة . .

والعدالة فى الجهل والفقر والمرض . .

واستعمار جديد باسم جديد بدلا من الاستعمار القديم . .

وقد تقول ان السبب فيمن هم حول الرئيس ، وأقول انها لغة بليدة لغة قديمة ، ليست لغة العصر فإذا أردت ان تعرف شخصا فاعرف من حوله . .

هل تذكر محافظ أسيوط الذى قال فيه وأمامه انه اشبه بالرسول محمد ﷺ ، وقلنا انه سيفصل من عمله لشدة نفاقه ، لهذا أصبح محافظ أسيوط هو محافظ العاصمة . .

زوجـى . .

النفس البشرية ضعيفة ، فإذا تعودت على المديح ، رفضت كلمة حق ، كلمة نقد ، وقد يجرحك هذا الكلام ولكنها الحقيقة ، والحقيقة دائما مؤلمة . . ونحن نعيش فى الآلام . . فى آلام الحقيقة . .

زوجـى . .

ان الخلاف فى الرأى قد يظهر الحقيقة ، والحكم هنا يريد الناس قوالب ، لونا واحدا ، شكلا واحدا ، طابورا واحدا ، وبلا رؤوس . .

ومن يخرج عن الطابور ، ومن يحاور أو يناقش أومن ترفع هامته ، أو تنبت له هامة قطع رأسه ووضع فى الطابور . . ومن كثرة هذه الممارسة ، أصبحت هواية ، وامتدت الهواية لغير المصريين ، قد تفجع ، وقد تكون أخفيت عنى فى رسائلك الخبر ، ولكن هل تعلم ان عشرات من اليمنيين وغير اليمنيين ، الذين خالفوا الزعيم الرأى منتشرون الآن فى سجون مصر . .

● مهدى عملش « عراقى » وجدوا ان أحسن معتقل له بيت فى مصر . .

● معين بسيسو « شاعر فلسطينى » خالف عبد الناصر فى الرأى فوضعه فى الواحات ، وذات مرة قالوا له أكتب استرحاما للرئيس عبد الناصر وسوف نفرج عنك . . فكتب هذه القصيدة :

اركع
اركع للورقة
اغرز قلمك فى عينى طفلك
واطلب ما أمرك ان تكتب من ذبحك
بالقلم على عتبة بيتك
كوم أوراقك قدامك
واسال جلادك . . عن عود ثقاب

● ابراهيم طوبال « مناضل تونسى » فى المعتقل بمناسبة زيارة الحبيب بورقيبة للقاهرة . .

واليمن لها حكاية مع حمزة البسيونى أو مع السجن الحربى . .

فى ١٦ سبتمبر الماضى ، حضر إلى القاهرة النظام الجمهورى لديك ، وكان المفروض ان يقابل الرئيس جمال عبد الناصر ، واستقبلوهم فى المطار استقبالا رسميا ، وركبوا السيارات تحميهم الحصانة الدبلوماسية وبدلا من مقابلة الرئيس قابلوا حمزة البسيونى فى السجن الحربى . .

● أحمد نعمان عضو المجلس الجمهورى ورئيس وزراء اليمن والذى يرى انه يمكن التفاهم مع السعودية مع البقاء على النظام الجمهورى . .

● الفريق حسن العمرى القائد العام للقوات المسلحة اليمنية ويرى ان القوات اليمنية تستطيع وحدها مواجهة الملكيين فى حالة خروج القوات المصرية . .

● حسن مكي نائب رئيس الوزراء ، وله نفس الآراء السابقة . .

● العقيد حسن المسورى رئيس هيئة اركان القوات المسلحة اليمنية له نفس الآراء السابقة . .

● العقيد ابراهيم الحمدى نائب القائد العام ، كان أيضا يرى ان يجتمع الزعماء العرب لوقف الدم العربى فى اليمن ، والنهوض باليمن . .

● أحمد عبده سعيد ، نفس الآراء السابقة . .

● محمد الحجرى ، وهو لا يعارض القيادة المصرية ، إنما يبحث عن مخرج من الأزمة . .

● يحيى المتوكل ، نفس الآراء السابقة . .

● محسن العينى ، نفس الراى السابق . .

● درهم أبو لحوم ، أيضا يريد حقن الدماء . .

● محمد أبو لحوم ، أيضا يريد البناء . .

● أمين عبد الواسع عثمان وزير الزراعة ، البحث عن مخرج . .

● عبد الرحمن البيضانى كان معتقلا فى بيته قبل تعيينه سفير اليمن لدى لبنان لصلة النسب بينه وبين احد المسئولين فى مصر . .

● القاضى عبد الرحمن الاريانى . نظرا لكبر سنه وخوفا من بطش السفاح حمزة البسيونى ، اعتقل فى بيته لا اتصال بالناس ، ولا للناس الحق الاتصال به . .

هؤلاء كلهم فى السجون ، لا ادرى ، هل يعلم الرئيس بذلك ؟ . . هل هو الذى أمر بذلك . . الا اننى علمت بعض الأسباب لاعتقال ثوار اليمن ، أو زعماء اليمن ، انهم يرون حلا لمشكلة اليمن ، مخرجا للسلام فى اليمن ، وهم يرون الاتصال مباشرة بالمملكة العربية السعودية لوضع صيغة للتعاون ، ونظرا لشدة الصراع بين مصر والسعودية ، فان من رأيهم ان يراقب الطرف المصرى الحوار اليمنى السعودى . . ورفضت السلطات المصرية هذا الاقتراح وقرر العمرى والاريانى

والنعمان ومكى السفر إلى الدول العربية لشرح وجهة النظر ، والتوسط بين زعماء الجمهورية ، وحماة الجمهورية ، بل ان الفريق حسن العمرى قرر ان يذهب إلى الأمم المتحدة ليعلن عن عدم قبوله لاستمرار الوضع الراهن . .

معنى ما يريده الفريق العمرى ، ان يسحب من الرئيس جمال عبد الناصر شرعية الوجود فى اليمن ، سواء على المستوى الداخلى ، أو العربى أو الخارجى ، ويضع القيادة المصرية التى تخطط للمستقبل فى موقف حرج ، وهنا استدعاهم الرئيس جمال عبد الناصر للحضور إلى القاهرة للتفاهم على هذا الموقف الجديد ، وادخلهم جميعا فى قلعة اللواء حمزة البسيونى الكائنة بالقرب من أستاد القاهرة الكبير . .

ستقول ان اليمن تستحق كل هذا ، ستقول ان اليمن تستحق آلاف الزهور التى دفنت هناك ، ستقول ان اليمن تستحق ان ينفق فيها اكثر من مليونى جنيه مصروفات يوميا ، ستقول ان اثار ثورة اليمن ستضرب فى أعماق المنطقة وتدفعها إلى الأمام ، ستقول ان ثورة اليمن ستدفع بشعب الجنوب والخليج إلى الأمام . ستقول انها بداية النهاية للاستعمار فى الخليج والجنوب وكل الجزيرة العربية . .

لن انكر شيئا من هذا ، بل لن انكر انه لولا الوصول المصرى العسكرى السريع لليمن لما بقيت الثورة ، ولاجهضت كما تم اجهاض قبلها عشرات الثورات الكبيرة والصغيرة . .

ولكن مصر ، القلعة والهدف ، البيت المصرى فى حاجة إلى ترتيب من جديد ، الانسان المصرى فى حاجة إلى اطلالة على العصر ، لقد قامت الثورة على مبادىء ستة . . ثلاثة اقامة ، وثلاثة قضاء . .

١ ـ اقامة جيش وطنى قوى . .
٢ ـ اقامة عدالة اجتماعية . .
٣ ـ اقامة حرية سياسية . .
٤ـ القضاء على الاستعمار واعوانه . .

٥ ـ القضاء على الفساد . .

٦ ـ القضاء على الاقطاع ورأس المال المستغل . .

نعم . . اقيم الجيش الوطنى القوى ، ولكن هل اقيم ليحارب فى اليمن ، والكنغو ويعسكر فى العراق أم اقيم لمحاربة إسرائيل ، ان قواتنا هذه اللحظة موجودة فى ثلاث مناطق خارج مصر ، قوات فى الكنغو ، وقوات فى العراق ، وقوات فى اليمن . ولنفترض ان إسرائيل شنت علينا هجوما ، هل ننتظر حتى تعود قواتنا ـ وهى احسن ما لدينا ـ من الكنغو أم من العراق أم من اليمن ؟ ؟

والعدالة الاجتماعية ، بدأت بمحاولة عظيمة ، إلا ان انفاقات مصر فى الخارج ، على المنظمات والأحزاب والصحف والعملاء والأفراد والقوات المحاربة لم يبق شيئا لتحقيق هذه العادلة ، وكان العدالة فى الفقر . .

الحرية السياسية ، ان لا تفكر ، تسير كما يريدون ، لا رأى لك إلا الرأى الرسمى وعليك ان تتبناه ولا تناقشه . .

يا زوجى . .

بعد قيام الثورة أو قبلها بقليل ، قدمت مصر قرضا لألمانيا الغربية بمبلغ عشرة ملايين جنيه ، والآن مصر تدق كل الأبواب بحثا عن القروض . .

فى نقاشك عن خمس عشرة سنة ماضية ، وحديثك عن المصانع التى شيدت أتنسى حقيقة ، هل تنسى انه بعد الحرب العالمية الثانية ، حدثت ثورة علمية كبرى ، هى ثورة التكنولوجيا ، فجرت هذه الثورة ثورات ضخمة فى البلاد التى كان لديها استعداد لقبولها ، تنسى ان نصيب مصر من هذه الثورة العالمية لا شىء ، وحدث مقابل ذلك ظهور المال العربى بشكل كبير يبحث عن الاستثمارات ، وكان المفروض ان يكون مجاله الحيوى فى مصر ، ولا شىء من هذا حدث . .

العالم كله يتقدم ، وكان علينا ان نضع هدفين واضحين :

مواجهة إسرائيل وبناء مصر . ثم بعدها ننطلق إلى العالم نعطى له الفائض ، نعطى له الدم نعطى له من قاعدة قوية . .

هل تريد ان تحرر العالم كله ، ثم فلسطين ، أم تحرر فلسطين ثم تحرر العالم . . ؟

هل تريد ان نبنى العالم كله . ثم نبنى مصر ؟

هل تريد الحرية للكنغولى ، والكوبى ، والايرانى ، ولكل إنسان عربى ثم تعطى الحرية للمصرى بعد ذلك ؟

اننى ارى ان نبدأ بمصر أولا ، فهى القلعة ، وهى الرائدة ، وهى القاعدة التى يمكن أن ينطلق منها كل الأقمار ! !

لست انانية ، ولكنى مصرية . .

كلامى هذا سوف يغضب اى مواطن عربى خارج حدود مصر ، انا أعلم ما يقدمه الرئيس عبد الناصر للمواطن فى سوريا ، الجزائر ، وفى المغرب والخليج ، وانا أعلم ان عبد الناصر قد قام بحماية ثورات البلاد العربية ، انا أعلم ان اصلاحات داخلية كثيرة ، وانفتاحا كبيرا حدثت فى عدد كبير من الدول العربية خوفا من الناصرية ، وانا أعرف أن هامات المواطنين فى الخليج العربى والجنوب العربى قد ارتفعت ، وصوتهم قد قوى ضد القوات البريطانية الموجودة ، انا أعلم الثوارت التى تفجر ضد الاستعمار فى آسيا وافريقيا . .

ولكن من يدفع !

المواطن المصرى ، يدفع من حياته ومن دخله ، ومن قوته اليومى ، والآن يدفع من دمه ، ويدفع باعز ما يملك بزهور تدفن او تزرع هنا وهناك . المهم اننا نحتاج لهذه الزهور فى تربتها الطبيعية على أرض مصر الطيبة ، فاننى أخشى ان نحتاج يوما فلا نجد من يقدم لنا شيئا ، بل اننى لا أريد ان احتاج لأحد ، لأننا اثرياء ، ولكن هذه الثورة تصدر خارج الحدود . . وداخلى ممزق . .

● زوجـــتك

● الرسالة التاسعة ●



صنعاء في ديسمبر عام ١٩٦٦

زوجى . .

قبل أن أتحدث عن لعبة « السلام » في اليمن ، أود أن أهمس لك بما يجول في خاطرى ، لقد جاء لنا أحد العملاء من المملكة العربية السعودية وتحدث عن آثار حرب اليمن في الجزيرة العربية ، ولقد أعجبنى حديثه ، على الأقل أن الزهور التى دفنت هنا لم تذهب هباء ، أخذت بعدها أفكر في آثار هذه الحرب خارج مصر ، ووجدت أمامى هذه الصورة . .

● في المملكة العربية السعودية انفتاح داخلي ، ومشروعات ، ومدارس ، ومستشفيات ، حتى ان سكان نجران لم يعرفوا طوال حياتهم المال ، وكانت حياتهم كلها بالمقايضة ، لم يذوقوا اللحم ، لم يروا سيارة ، لا يوجد طريق ، والآن هناك طرق ومطارات ، وأموال ، ورخاء .

● في الجنوب العربي شعور قومي لم يشهد له التاريخ مثيلا ، والاستعمار البريطاني لابد أن يرحل عاجلا أو آجلا ، ولم يعد منطقيا وجود العقول المتحجرة للسلاطين ، هم أيضا في الطريق إلى الزوال .

● في الخليج العربي ، يستعد رجاله لاستلام مقاليد البلاد بعد قرب رحيل الاستعمار البريطاني .

● في الكويت تجربة ديمقراطية كانت السعودية تريد ضربها لولا انشغالها بتطورات الأمور في حرب اليمن .

ولكن . .

فكري في مصر الحزينة ، في الشباب الذي يدفن هنا ، في الأموال التي تهدر هنا ، في الأرواح التي ترهق هنا ، وكأن الدم المصري أصبح رخيصا جدا ، وكأن المال المصري أصبح مشاعا لكل إنسان إلا شعب مصر ، ومصر باستمرارها في حرب اليمن أصبحت منهكة القوى ، وأخشى أن تنتهي هذه الحرب بكارثة على مصر ، وعلى هذا الشعب الصبور .

مصر - زوجتي - تحمي ولا تهدد ، تعطي ولا تأخذ ، وتعطي إلى آخر ما تملك من مال ، من تأييد ، من حب ، بل ومن دم أحمر قان كلون القرص الأحمر في المغيب لأنه دم الشباب !..

وكل ما أخشاه . أن يحتاج الرئيس عبد الناصر ، جانبا ولو ضئيلا لما يقدمه فلا يجد إلا الجحود ، ولا يجد إلا الرفض .

سأحكي قصة غريبة ، أشبه إلى الرق منها إلى أي شيء آخر ، دولة عربية ، لا لن أذكر إسمها ، ليس لديها خبرات ، لديها القليل من

فى حاجة إليهم وإلى أضعاف أضعافهم ، هذه الخبرات تصدرها إلى الخارج بأثمان مرتفعة ، ترسل للرئيس عبد الناصر تطلب خبرات مصرية ، ومصر تلبى الطلب من منطلق قومى ثم تعطى المصريين رواتب ضئيلة وتتحمل مصر الفروق وأحيانا تتحمل مصر كل رواتب البعثة المصرية بينما أبناء هذه البلد يعملون فى الخليج والسعودية وهى فى الأساس تجارة ، تجارة رقيق .

زوجتى - إذا كان هذا قدرنا ، فلماذا لا نغير هذا القدر ؟ . . لماذا لا نثور على هذا القدر ، لأننا بقليل وقليل جدا من الذاتية ، وعطاء ليس بهذا السخاء نستطيع أن نصنع من مصر قطعة من أوربا ، بل منافسة لأوربا فى شمال أفريقيا .

آه لو نخرج بسلام من اليمن ، آه لو أنفقنا ما أنفقناه فى اليمن على قرى مصر ، وشعب مصر ، لشهد العالم دولة عظيمة وقوية ورائدة .

ولكن فى اليمن ، كانت المأساة ، وفى اليمن كانت أحلى الزهور تدفن هنا وثوار الأمة العربية كالمتفرجين فى حلبة مصارعة ، دخلوا الحلبة ببطاقات مجانية ، بل بطاقات دفعت مصر ثمنها ، ولا تأخذ منهم إلا الأصوات العالية .

وقصة السلام فى اليمن ، قصة قديمة ، صنعتها الأقدار منذ مئات السنين ، فاليمن أشبه بغناء مسرح رومانى ، العالم يتفرج على أطراف كثيرة متصارعة ، كل متصارع جديد فى لعبته ، يشد المتفرجين .

ولكى نفهم السلام ، لابد أن نفهم أطراف اليمن ، وأطراف اللعبة . أو المتباحثين عن « السلام » .

حلبة المصارعة عليها مصريون ، وسعوديون ، ويمنيـون ، وأمريكيون ، وسوفييت ، وانجليز ، كل هؤلاء اتخذوا من اليمن مسرحا للصراع .

● المصريون ، لهم وجهتا نظر فى « السلام » ، البعض يرى السلام فى رحيل القوات المصرية مهما كانت النتائج ، لأن مصر فى أمس الحاجة إلى

أبنائها وأموالها التى تهدر فى اليمن ، والآخر يرى استمرار الوجود فى اليمن حتى يمكن إخراج القوات البريطانية من الجنوب ثم عمان والخليج وبذلك يمكن حماية الثروة العربية من أيدى المستعمر ، وأن هذا هو قدر مصر .

● السعوديون ، يريدون رحيل القوات المصرية وإعادة البدر إماما على اليمن ، رغم الخصومة التاريخية بين الأسرتين ، وفى ذلك تجميد النمر اليمنى .

● الأمريكيون ، فى البداية كانوا منزعجين من وجود القوات المصرية فى اليمن ، ولكنهم وجدوا أن هذه وسيلة لاضعاف مصر اقتصاديا وإنهاك قواها وشغلها بمعركة واحدة ، وهى التى كانت تقود ضد أمريكا عدة معارك فى أماكن مختلفة وفى وقت واحد .

● الانجليز ، يريدون رحيل القوات المصرية قبل رحيلهم ، لتظل المناطق المستعمرة بالقوات البريطانية تحت سيطرتهم بعد الرحيل .

● اليمنيون ، وهؤلاء هم المشكلة ، وهؤلاء هم الأطراف الأساسيون فى النزاع .

فاليمنيون فى نزاع مع أنفسهم منذ مئات السنين ، وأى نزاع ؟ . .

— نزاع بين القبائل ـ سكان الجبال ـ والفلاحين سكان السهول .

— نزاع بين الزيود والشوافع .

— نزاع بين الهاشميين وبقية الشعب .

— نزاع جغرافى بين أقاليم اليمن .

— نزاع بين الهاشميين وأنفسهم .

— نزاع بين الذين تعلموا فى المدرسة العلمية وبين الذين تعلموا فى مدرسة الأيتام .

— نزاع بين مرتدى العمامة والخنجر وبين مرتدى الطاقية والتى يسمونها هنا « الصمادة » وهى ملبس أبناء الشعب .

— نزاع بين الملكيين والجمهوريين .

» نزاع بين الملكيين انفسهم .
— نزاع بين الجمهورين انفسهم .
أى أننا لسنا أمام « يمن » واحدة أو شطرين من اليمن ، بل أننا أمام عشرين يمنا ، وكل يمن من هذه تريد تصفية حساب تاريخى مع يمن ثانية ، وجانب من هذه الحرب ، واستمرار هذه الحرب ، يقع أساسا على حقيقتين أساسيتين :

الأولى : أن القيادة المصرية تفتقر جدا إلى دراسة علمية عن الخلافات فى اليمن .

الثانية : أن القيادة المصرية لم تتمكن من وقف المضى فى تصفية الحسابات التاريخية بين اليمنيين بعضهم البعض .

إن آلة الحرب البشعة فى اليمن لم تعطنا الفرصة لهذه الدراسة الهامة ، ولن أدعى لك أننى خبير فى هذه الخلافات ، إلا أننى سمعت حكايات كثيرة عن هذه الخلافات كان من الممكن أن تكون الخيوط للوصول إلى « حقيقة اليمن » . . وإليك القليل مما سمعته :

حكم اليمن أو « الامامة » حق للهاشميين وبدأ العهد المتوكلى عام ١٩١٨ ، وبدأ العهد بجمع زعماء القبائل من المتعصبين للسلالة الهاشمية ، المؤمنين بحقهم المقدس فى الاستئثار بالسلطة والحاقدين على الذين لم يتعصب أجدادهم قبل مئات السنين لحق على بن أبى طالب فى الخلافة من بعد الرسول هو وأبناؤه وأحفاده وأحفاد أحفاده . . وهذه القبائل أبيح لها أن تسكن فى مساكن الأهالى بالقوة حتى لو أدى الأمر ـ وكثيرا ما كان يؤدى ـ إلى إخراج رب المسكن ليحتله المجاهد فى سبيل الله ، ويفرض على الزوجة أن تتولى خدمته وإطعامة ما يختار من طعام . . وكم من أكواخ هدمت أو حرقت لأن فلاحا أو فلاحة اعتذرت بالفقر عن تلبية الرغبات المسعورة للجنود ، والتى لا قبل لأحد بها ، ولا تزال اليمن كلها تذكر إحراق خربة « الجوبان » سنة ١٩٥٥ بفعل الجنود الذين أرادوا اغتصاب حزم الحطب من الفلاحين ، فدافعوا عنها فعاد الجنود ليقاتلوا الأهالى ويحرقوا قريتهم .

فى اليمن طبقة السادة وهم من الهاشميين ، وللسادة حقوق كثيرة منها رئاسة الدولة ، وعلى كافة المواطنين أن يقبلوا أيدى السادة ، إذا كانوا من علية القوم ، ويقول محمد أحمد نعمان « أما المواطنون العاديون فالمفروض عليهم أن يقبلوا ركب الهاشميين ، وإذا أراد الهاشمى أن يرد على هذه التحية ، فليس بأكثر من وضع يده على كتف المواطن المتقوس الظهر أمامه وهو يقبل ركبته » .

يقول محمد أحمد نعمان فى مذكرة « لقد حاولنا القفز على الحواجز ، ثم دبرنا المكايد ، وانفجر البركان يريد أن يحطم كل شىء ويسحق كل مقاوم ثم وجدنا أنفسنا بعد ذلك نواجه حقائق وجودنا صارخة مجردة ، وننظر لتناقضات حياتنا ساخرة مفزعة » .

— الحريق الدمار لأرض القبائل .

— النسف والاغتيال فى المدن .

— وقتل العساكر للفلاحين فى « ماوية » وشرقة ونهب الدكاكين فى الحديدة وتعز .

— والاعدامات للهاشميين والمعممين الكبار من القحطانيين .

— والصراع المخيف على اقتسام المراكز بين الزيود والشوافع .

— وتهامة التى تبحث عن نسب لها بين الفئات المختلفة كلها تشكو انصراف الجميع عنها وتضيق بالوافدين « الحبالية » ، « فالحديدة » . لأبنائها أولا ، وليعد أهل البلاد الباردة إلى الجبال .

زوجتى . .

هذه صورة لأطراف اليمن ، ومن هم خارج اليمن الذين يبحثون عن « السلام » والسلام فى اليمن مر بمراحل كثيرة ، مرة كنا نرغب فى الخروج ، ومرة نريد أن نحقق آمالا جديدة فنتمسك بالوجود فى اليمن ، إلا أن النهاية أننا فى مأزق .

ولقد عقدت حتى الآن خمسة مؤتمرات رئيسية بحثا عن السلام فى اليمن وغير المؤتمرات الجانبية التى عقدت هنا وهناك .

● وكان أول مؤتمر يبحث فى السلام هو المؤتمر الذى عقد فى ٢ سبتمبر عام ١٩٦٣ فى مدينة عمران وكان جدول أعماله البحث عن « وقف القتال » وكان أعضاء المؤتمر من شيوخ القبائل ، ولم يسفر هذا المؤتمر عن أى خطوة نحو السلام .

● عندما اجتمع الملوك والرؤساء العرب فى الاسكندرية فى سبتمبر عام ١٩٦٤ ، كان اللقاء الأول بين الملك فيصل ـ بعد أن أصبح ملكا ـ وبين الرئيس جمال عبد الناصر ، وفى اجتماعاتهما الجانبية تم مناقشة قضية اليمن ، وتم الاتفاق على عقد مؤتمر « يضم الأطراف المعْنية » للبحث عن السلام فى اليمن ، وتم اختيار مدينة « أركويت » فى السودان للمؤتمر ، وفى ٢٦ اكتوبر تم أول لقاء بين الملكيين والجمهوريين على أرض السودان ، وكان هذا المؤتمر لبحث أمرين :

الأول : وقف القتال .

الثانى : الاعداد لمؤتمر سياسى .

وتمت الموافقة على وقف إطلاق النار ، وصدر البيان برغبة « المؤتمرين » فى عقد اجتماع جديد .

● بعد مؤتمر أركويت ، بدأ الاستعداد لعقد مؤتمر « حرض » فى اليمن ، لقد قررت الحكومة اختيار ممثل عن كل منطقة جغرافية لحضور مؤتمر حرض ، وحدثت شبه انتخابات لأول مرة فى تاريخ اليمن ، إذ قامت كل قرية أو مدينة باختيار مرشحها لمؤتمر حرض ، وجاء الممثلون إلى صنعاء ، واعترض البعض على البعض ، وبدأت الأحقاد التاريخية تطفو من جديد ، وظهرت عشرات القوى ، إلا أن هناك خمس قوى هامة ظهرت على المسرح السياسى للاعداد لهذا المؤتمر :

١ ـ الجمهوريون المنشقون ، وكانوا يرون أهمية إقامة علاقات حسن جوار مع السعودية .

٢ ـ الحكومة الجمهورية ، ترى فى الجمهوريين المنشقين خونة .

٣ ـ إتحاد القوى الشعبية اليمنية .

٤ ـ منظمة الشباب .

٥ ـ حزب الله الذى كونه محمد محمود الزبيرى ورفاقه .

وفشل مؤتمر حرض الأول ، ثم تلا ذلك أحداث مؤسفة قمتها اغتيال محمد محمود الزبيرى .

● وفى ٢ أبريل عام ١٩٦٥ عقد مؤتمر « صحر » وطالب المؤتمر العمل على إصدار دستور لليمن وتشكيل لجنة لمتابعة قرارات هذا المؤتمر العام . والتوصية على ضرورة عقد مؤتمر آخر تحضره جميع الأطراف . ولقد أعجبتنى فقرة من فقرات المؤتمر والتى تقول « يشكر المؤتمر وباسم الشعب اليمنى ، الجمهورية العربية المتحدة على كل ما قدمته من عون للثورة اليمنية وللشعب فى الجمهورية العربية اليمنية ، ويقدسون الدماء الزكية وأرواح الشهداء الطاهرة التى حققت المعانى السامية للأخوة العربية » .

أعجبتنى هذه الفقرة لأن التاريخ العربى ملىء بالجحود والنكران ، وملىء بالزيف والتزييف ، ولهذا اخترت لك هذه الفقرة من قرارات هذا المؤتمر .

● رغم هذا تعقدت الأمور ، كما تعلمين ، فإن الرئيس جمال عبد الناصر قد سافر إلى المملكة العربية السعودية ، وتم التوصل إلى اتفاقية جدة ، وأهم بنود هذه الاتفاقية هو :

١ ـ تقرير المصير فى موعد أقصاه ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦ .

٢ ـ مؤتمر جديد فى حرض يعقد يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥ .

٣ ـ وقف مساعدات السعودية للملكيين .

٤ ـ انسحابنا من اليمن قبل مؤتمر حرض .

٥ ـ تشكيل قوة سعودية مصرية تسمى قوة السلام .

وبدأ التنفيذ ، ووصلت باخرة سعودية « الطائف » إلى ميناء الحديدة تحمل معدات لجنة السلام كما تم تعيين الفريق فريد سلامة رئيسا للجانب المصرى والأمير عبد الله السديرى رئيسا للجانب السعودى واستطاعت لجنة السلام تشكيل لجان واقية ، وعن طريقها تم تسليم الأسرى المصريين وكان عددهم ٤٢ سيرا وهؤلاء تحدثوا عن

الأسرى بالعشرات الذين قتلوا في نجران وجيزان ، بأيدى قوات البدر وعلقت رؤوسهم على مداخل المدينة ، سمعت ـ زوجتى ـ من القادمين قصصا يشيب لها الأطفال لا يمكن أن يحدث هذا في أى قرن من قرون البشرية . وأسرعنا بترحيلهم إلى القاهرة .

وعلقنا الآمال على لجنة السلام السعودية المصرية ، والتى قامت فعلا بجهد كبير ، ورغم الاعداد لمؤتمر حرض ، كان الفريق حسن العمرى رئيس الوزراء لا يتعامل مع لجنة السلام ، ولا يؤمن كثيرا بشرعية مؤتمر حرض إلا أن القيادة المصرية في صنعاء استطاعت أن تكون همزة وصل بين لجنة السلام وبين حكومة الجمهورية ، حتى أمكن تشكيل الوفد الجمهورى من ٢٥ عضوا لحضور مؤتمر حرض ، وكان الوفد برئاسة القاضى عبد الرحمن الاريانى ، وحملت طائرتان مصريتان الوفد الجمهورى إلى حرض .

وحضر من الجانب الملكى ٢٥ عضوا برئاسة القاضى أحمد محمد الشامى وبدأت الاجتماعات في معسكر كبير ، ومستشفى ، ومكتب للبرقيات وإذاعة محلية .

والتقى الجانبان ، وكان لقاء حارا بين الجانبين ، وعقدت الجلسة الأولى وتحدث القاضيان الاريانى والشامى .

كان كل شىء يسير إلى الأمام ، حتى وصل أحد أعضاء الوفد الملكى ، رجل أمريكى يرتدى الملابس العسكرية للقوات الملكية اليمنية ، إسمه بروز كيندى ، أو عبد الرحمن كنده ، كما كان يطلق على نفسه ، هذا الأمريكى يتحدث اللغة العربية بعدة لهجات ومنها اللهجة اليمنية ، ودخل صالة الاجتماعات إلا أن الجانب السعودى قد نقل الأمريكى في اليوم التالى للمؤتمر ، وكان حديث الدكتور رشاد فرعون يعطى صورة للصراع في اليمن حيث قال المستشار السعودى « إن شاء الله يتعشم خير ، لابد أن ينتهى الخلاف بيننا لأنه لا يستند إلى أسباب قوية . ان بعض محترفى الحروب يأتون إلينا ليتسلموا رواتبهم ويأخذون ثمن

ما يعملون ، وربما نفس الأشخاص يأخذوا منكم أيضا ، وأنتم شعب مسالم ـ مصر ـ موارده محدودة ، وهذه الحرب لم تجرؤ عليها جيوش الدول الكبرى ، وسنتعاون معا من أجل سحب القوات العربية من اليمن ، إننا بالنسبة لهذه النقطة متفقون تماما » .

إستمر المؤتمر شهرا كاملا ، يبحث عن تفسير لاتفاقية جدة ، وكان أهم ما يعترض المؤتمر أمران :

١ ـ ما جاء فى الاتفاقية « ليتولى طريقة الحكم » وكان الجانب الجمهورى يرى أن طريقة الحكم معناها أسلوب الحكم فى ظل الجمهورية العربية اليمنية بينما يرى الجانب الملكى شكل الحكم .

٢ ـ طالب الجانب الجمهورى إسقاط أسرة حميد الدين ، وقال الجانب الملكى إن اتفاقية جدة لم تذكر شيئا من هذا .

وأرسلوا للرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل يطلبون تفسيرا . وجاء الرد منهما يحمل نفس المعنى ، وهو التمسك بروح اتفاقية جدة .

وجاء شهر رمضان ، وانفض السامر ، وتم الاتفاق على عقد مؤتمر فى يناير ١٩٦٦ ، وأجهضت اتفاقية جدة ، وفشل مؤتمر حرض ، وانتهى السلام من ربوع اليمن ، وعاد القتال من جديد ولم تخرج ـ طبعا ـ القوات المصرية من اليمن ، وعاد الخلاف المصرى السعودى ، وعاد الخلاف بين الجمهوريين ، إلى آخر هذه الحكاية العقيمة الأليمة التى تحدثت هنا .

هذه حكاية السلام فى اليمن ، إلا أن هناك أسبابا أساسية لفشل السلام فى اليمن ، فأى إنسان يشهد لقاء اليمنيين فى هذا المؤتمر يشعر أن هناك حلقة مفقودة هى التى تقف حائلا للسلام فى اليمن ، وليس فى الأمر سر ، إن السلام فى اليمن لن يتحقق للأسباب الآتية :

١ ـ تكوين طبقة عصرية سعودية يمنية مستفيدة شخصيا من استمرار حرب اليمن ، اثرت ثراء فاحشا من هذه الحرب ، وتطالب بالمزيد ، ولن يأتى المزيد إلا من استمرار الدم ودفن الزهور فى اليمن .

٢ ـ إن هناك مرتزقة مستشارين للامام البدر ، وهؤلاء المستشارون

هم مستشارو السوء ، يصورون له إمكانية دخول صنعاء وهذا مستحيل تاريخيا ، بودى أن أقطع رقبة هؤلاء المستشارين الذين يبحثون عن مصالحهم الشخصية فيضللون .

٣ ـ الولايات المتحدة الأمريكية ترى التورط المصرى فى اليمن ، يكفل حماية من مهاجمتها فى أماكن أخرى من العالم .

وأخيرا . .

الآن نحن فى بداية عام ١٩٦٧ ، وهذه كل محاولات السلام باختصار التى حدثت فى اليمن ، وأقول لك إننا لن نخرج من اليمن إلا فى ظروف لا يعلمها إلا الله ، وإن هذه الحالة كارثة علينا ، وعلى اليمن نفسها ، فالثورة ما قامت لتستمر الحرب كل هذه السنوات ، بل قامت لتبنى يمنا جديدا غير يمن الامام والعصور ما قبل الوسطى ، واقتصادنا منهار ، وأمامنا معركة حتمية ، حتمية مع العدو الاسرائيلى لا أدرى متى تكون هذه المعركة ، ولكنها قادمة .

وسلام عليك من اليمن حيث لا سلام ولسنوات قادمة .

زوجـك



●● الطيارون المصريون . . يناقشون خطة عمل اليوم لضرب تجمعات الملكيين فى شمال اليمن . .

• جواب الرسالة التاسعة •

زوجي العزيز . .

نحن في حاجة إلى معجزة لنخرج من اليمن ، إلا أنني أشعر وأنا على بعد آلاف الأميال أن القتال لم يعد عنيفا كالسابق ، وأشعر أنه حدثت شبه معايشة مع ظروف اليمن ، هذه هي الخطورة ، المعايشة لقتال ومناخ اليمن ، لأن الحرب التي سوف تخوضها مصر تختلف شكلا ومضمونا عن حرب اليمن ، ولقد كان هذا سؤالا من عضو مجلس الأمة المصرى للمشير عبد الحكيم عامر في الجلسة السرية التي عقدها المجلس ليسمع حكاية اليمن من المشير بعد أن كثرت وانتشرت الاشاعات في طول مصر وعرضها ، وبعد أن فقدت الحكومة المصرية الثقة في إخلاص هذه الحكومة تجاه أبنائها .

ولقد حدث في مصر حدثان خطيران لهما دلالة اكيدة بعدم الثقة المتزايدة بين الحكومة والناس ، الحدث الأول ، فإن إحدى المجلات المصرية وهي آخر ساعة ، قد نشرت تحقيقا صحفيا مصورا لقواتنا وهي فوق الجليد في صنعاء ، وما كان من الأمهات إلا أن ذهبن إلى المحلات لشراء بلوفرات من الصوف ، وذهبن بها إلى إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة لكي تقوم هذه الادارة بتسليم هذه البلوفرات لأبنائنا في اليمن ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الشعب لا يثق في أن الحكومة قد وفرت فعلا ملابس ثقيلة للقوات الموجودة في اليمن .

والحدث الثاني أغرب وأعنف ، لقد خرجت الأمهات بملابس البيت في مظاهرة عنيفة إلى المدارس لاخراج أبنائهن وأخذهم إلى البيوت وقد

حدث هذا فى لحظة واحدة من أسوان إلى مرسى مطروح ، وبعد انتشار إشاعة تقول أن الحكومة ستأخذ دما من الأطفال ، وهذا دليل على عدم الثقة بين الحكومة والشعب .

زوجى . .

حقائق اليمن بدأت تتسرب إلى الناس لتمزقهم بين لا مبال بكل شىء وبين معارض إل ، يقابلها شواهد وأهم هذه الشواهد اختفاء عشرات السلع من الأسواق .

وفى هذا الأسبوع ، حدث أن أحد الجنود رفض السفر إلى اليمن ، وانتشرت هذه الدعوة إلى معسكر كامل ، يرفض السفر إلى اليمن ، وقد أرسلت القيادة إلى معسكرهم فى المعادى أحد كبار ضباط القوات المسلحة ليشرح لهم أهداف حرب اليمن ، ولكن لم يستطع أن يقنعهم بالسفر إلى هناك لحرب لا نهاية لها ، وفطنت القيادة العامة إلى أمر عزيز على الشعب المصرى ، وهو الدين ، فأرسلت لهذا المعسكر أحد علماء الدين ، ليشرح لهم أهداف حرب اليمن من الناحية الدينية ، وانها حرب لانقاذ شعب مسلم من أسرة ظالمة مستبدة ، ولكنهم أيضا لم يقتنعوا ، وخشيت القيادة أن تسير العدوى إلى كل القوات ، وأن تصل إلى القوات الموجودة فى اليمن ، فتكون كارثة لا حل لها ، وفى نفس الوقت لا تستطيع أن ترسل قوة متمردة إلى اليمن ، فأرسلت المعسكر إلى منطقة نائية على البحر الأحمر .

بعد ذلك . . أصبح السفر إلى اليمن اختياريا . وهذه موضة جديدة فى أى قوات مسلحة فى العالم يذهب أحد افراد القيادة من كبار الضباط إلى المعسكر - أى معسكر - يشرح فيه الفوائد الشخصية ، وخاصة المالية التى يجنيها المسافر إلى القتال فى اليمن ، ثم يذهب بعده أحد رجال الدين يحثهم على الجهاد فى سبيل رفع الظلم عن الشعب اليمنى ،

ثم من اقتنع يسجل اسمه فى قائمة المغادرين للبلاد فى طريقهم إلى جبال اليمن .

بعد إغتيال الاخوان المسلمين ، كما تحدثت لك فى الرسالة السابقة ، أفرجت الحكومة عن كافة الشيوعيين المصريين ، يومها قيل للرئيس جمال عبد الناصر ، أن الشيوعيين متآمرون ولن ينسوا ما حدث لهم فى السجون من تعذيب ، وقد يتآمرون عليك ، وسيعملون من تحت الأرض كعهودهم السابقة ، وكان الرئيس جمال عبد الناصر يريد الافراج عن الشيوعيين إرضاء للكرملين ، وكان رد الرئيس جمال عبد الناصر على تخوفات المسئولين من الافراج عن الشيوعيين :

— أنا أعرفهم جيدا ، أنا سأحل كل تنظيماتهم بمصروفات يوم واحد فى اليمن ، سأشترى التجمعات الشيوعية المصرية بالمرتبات والمناصب ، وسوف تشهدون أنهم سيمثلون الطبقة البرجوازية فى مصر بعد شهور . .

كان صادقا الرئيس جمال عبد الناصر فى توقعاته ، معظمهم انغمسوا فى متطلبات الحياة اليومية ، وتطلعاتهم الشخصية ، وانحصرت نشاطاتهم فى شقة أنيقة فى حى راق ، وسيارة صغيرة وجلسة فى مقاهى الفنادق الممتازة ليتحدثوا عن البروليتاريا ، وفائض القيمة ، والاستعمار الجديد ، وتكون رؤوسهم قد أثقلها الخمر والحديث فيذهبون إلى منازلهم ، سعداء بهذه الحياة السهلة الرائعة .

ولكن ، مما لا شك فيه ، أن هناك جانبا ضئيلا منهم مازال يؤمن بمبادئه ، يعمل من أجلها ، وهؤلاء فى طريقهم إلى حيث الاخوان المسلمون الآن .

وأحدث نكتة ، أن الشيوعيين فى الصحف أصدروا ملاحق تتحدث عن مؤامرة الاخوان المسلمين ، وانتشرت إشاعة قبل صدور هذه الملاحق تقول أن هناك جهازا سريا للاخوان لم يكتشف بعد ، وخاف الشيوعيون أن يوقعوا على المقالات التى تهاجم الاخوان المسلمين خوفا من الجهاز السرى الذى لم يكتشف بعد .

يبدو أن العلاقة بين مصر والسعودية قد وصلت إلى نقطة اللاعودة ، مازالت صحفنا تهاجم بعنف المملكة العربية السعودية ، ويبدو أن الطائرات المصرية مستمرة فى الهجوم على نجران ، وجيزان ، ويوجد فى منطقة باب اللوق مكتب لرابطة أبناء الجنوب العربى ، أو حزب الرابطة ، وهذا الحزب خلال الفترة الماضية كان على علاقة حسنة مع المملكة العربية السعودية ، وهو يعمل على تحرير الجنوب العربى بالوسائل السلمية ، ويشرف فى القاهرة على تعليم أبناء الجنوب فى المدارس والمعاهد المصرية وقد داهمته المخابرات العامة ، وأخذت منه كافة الأوراق وأغلقته إلى الأبد .

ولكن . . رغم هذا . . رغم إغلاق هذا المكتب ، فان رئاسة الجمهورية مازالت تقدم لزعماء هذا الحزب رواتبهم بصفتهم لاجئين سياسيين رغم الاختلاف فكريا معهم .

وبمناسبة الاختلاف الفكرى ، فان المصريين يقولون أن الدين لله ومصر للاجانب ، من كثرة المخصصات الكبيرة لهؤلاء السياسيين ، والمقامرين ، وكان المرحوم الشاعر كامل الشناوى يقول إن لم يعجبك راتبك فى بلدك : فاشتم حكومتك ، واعمل نفسك ثوريا ناصريا ، واطلب اللجوء السياسى للقاهرة ، وسوف تقدم لك القاهرة التالى :

١ ـ راتبا لا يقل عن ١٥٠ جنيها فى الشهر وهو راتب وكيل وزارة مصرى ، وسوف تحصل عليه حتى لو كنت صعلوكا ، وقد حصل عليه مذيع سورى تحت التمرين ـ مثلا ـ

٢ ـ شقة من الحراسة تطل على النيل ، أو على الأقل فى الزمالك أو جاردن سيتى .

٣ ـ تليفون مكالماته مجانية .

٤ ـ بطاقة عضوية فى أحسن ناد فى مصر وهو نادى الجزيرة .

٥ ـ سيارة بدون جمرك ، لأنك لست مصريا .

٦ ـ كرسى مسائى فى كافتيرياسميراميس .

والدخول إلى حياة اللاجئين السياسيين المترفة فى القاهرة لا يحتاج

إلى شروط كثيرة ، ليس مهما أن تكون مؤمنا بعبد الناصر ، وليس مهما أن تكون مؤمنا بالثورة الناصرية والاشتراكية والوحدة ، المهم أن تسب نظام حكمك بشكل علنى ، وتصل إلى القاهرة لترتفع من حضيض بلدك إلى الارستقراطية المصرية .

وبعد أن تستقر فى مصر ، يمكنك أن تسب وتلعن هذا الشعب الذى يركب الأوتوبيس من الشباك ، ويأكل الفول كل صباح ، ويقف فى طابور امام الجمعيات التعاونية ، ويشكرك إذا قدمت له سيجارة مستوردة !

زوجى . . .

إذا كان هذا قدرنا ، فلماذا لا نغير هذا القدر ؟

تصور ، من هول ما أسمع ، من هول ما أقرأ فى الصحف العربية ، ومن هول ما اعلم عن إنفاقاتنا فى اليمن وعلى صحف بيروت وغير بيروت ، إننى اريد ان اعيش داخل حدودى ، واشيد حضارة جديدة ، وأقيم المصانع والمزارع فى سيناء والواحات الكثيرة التى لدينا ، واقيم مصر القوية الفتية التى كانت تسبق الحضارة الانسانية .

زوجى . .

المفروض أن أكون سعيدة ، فأنا أملك سيارة ، وابنى فى مدرسة لا يطلب منى أن أشترى له كرسيا ليأخذه إلى المدرسة ليجلس عليه ، فهو فى مدرسة خاصة ، وانت كونك من القوات المسلحة ، فلنا دخل كبير ، وأسكن فى أرقى احياء القاهرة رشوة لك لحربك فى اليمن ، ولى حصانة كالحصانة البرلمانية لكونى زوجة مقاتل فى اليمن ولكن لدى إحساس قاتل ، إننى سرقت كل هذا من الناس ، وهذا يؤلمنى .

ثم . . أسأل نفسى . . لو أن حرب اليمن ، حرب مقنعة ، هل كانت الحكومة قدمت لك هذه الرشوة ؟

وبالمناسبة ، بمناسبة الرشوة ، ارجو أن ترسل ورق حائط لزوم الديكور لشقة جاردن سيتى ، والثلاجة التى وعدتنى بها ، والمكنسة ، وكل اختراعات النصف الثانى من القرن العشرين ، فأنا أكاد ان أراه فى سوق صنعاء الضيق القذر .

وحدى . . ومن رسائلك أرى اليمن .

وحدى . . أعرف الحقيقة فى هذه البلاد البعيدة . .

وحدى . . أعرف اسباب التمزق الذى أصاب هذا المجتمع المتماسك .

وحدى . . أعرف حقيقة السلام المصلوب على جبال اليمن .

وحدى . . أعرف عدد الشهداء . . ولون الدم . . ومصير التضحية والضحايا .

وحدى . . مع وحيدى . . أعرف كل شىء ولا أستطيع أن أبوح . . والكل فى ملهاه . . والبلاد تغوص . . وحرب لا حاجة لنا بها . . مهما قال المنظرون .

زوجى . .

لماذا لا تهتف معى . . ليسقط كل شىء . . ليسقط الظلم . . ولتسقط الامبراطوريات . . ولتحى مصر . . مصر الثرية . . الثرية بترابها . . بحضارتها . . بعقولها . . بشعبها . . بكل ما وهبته العناية الالهية لها . .

اهتف معى . . واترك جبال اليمن . . وعد هنا إلى معركة مقدسة . . معركتنا مع إسرئيل . . ومعركة اللحاق بحضارة القرن العشرين . . فنحن بغير صناعة الحضارة والحب ، لا نجيد صناعة الكراهية والثأر . .

عد إلى هذه الارض الطيبة . . لتغنى مع الفلاحين ، والعمال ، مع شروق الشمس ، اغنية السلام والحضارة . . أغنية التقدم والعطاء . . أغنية لمصر . .

سقط الظلم . . ولتسقط الامبراطوريات . . ولتحيا مصر . . مصر الثرية . . الثرية بترابها . . بحضارتها . . بعقولها . . بشعبها . . بكل ما وهبته العناية الالهية لها . .

● زوجتك

● ● ●

• الرسالة العاشرة •



صنعاء فى إبريل عام ١٩٦٧

زوجتى العزيزة . .

الآن فقط أستطيع أن أتنفس ، بعد سنوات من قتال غريب ، هنا هدوء نسبى على هذه الجبال اللعينة الجرداء ، وخلال هذا الهدوء أحاول أن افهم اليمن ، ربما كان المفروض أن افهمها قبل أن ندخلها ، ولكن الاستعمار لم يترك لنا مجالا الاختيار . .

اليمن . . سيظل إسمها يهز كيانى حتى الموت .

ففى اليمن كانت الرحلة الشاقة من الشك إلى اليقين .

وفى اليمن ودعت المئات من الأصدقاء ورفاق السلاح .
وكانت اليمن - وستظل - الثقب الكبير فى الاقتصاد المصرى .
وفى اليمن قضيت أحلى سنوات شبابى بعيدا عن الأم والابن والزوجة .

قد تكون جبال اليمن جميلة ، قد تكون أرضها سخية ولكنى أراها ممزوجة بدم شبابنا ، أرى على كل قمة جبل عشرات الرؤوس المصرية التى فصلت عن جسدها بالخناجر .

زوجتى . .

لقد وعدتك أن أحكى لك حكاية الجنوب العربى المحتل ، أو جنوب اليمن المحتل ، أو حربنا الثانية فى اليمن ، أو العملية صلاح الدين .

وقبل أن أتحدث معك عن حربنا الثانية فى اليمن ، أود أن أسجل لك إعجابى الشديد بثورة الجنوب ، وإننا نقوم فقط بمساعدتهم ماليا وعسكريا ونادرا ما يذهب بعض أفراد قواتنا للحرب بجانبهم ، وحتى لو ذهب بعض أفراد قواتنا للحرب معهم ، فهذه فى نطاق المساعدة والمشاركة ، ونقطة ثانية وأساسية إنهم يحاربون الانجليز .

وحكايةالجنوب ، هى حكاية الخليج ، هى حكاية مصر ، باختصار هى حكاية العرب والانجليز فى كل زمان ومكان ، فانجلترا أرادت احتلال الجنوب لتأمين تجارتها مع الهند ، وتأمين مستعمراتها فى شرق أفريقيا ، وفى سنة ١٨٣٩ دخلت القوات البريطانية فى معركة لم تدم أكثر من ثلاثة أيام مع أبناء سلطنة لحج ، واستولت عليها وواصلت الزحف واحتلت ميناء عدن .

منذ أكثر من مائة عام ، والقوات البريطانية موجودة فى الجنوب ، تلعب لعبتها القذرة فى كل انحاء الجزيرة العربية ، وعقدت اتفاقيات مضحكة ، أكثر منها اتفاقيات دولية ، واتجهت إلى تقسيم الجنوب إلى سلطنات ، وكرست هذا التقسيم وعمقته ،'وخلقت الخلافات بين كل سلطنة وأخرى ، وألغت التعليم ، ونسفت الطرق . . المهم أصبح من السهل عليها السيطرة على هذه الأقاليم المنفصلة ، وظلت هادئة أحيانا ، منسية أحيانا أخغى ممة على العرب ، نهبا للهنود واليهود .

واستمر الموقف حتى عام ١٩٥٢ ، عندما قامت ثورة يوليو فى مصر ، وألهبت هذه الثورة الشعور الوطنى فى كل أنحاء الأمة العربية بما فى ذلك الجنوب .

وفى مارس ١٩٥٦ قامت منظمة سياسية عربية وطنية هى رابطة الجنوب العربى ، وتضم هذه الرابطة كل الاتجاهات السياسية التى بدأت تظهر بعد الحرب العالمية الثانية ، وتنضج بعد حرب فلسطين وتثور بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ وأعلنت المطالب السياسية لشعب الجنوب هى :

١ ـ الاعلان بوجود دولة اتحادية مستقلة ذات سيادة من عدن ومحمياتها .

٢ ـ التأكيد بأن عدن هى جزء لا يتجزأ من الجنوب العربى لا يمكن فصلها عنه أو عزلها عنه .

٣ ـ الاعلان بأن جميع معاهدات الحماية ومعاهدات الاستشارة غير مشروعة ولا قانونية ، وعليه فإنها جميعا باطلة بطلانا مطلقا ويجب إلغاؤها .

٤ ـ إن السيادة على البلاد حق من حقوق الشعب ويجب انتقالها إليه باعتباره مصدر السلطات .

٥ ـ يجب إقامة مجلس تأسيسى منتخب من قلب الشعب انتخابا مباشرا يتولى وضع دستور للبلاد وتصفية الوضع السائد فيها .

٦ ـ سيكون هذا المجلس للرؤساء وتكون الرئاسة فيه دورية بينهم .

٧ ـ إن البترول وجميع المواد الطبيعية الأخرى فى المنطقة ملك للشعب ولا يجوز التصرف فيها أو التنازل عنها قبل انتقال السيادة إليه ، وأى اتفاق أو امتياز يخالف ذلك لا يعتبر مشروعا أو قانونيا ويكون عرضة للالغاء .

وبدأت بريطانيا تقاوم هذه المطالب ، أو هذه اللهجة الجديدة ، وتم الاصطدام بين الرابطة والانجليز ، وتم نفى رئيس الرابطة وهو شاب خريج الأزهر الشريف واسمه محمد على الجفرى ، ثم اعتقلوا شقيقه

عبد الله ونفوه في جزيرة سقطرة لمدة ستة أشهر وأخيرا أخرجوه من البلاد ، واختاروا جميعا القاهرة مقرا لهم وفتحت القاهرة لهم ذراعيها ، وأقامت لهم مكتبا سياسيا في منطقة باب اللوق ، ومنحتهم بعثات دراسية في مختلف المدارس والكليات لأبناء الجنوب ، واستمر الوضع هكذا حتى قامت ثورة اليمن . وطلبت الأجهزة المصرية تقريرا من محمد الجفرى عن ثورة اليمن . كانت هذه هى وجهة نظره ودخلت اليمن وحدث ما حدث ، إلا أن هناك حقيقة من الصعب على الانسان أن ينساها وسط الأحداث ، أن أبناء الجنوب من اليوم الأول لوصول القوات المصرية لليمن ، تقدموا بأسلحتهم وبأموالهم وبأنفسهم للدفاع عن ثورة اليمن ، واشترك الكثير من أبناء الجنوب في حماية ثورة الشمال ، واشتركوا في معارك عسكرية ، واستشهد منهم عشرات ، وكانوا يقاتلون ثم يعودون إلى جبالهم في الجنوب .

كان معظم هؤلاء الرجال من جبال ردفان المتاخمة لليمن الشمالى ، ولم يرق للحاكم البريطانى هذا التصرف من هؤلاء الرجال ، فأصدر بيانا يطالب بتسليم السلاح لمعسكرات القوات البريطانية ، ورفض الرجال أمر الحاكم العسكرى البريطانى إلى أن أرسل القوات الجوية لدك معاقلهم . .

وقابل الرجال هذه الغارات بتحد عظيم . . وكانت هذه الشرارة في ثورة الجنوب العربى ، وبداية نشاط العملية صلاح الدين .

تشكل في القيادة المصرية في صنعاء فرع لقيادة ثورة الجنوب أو العملية صلاح الدين ، واتخذت من مدينة تعز مقرا لها ، وكانت مهمة هذه القيادة هى :

١ ـ تدريب أبناء الجنوب على استعمال الأسلحة الحديثة .
٢ ـ وضع الخطط العسكرية لعملياتهم في الجنوب .
٣ ـ تقديم العون المالى اللازم لاستمرار الثورة .
٤ ـ تقديم المعلومات للثوار عن تحركات القوات البريطانية .

وامتد عمل العملية صلاح الدين ، حيث أصبحت قيادة مستقلة تتبع

رئاسة الجمهورية فى القاهرة ، ويشرف عليها رجال من المخابرات العامة والمخابرات الحربية .

وامتد نشاط الثورة من جبال ردفان إلى بقية مناطق الجنوب إلى داخل عدن نفسها ، واستطاعت ثورة الجنوب أن تقلق الوجود البريطانى فى الجنوب العربى ، وما زالت تضربه بعنف على الجبال وفى عدن نفسها .

قام بهذه الثورة الثوار . . وبدأ السياسيون يتلمسون قيادتها ، وفى تعز جاء إليها رجال الأحزاب ليكونوا « الجبهة الوطنية لتحرير الجنوب المحتل » وتتكون هذه الجبهة من حزب الرابطة ، ومن الجبهة القومية التابعة لحركة القوميين العرب ، ومن جبهة التحرير التى يرأسها عبد القوى مكاوى رئيس المجلس التشريعى العدنى الذى أعلن ثورته على الوجود البريطانى وقدم استقالته ولجأ إلى القاهرة ثم إلى اليمن وقدمت العملية صلاح الدين مساعدات مالية وعسكرية طائلة للجبهات هذه ، ولكن أكثر الجبهات تمردا على القيادة لعملية صلاح الدين هى قيادة الجبهة القومية والتى يقودها قحطان الشعبى .

وانسلخت الرابطة من هذا التجمع ، وآثرت الكفاح السياسى ، واتخذت من المملكة العربية السعودية مقرا لها ، مما أدى بالقيادة العربية إلى إلغاء وجودها فى القاهرة .

ولقد علمت من قيادة العملية صلاح الدين أن السبب الأساسى فى تمرد قحطان الشعبى وجماعته أنه استطاع أن يجرى اتصالا بالانجليز وعرضوا عليه أن يسلموه حكم الجنوب ، ولقد سألت الضابط الذى أخبرنى بذلك فقال :

حزب الرابطة لا يثق فيه الانجليز ، لأنه لو استلم الحكم ، فسوف يترك للسعودية نفوذا كبيرا فى الجنوب وقد يؤدى إلى اسقرا المنطقة والانجليز يرفضون استقرارها ، وجبهة التحرير ستمكن النفوذ الناصرى من الجنوب وهذا هو الخطر الحقيقى على المصالح البريطانية فى الجنوب وعمان والخليج ، تبقى الجبهة القومية وهى التى يعدها

الانجليز لتسليم مهام الحكم بعد الرحيل ، فسيؤدى حكمها إلى خلافات مع اليمن سواء كانت مصر موجودة أم غير موجودة ، وخلافات مع المملكة العربية السعودية ، مما يجعل المنطقة دائما غير مستقرة ومستنفذة ومستنزفة .

سألت الضابط

ولكن مصر موجودة فى اليمن ، ولها تأثير عظيم فى الجنوب ، أشك أن بريطانيا تتمكن من القيام بهذه اللعبة .

مصر لا بد أن تخرج من اليمن قبل عام ١٩٦٨ ، أى أن مصر سوف تخرج من اليمن قبل خروج الانجليز من الجنوب ، حتى يمكن للانجليز رسم الخريطة السياسية قبل الرحيل .

وسألت الضابط :

قف الخروج ؟ . .

وسكت زميلى فى اليمن . . وقال :

— آه . . هذه المشكلة . . كل ما أتمناه أن نخرج سالمين من هذه الحرب اللعينة . .

هذه - زوجتى - باختصار شديد حكاية ثورة الجنوب ، ولا أدرى مدى صحة أخبار زميلى . . ومن سيحكم الجنوب . . وهل حقا سنخرج من اليمن .

إلا أننى أشك فى معلومات زميلى ، فإن المشير عامر قال إننا نستطيع أن نبقى فى اليمن عشرين عاما . .

لا أدرى من أكثر معرفة ، هذا الضابط الصغير ، أو القائد العام للقوات المسلحة . ولكن كل ما يهمنى أن نخرج من اليمن .

وإلى اللقـــاء

● زوجـــك

● ● ●

• جواب الرسالة العاشرة •

القاهرة فى مايو عام ١٩٦٧

زوجى العزيز . .

هل تذكر قصة اناتول فرانس « تاييس » قصة راهب أسيوط الذى ذهب لغانية الاسكندرية تاييس يطالبها بدخول الدير ، وبعد أن تمكن من اقناعها بالتدين أصيب هو بالانحلال . .

لا أدرى لماذا تذكرت هذه القصة وأنا أتابع بشغف شديد ، وإعجاب أشد ، وحماس منقطع النظير ما يحدث هنا فى القاهرة .

أشعر - يا زوجى العزيز - أن آمالنا سوف تتحقق ، ونلقى خلال أيام بإسرائيل فى البحر ، وينتهى ربع قرن من الآلام .

إسرائيل حشدت قواتها على حدودها مع سوريا ، وهددت باحتلال دمشق ، ولم يكن لدينا أى قوات فى سيناء ، كما لم يكن لدينا قوات فى سوريا ، كل ما أعلمه أن لدينا قوات فى العراق .

واتخذ الرئيس جمال عبد الناصر عدة قرارات مصيرية هى أعظم ما اتخذ من قرارات ، قرر الهجوم على إسرائيل .

وكم كان بودى ولو مرة واحدة أن نبدأ بالهجوم ، مرة واحدة نضرب مدن إسرائيل ، مرة واحدة ننقل المعركة داخل الأرض المحتلة ، مرة واحدة نباغتهم ، مرة واحدة نعتدى عليهم .

كم بودى أسمع كلمة المعتدين المصريين ، لا يهم صحة التعبير فى

قاموس العلوم السياسية ولكن المهم أن نضربهم ، نعتدى عليهم ، ونثأر منهم ونذيقهم الذل والهوان كما أذاقونا .

كم أنا سعيدة وأنا أسمع فى الصباح الباكر على مقربة من بيتى ومن السفارة البريطانية فى القاهرة أصوات الدبابات وهى تسير على الكورنيش فى طريقها إلى سيناء لتضرب دولة مرة فى الأرض المحتلة ، كم أنا سعيدة وأنا أشاهد على شاشة التليفزيون قواتنا وهى تعبر قناة السويس فى طريقها إلى سيناء للهجوم على إسرائيل .

كما أنا سعيدة ، بل فى غاية السعادة ، وأنا أشهد الرئيس جمال عبد الناصر وهو يهدد بقوة هذه الحشرات التى تحتل فلسطين .

أنت تعلم أننى منذ الوهلة الأولى وأنا ضد الحرب فى اليمن ، ولكنى مع زعيم الأمة العربية فى معركة المصير القومية ، فى معركة مع العدو الاسرائيلى .

ونحن الآن فى عام ١٩٦٧ ، أى أنه مضى على ثورة يوليو خمسة عشر عاما ، كنت أرى أى إنجاز لها بسيطا ، وأن الانجاز العظيم هو القضاء على إسرائيل ، لأنها دائما تهدد أمننا ، وسلامنا ، واقتصادنا ، وكنت أشعر بحسرة شديدة لعدم تكريس جهودنا فى هذا الاتجاه ، بل وعدم التحالف مع الشيطان لبتر هذا السرطان المسمى إسرائيل .

لن أطيل عليك فى سرد الأحداث هنا ، فانك بالتأكيد تسمعها من صوت العرب ، والقاهرة ولندن وكل مكان فى الدنيا ، إن صحف العالم تتحدث عن الحشد العسكرى المصرى الهائل فى سيناء .

إن صوت العرب يذيع كل يوم تحرك قوات عربية باتجاه مصر وسوريا والأردن إن القوات العراقية كما يقول راديو صوت العرب إقتربت من المنطقة « إتش ثرى » أو « هـ ٣ » ، والقوات السعودية بدأت تتحرك وقوات الجزائر فى طريقهاإلى مصر .

ومصر الآن كأنها فى فرح ، ونسيت جراح اليمن ، نسيت الأزمة الاقتصادية ، نسيت السجون والمعتقلات ، نسيت كل شىء بانتظار بداية الهجوم .

إنى أعتذر لك عن كل كلمة قلتها فى حق الرئيس جمال عبد الناصر ، لأننى وسط الأحداث المتلاحقة فى القاهرة أشعر بأن على يديه سيكون تحرير فلسطين خلال هذا الشهر ، أو خلال هذه الأسابيع ، بعدها نجنى ثمار العذاب والأزمات والكبت والاعتقال ، على يديه سندخل يافا وحيفا وتل أبيب .

كم كان بودى أن تكون مع هؤلاء الرجال الذين ذهبوا إلى سيناء لمقاتلة هذا العدو الحقيقى الغادر ، كم كان بودى أن تكون هناك ، ليظل إبنك فخورا بأنك اشتركت فى معركة تحرير فلسطين .

سأتركك الآن لأتابع من شاشة التليفزيون قواتنا وهى فى الطريق إلى سيناء ، بل وهى فى قلب سيناء وغدا سأتابع هذه القوات وهى فى قلب تل أبيب ، وأرى الاسرائيليين يركضون خوفا أمام هذا الحشد الهائل من السلاح والعتاد والبشر . .

وإلى اللقاء فى تل أبيب . . أو يافا . . أو حيفا . . إلى اللقاء فى فلسطين العربية الحرة .

زوجتك

● ● ●

● الرسالة الحادية عشرة ●



صنعاء فى ٣٠ مايو ١٩٦٧

زوجتى . .

عاتب عليك من أقسى رسالة تصلنى وأنا أشهد مأساة قريبة منك . ان مصر تغرق . جماهيرها تهلل لغرقها ، لأنى بعيد عن الصورة أرى بلادى تغوص ولا أحد يملك أن يمد يده إليها ، هل كمين ندخله بأرجلنا ونحن نعرف أنه كمين ، ان كل أركان الكمين واضحة . . فإسرائيل ستضرب خلال أيام فى فرصة ذهبية لن تتكرر لها ، ان

الصورة من صنعاء البعيدة أوضح بكثير من الصورة الموجودة فى القاهرة ، ان الزعيم قد حسب حسابات خاطئة ، وخاطئة جدا ، اننى أتصور انه يقوم بخديعة كبرى مستخدما بقايا القوات المسلحة الموجودة فى مصر ، وانه يتصور ان اسرائيل ستشرب الخديعة وينتصر الزعيم .

إن حسابات الزعيم كالآتى :

يخرج القوات من اليمن بشكل مشرف لأنها فى الطريق إلى قتال اليهود . تخشى إسرائيل القوات العددية الضخمة التى تحشد فى سيناء سواء كانت من المعدات أو الأفراد ، والدليل على ذلك ما معنى حشد قوات لم تتدرب على الحرب .

حملة نفسية على اسرائيل بأن الضربة المصرية ستكون قاضية ، وانه لن يترك حجرا على حجر . .

لقد سمعت اذاعة صوت العرب وهى تصف دخول القوات إلى سيناء ، لسنا ـ زوجتى ـ فى عرض عسكرى تدخل فيه القوات المهاجمة بالطبول وعدسات التصوير .

لقد سمعت خبرا أكد لى ما بنيته ، انه يشن حربا نفسية فقط ، لقد استدعى من لبنان السيد صائب سلام ، لكى يخبره بخططه العسكرية ، وصائب سلام ليس رئيس وزراء لبنان حتى يشاركه فى الخطط وأذاع صوت العرب المقابلة خمس مرات ، والهدف منها ان صائب بك كثير الكلام ، وان هذا الكلام سيقوله صائب سلام فى بيروت وسيصل بشكل أو بآخر إلى المخابرات الأمريكية ومنها إلى المخابرات الاسرائيلية ، وكلها حرب نفسية . .

لقد بدأت رسالتى بقولى أن اسرائيل ستشن هجوما ، لماذا ؟

أولا : القوة المقاتلة الحقيقية من البشر موجودة الآن فى اليمن ، وهذه القوات حتى لو أمكن نقلها فى حاجة إلى « استراحة » لتواصل القتال فى ظروف مختلفة . .

ثانيا : مصر فى حالة اقتصادية لا تسمح لها بحرب عدة أيام .

ثالثا : ان اسرائيل تعتبر الاجراءات الآتية هى إعلان حرب :

١ ـ إغلاق خليج العقبة .
٢ ـ اتفاقية الدفاع المشترك بين الأردن ومصر .
٣ ـ دخول قوات عربية الضفة الغربية .
٤ ـ زيادة النشاط الفدائى فى الأرض المحتلة .
٥ ـ سحب قوات الطوارىء الدولية .
٦ ـ إدخال قوات عسكرية فى سيناء .
٧ ـ إدخال قوات ثقيلة فى قطاع غزة .

لقد علموا جنودهم ان حالة واحدة من كل هذه الحالات يصبح تنفيذها إعلان حرب وتصبح إسرائيل فى وضع الدفاع عن البقاء ، هكذا علموا جنودهم ، ولكى يدافعوا عن بقائهم لا بد أن يشنوا حربا ، ولا يوجد أحسن من هذه الفرصة لذلك .

زوجتى . .

القوات المقاتلة هنا ، القوات التى تستطيع أن تواجه اليهود هنا على هذه الجبال اللعينة ، وفى هذه المدن التعيسة ، اننى أتمزق كل لحظة ، ان مكانى ليس هنا ، ان مكانى فى سيناء ، حيث أعرف كل حبة رمل فيها وكل خندق ، وكل ممر والحشد الهائل لا يعرف كما أعرف ، ولم يتدرب كما تدربت ، هل أمتلك الشارع السياسة ومصير الأمم . آه زوجتى . . هل تذكرين أول رسالة ، عندما قلت لك ان الطريق إلى فلسطين لا بد أن يمر فى صنعاء ، كنت متحمسا فقط ، وأخشى أن تكون الهزيمة لا بد أن تمر فى صنعاء . أن رجالا أكفاء من القوات المسلحة المصرية قالوا لحرب اليمن لا . هؤلاء الرجال هم الذين يستطيعون قيادة الحرب ضد العدو الاسرائيلى . هم الذين يستطيعون التعامل معه ، أين هم الآن ؟ هم فى المؤسسات المدنية أو فى البيوت ، وربما فى السجون .

سأخبرك بعدة أسرار . . هذه الأسرار هى مقدمة لنتائج الحرب التى سوف تشنها اسرائيل . .

١ ـ لأن المقاتل المصرى يقاتل فى اليمن ، ولأنه بعد شهور طويلة بدأ يسأل نفسه لماذا أقاتل فى اليمن ؟ ولم يجد القضية

التى تقنعه ، ولم يجد المبادىء التى يدافع عنها ، وخافت القيادة فبدأ الاغراء المادى ، سواء فى البدلات الكثيرة ، أو فى الاعفاءات الجمركية ، أو فى التسهيلات الحكومية كقضية الشقق والسيارات ، كل هذا جعل من المقاتل المصرى فى اليمن « تاجرا » ومن يرفض هذا ، فإنه يخرج من الجيش ، فأصبح القتال صناعة ، وانتشر هذا المرض الخطير فى صفوف الكثير من الأفراد . ولكن عليه بين لحظة وأخرى أن يحارب فى سبيل المبادىء والوطن ، وهذه تحتاج إلى وقفة أطول وهذه واحدة من أمراض وجودنا فى اليمن .

٢ ـ المقاتل المصرى . من طول البقاء فى اليمن ، أصبح بطىء الحركة ، فهو إما على قمة جبل ، أو فى تنفيذ سياسة النفس الطويل ، يعد الأيام والأموال ، ولذلك فلقد فقد رشاقته القتالية من طول البقاء . . وهذا هو المرض الثانى من أمراض اليمن .

٣ ـ المقاتل المصرى من طول البقاء فى اليمن لم ير سيناء ، أو نسى سيناء وأصبح معظم فترة قتاله على هذه الجبال اللعينة ، وسوف يحارب على مسرح عمليات مختلف تماما يجهل طبيعته وهذا هو المرض الثالث لوجود قواتنا فى اليمن . .

٤ ـ المقاتل المصرى ، فى قتاله فى جبال اليمن ، تعود على مواجهة عدو يحاربه بشكل غير علمى ، شكل أشبه منه بحرب العصابات عن الحرب النظامية ، فقد أسس الحرب الحديثة ، وهذه كارثة رابعة بسبب وجودنا فى اليمن .

٥ ـ المقاتل المصرى من طول وجوده فى اليمن لم يعد يخشى السماء ، فالسماء فى اليمن لا يطير فيها إلا الطيران المصرى ، ولا توجد طائرات عدوة . . فهو قد تعود على القتال فى حماية طائراته ، ومسرح العمليات فى سيناء يختلف تماما ، وهذه كارثة خامسة لوجودنا فى اليمن . .

٦ ـ الطيار المصرى تعود على السماء المفتوحة ، والسماء فى سيناء لن تكون مسرحا للطائرات المصرية وحدها . . ستكون هناك الطائرات الاسرائيلية ، وهذه كارثة سادسة بسبب الوجود العسكرى المصرى فى اليمن .

٧ ـ وهناك ما هو أخطر وأمر ورغم انه سر من الأسرار لكننى أقوله لك وحدك . .

منذ عامين ، كنا نتحدث عن وجودنا فى اليمن ، وقال أحدنا اننا قد نسينا لماذا نحن أفراد فى القوات المسلحة ، ان هذه القوات قد أعدت لعدو واحد هو اسرائيل ، وعلى اسرائيل ، والحديث عن المناورات أصبحت بشكل أو بآخر أبعد الأعداء ، لو فتحنا جريدة ، أو سمعنا إذاعة لشعرنا ان تكثيف حملة الكراهية الاعلامية ، لوجدناها لا تذكر اسرائيل ، وكأن اسرائيل اختفت ، أو نسيناها ، وسألته عن التدريبات فى مصر ، والاستعداد لأى حرب قادمة مع اسرائيل ، فأخبرنى بما أحزننى ، أخبرنى انه تقدم بمشروع للقيادة العامة يقتضى بالتدريب على معركة دبابات فى ظل الأسلحة المساعدة ، معركة دبابات صحراوية ، « والمشروع » هو حرب صغيرة ، تقسم القوات إلى قسمين ، ويضع كل قسم خطة ، ويبدأ تنفيذها ، ويستغرق المشروع ربما اسبوعا ، أو شهرا ، حسب تقدير القائد . وقبل بداية المشروع يقدم كشفا بالمطلوب .

— بنزين ودبابات كذا .
— هياكل خشبية كذا . .
— ذخيرة نوع كذا وكميتها .
— لاسلكى ، وأسلاك هاتفية .
— شئون ادارية . . إلى آخر ما تتطلبه المعركة . . ثم يصدق على المشروع ويقوم بصرف المطلوب ويبدأ التدريب .

وتقدم صديقى بالمشروع للتدريب لمدة شهر ، فقالت القيادة ، اختصر المشروع لمدة أقل ولتكن اسبوعين حيث اننا نقوم « بتشوين » الذخيرة والبنزين فى اليمن ، ولا يوجد ما يكفى لهذا المشروع ، واختصره صديقى وأصبح المشروع لمدة اسبوعين ، وجاء قرار القيادة بالاختصار لمدة اسبوع واحد لنفس الأسباب السابقة ، ثم اختصره لمدة اسبوع ، واعتذرت القيادة بسبب القتال الموجود فى اليمن .

كارثة الكوارث ، القوات لا تتدرب على قتال العدو الاسرائيلى ، بسبب وجودنا فى اليمن .

ومعنى ذلك ان لدينا آلاف الجنود لم يطلقوا طلقة واحدة من دبابة ، بينما هم طاقم الدبابة ، والسبب اننا فى اليمن .

ومعنى ذلك ان لدينا آلافا من الجنود لم يطلقوا طلقة واحدة من المدافع ، وهم من طاقم هذه المدافع . .

آه . . لقد كان جيشنا مشهورا بالتدريب على القتال ، أصبح الآن غير مدرب لخوض القتال مع العدو ، يا للكارثة . .

زوجتى . .

منذ يومين ذهبت إلى ميناء الحديدة ، لأودع قوات مصرية فى طريقها إلى جبل الطور ، ومنها إلى مواقع تدخلها لأول مرة فى سيناء ، كان الرجال سعداء بالرحيل ، من اليمن رغم الاغراءات التى تحدثت معك عنها سعداء بأنهم سيقاتلون العدو الحقيقى ، وكان قلبى معهم ، فإنى أتصور حجمهم كالجيش الرومانى ينتقل من مكان لآخر ، لأن الجنود لا بد أن يقاتلوا لأى شىء ، بحيث لا يهدأ أحد فيهم ، ولكنهم هذه المرة ذاهبون لقتال ضد العدو الحقيقى ، وفى سبيل قضية مقدسة . كانوا يقولون لى ، هناك معنى للانتصار ، هناك على رمال سيناء سنحقق النصر .

أملى أن يحققوا النصر ، أملى أن تكون حساباتى أنا الخاطئة ، أملى أن يشربوا من دماء اليهود انتقاما لسنوات مريرة معهم ، انتقاما من حرب ١٩٤٨ ، انتقاما لشهداء دير ياسين ، انتقاما لمذبحة ١٩٥٥ ، انتقاما لشهداء غزة . .

أملى فى هؤلاء الرجال كبير . . ربما انتصروا . . رغم ما سبق أن ذكرته . .

زوجتى . .

لا أدرى كيف يحدث هذا كيف يزج بهؤلاء الرجال فى معركة لم نستعد لها ولم يستعد لها الرجال ، وكيف يتصور الزعيم ان اسرائيل لن تضرب بعد كل هذه الاجراءات وإذ كان الحشد

المصرى بسبب الحشود الاسرائيلية على سوريا ، كان عليه أولا أن يسحب القوات الحقيقية ، وهى القوات الموجودة فى اليمن لأن هذه القوات رغم كل ما سبق تستطيع القتال ، لأنها على الأقل تعرف أين الزناد فى كل سلاح . .

زوجتى . .

ارجو الدعاء . . أن ينتصر هؤلاء الرجال . . فإن هناك معركة لا محالة . . وكم بودى أن يبدأوها . ان ما سبق فى العرف العسكرى هو هجوم ، ولم يبق إلا الضغط على الزناد ، حتى يمكن إرباك صفوف العدو بدلا من أن نتركه يجمع قواه ، وينفذ ما تدرب عليه منذ سنوات . .

قلبى مع جيش مصر فى سيناء . .

قلبى مع شعب مصر فى أرض الكنانة . .

● زوجك



●● وسط هذه الجبال . . يعيش جندى الاستطلاع . . ليبلغ القيادة بتحركات قبائل الذهب السعودى . .

● جواب الرسالة الحادية عشرة ●

زوجى العزيز . .

غرقت السفينة ، وحصدنا الحنضل ، وانتظرنا السراب ، وقدمنا الضحايا للدراويش والمشعوذين وعدنا إلى الوراء عشرات السنين ، والهزيمة تلاحقنا فى كل مكان ، فى أعين الشامتين ، وأصبحنا أضحوكة ، وهدم البناء . . هل تعلم لماذا هدم ، ومرة واحدة ، لأنه بناء من ورق ، بلا أساس ولا حماية ، الشعب فى الشوارع يبكى ، كل شىء يبكى شهداء اليمن ، يبكى خمسة عشر عاما من عمره لم يذق طعم السعادة وكان فى انتظار مذاقها ، يبكى شهداء سيناء ، يبكى الفقر والجوع والعطش . . يبكى وله الحق فى البكاء فإن هناك ألف سبب وسببا يدمى العيون . .

زوجى . .

رسالتك الأخيرة جاءت متأخرة هامسة ، صادقة ، مؤمنة ، ولكنها فى النهاية خانقة فلا نفع منها ولا ضرر . . لو تركوا لك الكلام قبل الكارثة . . ولغيرك . . ولى . . وللملايين من هذا الشعب المطحون بين كفتى الرحى ، لو تركونا نقول ، لو تركونا نعترض بلا سجن ، لو تركونا نقول بلا خوف ، لما حدثت الكارثة . .

لو تركونا نقول لليمن : لا

لو تركونا نقول للفساد : لا

لو تركونا نقول للارهاب : لا

لو تركوا القانون ، لو تركوا الحرية ، لو تركوا لقمة العيش لما حدثت الكارثة . .

لو تركوا العمالقة ، لو تركوا المفكرين ، لما حدثت الكارثة . .

لو تركوا الهامات تعلو ، لو تركوا الآراء تنمو ، لما حدثت الكارثة . .

لو تركوا الجيش يحارب ، لو تركوه بلا انسحاب ، لما حدثت الكارثة . .

آه زوجى العزيز . . المقاتل الشهيد . . آه يا من فى اليمن فى مقدمة الكارثة . . وأنا هنا ، أعيش مأساتى حتى العظم ، أشعر بالعار لعار لم أرتكبه ، أشعر بالغثيان عندما أعود لما رأيت . . هل تعلم ما رأيت ؟ . . لن تصدق ما رأيت . . لنا جار مقاتل فى اليمن ، رسائله تأتى من صنعاء ، ويوم الاثنين الأسود الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، كانت المأساة ، وكنا لا ندرى بالمأساة ، كنا مع المذياع نتوغل فى الأراضى المحتلة ، ونسقط طائرات الميراج وصحونا فى صباح اليوم السادس من يونيو على أمر لا يصدقه عقل ، جارنا عائد من سيناء ويقول انه وصل إليها من صنعاء قبل الحرب بيوم واحد ، وأن القتال بدأ من الجانب الاسرائيلى ، وأوامر الانسحاب جاءت من الجانب المصرى للجيش المصرى ، وأنهم ينسحبون من سيناء فى الطريق إلى القاهرة . كاذب أيها الجار العزيز ، المذياع يصدر بلاغات عسكرية غير التى تقول عنها ، نحن نتوغل فى الأرض المحتلة ، العدو يركض كالفئران امامنا ، طائراته تسقط كالورق أمام طائراتنا ، كاذب أيها الجار الهارب من القتال ، جبان أيها الجار فلقد عدت هربا وجئت تدب اليأس فى نفوسنا . . لا . . كاذب أنت . .

وسكت الجار . . زوجى العزيز ـ وقال لى بأسى ما بعده أسى . . بصوت أشنع من البكاء وأقسى من الأنين .

قواتنا تتجمع غرب القناة . .

وخرجت إلى الشارع . . كنت كالمجنونة وسط العقلاء ، أو عاقلة

وسط مجانين ، الناس سعداء بانتصارات المذياع ، وأنا أبحث عن سيارة توصلنى إلى أى مكان من القناة . . لتصورى أنك بين الذين نقلوا من صنعاء إلى سيناء وانسحبوا غرب القناة . . وركبت تاكسى وقلت له إلى القناة . . وسألنى أى مدينة . . قلت أقربها . . وكانت الاسماعيلية ، لم يعترضنى أحد فى الطريق . . وفى الاسماعيلية كانت المأساة حية . . الجيش المنسحب من سيناء . . آلاف من الجنود والضباط على ضفة القناة . . طائرات اسرائيل تمرح فى سماء الاسماعيلية . . عشرات الجرحى تحت أشجار المانجو والصفصاف . . وبدأت أسأل كل من أقابله . .

● هل كنت فى اليمن . .

— نعم . .

● هل تعرف زوجى . .

— نعم . .

● هل هو فى سيناء . .

— ربما . .

● هل هو فى صنعاء . .

— ربما . .

● هل استشهد . .

— ربما . .

● هل انتصر . .

— لا ياسيدتى . .

وسألت آخر . .

● هل أنت من قوات اليمن ؟

— لعن الله أيام اليمن . .

● متى تركت اليمن ؟

— منذ عامين . .

● هل تعرف زوجى ؟

— نعم . .

● هل كان معكم فى سيناء . .

— لا . . زوجك على ما أعتقد من المؤمنين بحرب اليمن ، ولذلك إما انه رحل ، أو انه على الجبال فى اليمن .

وسألت ثالث . . من الذين قاتلوا فى اليمن وقال :

— وكنت مع زوجك فى اليمن . . منذ اسبوع أو أقل وكان الرجل يتحدث معى كالمجنون لسببين ، اننا ندخل حربا بلا استعداد ، وانه فى اليمن لا يشاركنا مواجهة العدو ، زوجك سيدتى محظوظ ، فلو انه جاء لفقد حياته ، أو فقد بقية عقله ، لقد نزلنا فى ميناء الطور ، جنودى لا يعرفون شيئا عن سيناء ، وقيادة الجبهة لا تعرف أين موقعنا ولا المهام القتالية التى سنقوم بها ، ان التدريب يكون أكثر تنظيما مما نحن فيه ، وبعد اتصالات وصلنا إلى أحد المواقع المتقدمة فى سيناء ، وكان ذلك مساء يوم الرابع من يونيو ، وقضينا الليل بلا عمل ، لأننا كنا فى حالة التعب والاجهاد وفى الصباح صدر لنا أمر الانسحاب ، ولم نكن ندرى لماذا الانسحاب ؟ فلا قتال حدث ، وبعدى عن الأخبار جعلنى أقبل الأمر بلا تفكير ، وكانت لدى قناعة دائمة ان القيادة فى مصر تفكر أحسن منى بكثير ، وبدأ الانسحاب المنظم للتجمع غرب القناة ، وفى الطريق بدأت الطائرات الاسرائيلية تنقض على القوات ، وكانت هذه القوات قد نسيت تماما الاصغاء للطائرات أو مواجهتها ، وأصبنا بالذعر ، ومات من مات ، وهرب من هرب ، ودبت الفوضى فى القوات ، وتفرقنا ، وتركنا قتلانا . . وصل من وصل إلى غرب القناة . .

والعدو . . أين كان ؟

— العدو . . ربما فى القاهرة ؟

— اليهود أقصد ؟

— لم نرهم . . لم نواجههم . . كان قرار الانسحاب لصالحهم . . كنا نترقب لحظة اللقاء باليهود . . ولكن قبلها بثوان جاء أمر الانسحاب . .

زوجى العزيز . .

لقد قررت البقاء فى الاسماعيلية متطوعة لانقاذ آلاف الجرحى من الشباب ، وعشت فى هذه المدينة اسبوعا ، وغرقت مع الجنود ، كانوا يقولون ان هذه الهزيمة البشعة قد بدأت فى اليمن . واهتز النظام ، وكان يخشى من العائدين من جبهات القتال لكل جبهة قصة سواء كانت فى اليمن ، أو فى سيناء ، وانتشر رجال المخابرات بين صفوف القوات المسلحة ، وتم تصفية كل مشكوك فى ولائه مهما كان مقاتلا عظيما أو غير عظيم ، ان الأوامر صدرت بمنع عودة هؤلاء الرجال إلى داخل مصر ، حتى الجرحى لا يجدون الطريق إلى مستشفيات القاهرة ، هنا الجرحى فى رعاية بيوت سكان الاسماعيلية . .

زوجى . .

الهزيمة كبيرة . . أكبر من أن يتحملها هذا الشعب . . والقوات المسلحة والتى تلصق بها نتيجة الهزيمة هى بريئة من الهزيمة . . لقد بدأت الهزيمة فى اليمن . . وانتهت بقرار الانسحاب . .

بودى أن أنشر رسالتك الأخيرة لى على الناس ، وأقول لهم ان هزيمتنا بدأت فى صنعاء وانتهت فى سيناء . .

● زوجتك الحزينة

● ● ●

● الرسالة الثانية عشرة ●



صنعاء فى اغسطس عام ١٩٦٧

زوجتى العزيزة . .

الحزن يكسو الوجوه ، وشماتة تطل من العيون ، وهامات تقصر ، وتجتمع فى حلقات تستمر حتى الصباح نتحدث عما أسميتموه فى القاهرة « بالنكسة » ولكنى اقول انها ليست نكسة ، بل وليست هزيمة ، بل هى ثمار لشجرة زرعناها وعلينا ان نحصد هذه الثمار .

كل شىء ممكن ان يقال ، ولكن علينا ان نعيد الفروع الى اصولها ، ونبحث عن أسباب النكسة ، ونقطع هذه الشجرة التى لا تثمر للشعب الا هزائم . .

يمكن أن يقال أن الهزيمة بدأت مع نهاية الحرية فى بلادى ، ففى غياب الحرية أمتدت كل يد قوية الى الشعب لتخنقه فى الظلام ، وتحول شعب مصر الى « مسرح للعرائس » مشدودة بالأحبال ، يتحرك عندما يحركه غيره ، يضحك ، يحزن ، يغرد ، ولكن بالأحبال .

قد يقال ان الهزيمة بدأت مع سطوة المخابرات ، وأجهزة القمع ، والحكم بالمزاج الشخصى ، وغياب المؤسسات الدستورية ، فتحول الشعب على مر السنوات الى جالية ، تقف فى الساحة ، ويقف امامها الزعيم ليتحدث ، وهم يصفقون .

قد يقال ان الهزيمة بدأت مع البلطجة السياسية فى مصر فلا يمكن لدولة تنتصر وزعيمها يقف اكثر من مرة يفاخر الشعب بأنه استطاع ان يعتقل عدة آلاف فى ليلة واحدة . او ان يقول الزعيم ان المدين أقوى من الدائن ، وانه لن يدفع ما عليه من ديون لدولة ما .

قد يقال ان النكسة بدأت عندما ألقى بمصر بكل ثقلها الاقتصادى لخارج مصر ، حتى اعطت كل ما ليها وم يبق لها شىء تدفع به الفقر والمرض والجهل ، فواجهت العدو وهى مريضة كسيحة لا تملك ما تدافع به عن نفسها .

ولكن اقول ، عن رؤية بالعين المجردة ، عن معرفة بأسرار رهيبة ، عن مشاهداتى فى تحويل المقاتل الى لا مقاتل . الى اى شىء غير كونه مقاتلا اقول ان النكسة قد بدأت يوم ان قرر الرئيس جمال عبد الناصر ارسال قواته الى اليمن ، من هنا بدأت النكسة ، من هنا كان الطريق اليها معبدا جاهزا ، قواتنا فوق الجبال اللعينة فى اليمن ، والعدو فى صحراء النقب يتدرب على ضرب المطارات المصرية ، مخابراتنا تتعقب مرتزقة البدر فى روما ولندن وباريس ، ومخابرات العدو تتعقب أى مستوى عسكرى وصلت اليه قواتنا ، مخابراتنا واجهزة الأمن الداخلية تتعقب المصريين الذين يعارضون وجودنا فى اليمن ، ليزج بهم فى السجون ، ومخابرات العدو وأجهزة امنه تعمل على حماية اسرار

خطط ونوايا الجيش الاسرائيلى نحن انشانا ـ فى سبيل اليمن ـ اكثر من عدو ، وهم وضعوا فى اذهانهم عدوا واحدا ، وكان لابد ان يصلوا الى ما وصلوا اليه .

سأظل اقول ان هزيمة الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ قد بدأت فى اليمن ، وستظل هذه قناعتى حتى الممات ، ان هذه القناعة مقرونة بالحقائق التى لا تقبل الشك ، كانت المعارضة ـ مثلا ـ فى مصر اشتدت لوجودنا فى اليمن وما ينتج عنه من ازمات اقتصادية وسياسية ونفسية فى مصر . وكان يريد ان يخرج من اليمن بطلا ، وكانت هذه معادلة صعبة التحقيق والمنال ، ولكن خروج هذه القوات لمحاربة العدو الاسرائيلى يبدو منطقيا امام رجل الشارع فى الحمرا وساحة المرج والبرج أيضا ، وتخرج القوات وفى نفس الوقت تخشى اسرائيل الهجوم على مصر ، ويكون حقق بذلك انتصارين خرج من اليمن بطلا ، وقام بحماية سوريا من الحشود الاسرائيلية ولم يحارب .

نحن الآن نستعد للعودة الحزينة ، العودة فى الظلام كما سافرنا فى الظلام ، ولا ادرى كيف تكون العودة ، كيف يمكن نقل اكثر من خمسين الف مقاتل الى بلادهم ، وهل يتم النقل بالطائرات ، ام بالبحر ، واذا كان بالبحر فان كافة الموانىء على البحر الأحمر مهددة بنيران العدو الاسرائيلى ،

زوجتى . .

اقسم لك ان هؤلاء الرجال لن يتركوا الزعيم بلا حساب ، فحتى اذا انتصرنا بقيادته فلن نتركه بلا حساب ، واذا هزمنا مرة اخرى بقيادته فلن نتركه بلا حساب ، سنحاسبه على آلاف الشهداء على جبال اليمن ، سنحاسبه على آلاف الشهداء فى رمال سيناء ، اننى اعلم انه يبذل كل جهده فى تأجيل ساعة الحساب ، ولكن لن نتركه ، ولن يتركه هذا الشعب الصبور ، الذى اعطى بلا حدود وبلا مردود ، سنحاسبه على سجناء مصر ، سنحاسبه على هدم مصر ، لقد كنت اسمع قصص العذاب

والتعذيب ولا اصدقها ، واقول ان الزعيم عظيم ولكن المشكلة ، وبعض الفساد فيما حوله ، ولكن الرجل العظيم هو الذى يحيط نفسه بالعظماء .

زوجتى . .

اعلم انك ، او ربما غيرك يحمل نفس افكارك قد خرج يوم التاسع من يونيو يقول له . . لا . . لاتتنح واعلم ان الدموع الغزيرة قد انسابت من عينك يوم التاسع من يونيو ، وأعلم ان الشارع العربى فى كل مكان من الوطن العربى قد خرج يقول له . . لا . . أيها الزعيم ابق مكانك . .

ولهذه عشرات التفسيرات . . بل مئات التفسيرات ، كما ان هناك فرقا بين خروج الشارع المصرى والشارع العربى .

وقبل ان أعدد لك الأسباب . . اذكر ان تشرشل واجه مثل هذا الموقف فى بداية الحرب العالمية بعد موقعة دنكرك . . ماذا قال تشرشل . . لم يقف ليتنحى . . ولم يذرف الدموع . . بل قال سوف نهزم فى هذه المعركة . . والمعركة القادمة . . وربما الثالثة . . ولكن المعركة الأخيرة لنا . . الفاصلة لنا . .

ولكن زعيمنا . . وقف يبكى . . وينتحب . . . !

لا انكر ان الشارع العربى له الحق فى بكاء عبد الناصر ، وفى المناداة بوجوده ، فلقد اعطى لهم عصارة القلب المصرى ، وفى سبيلهم ، استشهد الآلاف من هذا الشعب ، يكفى مثلا شهداء اليمن . . اكثر من عشرين الف شهيد بالاضافه الى مليونين من الجنيهات يوميا تهدر على جبال اليمن . ويكفى هؤلاء الشهداء أن سقطت اسوار اليمن الى الأبد ، ويكفى أنه بهؤلاء الشهداء يستعد الاستعمار البريطانى للرحيل من الجنوب والخليج العربى ، ويكفى ان السعودية ــ نفسها ــ قد ودعت مرحلة التقوقع ، وجاء الملك فيصل يبنى للناس المدارس والمعاهد ويشق الطرق . .

ولكن ــ زوجتى ــ الثمن باهظ ، فان هزيمة الخامس من يونيو كانت أغلى من كل ما سبق ، كانت عارا على مصر وكل العرب .

زوجتى . .

بودى ان أترك رسالة لأجيال مصر ، أقول لهم فيها ، احرصوا أبدا على الحرية ، قولوا لا لكل خطأ ، الزعيم بشر مثلى ومثلك يصيب ويخطىء وان لا اله الا الله ، ولا يوجد على الأرض آلهة ، ولن يرتفع بشر الى مصاف الآلهة .

بودى ان اقول للاجيال القادمة لا توجد ديكتاتورية عادلة ، فلقد خسرنا من دكتاتوريته كل شىء ، لقد تسلم مصر بالشكل الآتى :

١ ـ الأمية تصل الى ٨٥ ٪ .

٢ ـ الفساد يدب فى دواوين الحكومة .

٣ ـ الجيش نصف مهزوم فى فلسطين .

٤ ـ الانجليز فى قناة السويس .

٥ ـ مصر تدور فى فلك الغرب .

٦ ـ هناك فى مصر مجتمع الأثرياء ، او ما يطلق عليه مجتمع النصف فى المائة ممثلا فى الاقطاع ورأس المال المستغل ، فى مصر معارضة شديدة شعبية للبنود السابقة ، ويوجد قبل قيام الثورة فى ١١ فبراير عام ١٩٥٢ مقال فى جريدة مصر الفتاة يقول « رعاياك يا مولاى » ، بمناسبة عيد جلوس الملك فاروق ، ونشرت صورة الفقراء والشحاذين .

والآن . . ما هى صورة مصر بعد خمسة عشر عاما من حكم الزعيم ؟

١ ـ الأمية وصلت الى٨٦ ٪ .

٢ ـ الفساد مستشر فى دواوين الحكومة فى حماية الديكتاتورية وفى غياب حرية الصحافة .

٣ ـ الجيش هزم هزيمة ساحقة أمام العدو الاسرائيلى .

٤ ـ مصر الآن تحكم ـ رغم انفها ـ من موسكو .

٥ ـ انخفض دخل الفرد ، وظهرت طبقة جديدة ثرية الى درجة كبيرة ، ولكن بلا عرق ، بل بالسرقة من اموال الناس ، بالاستفادة من غياب كافة الأجهزة الدستورية .

٦ ـ أزمة اخلاق طاحنة ، وهذا أخطر ما يواجه مصر ، لا أحد يكترث لما حدث ، الأخ يحقد على اخيه ، تبخر الوفاء وانتهت الشهامة .

٧ ـ من شدة الفقر ، وشعبنا لم يكن فقيرا الى هذه الدرجة من قبل ، بدأ الانحلال يتسرب الى الأسرة ليدمرها ، والتى هى عماد المجتمع .

٨ ـ الناس بلا آراء ، لا يوجد فى مصر ، سوى رأى واحد ، ورؤوس متشابهة ، كل الناس دخلوا القالب ليخرجوا منه بفكر واحد ، بشكل واحد ، ومن يشذ عن هذه القاعدة لا يخرج ابدا .

كل هذا ، كانت اليمن احد اسبابه ، او السبب الرئيسى فى كافة هذه النتائج ، هذه الأرض التى اكتب اليك منها رسالتى قد ادت بمصر الى ما وصلت اليه مصر الآن .

لقد خضنا حربا سرية ، وقتلنا بلا سبب ، انتحرت مصر فى سبيل ثورة السلال ، هزمت مصر فى سبيل ثورة سبتمبر ، كما حضرنا فى الظلام هنا نحن نستعد للرحيل فى الظلام ايضا ، واخشى ما اخشاه ان يبقينا هنا ، خوفا من ان نقوم بانقلاب عليه ، ولكن اقسم لك أن يوما ما ، ربما بعد ما ننتصر على سكان الضفة الشرقية لقناة السويس ، وربما نهزم أمامهم مرة اخرى ، ولكن حسابنا لابد ان يكون عسيرا ، لابد ان اسأله . . لماذا ذهبنا الى اليمن ؟ . . وماذا جنت مصر من حرب اليمن ؟ . . وما ثمن عشرين الف زهرة من شبابنا سنتركها وديعة فى أرض اليمن ؟ . . والأرامل . . كيف تعوضهن ؟ ؟ والمصانع التى توقفت ؟ . . وضرائب الناس وحرمانهم فى سبيل اليمن ؟ . .

بودى ان اقول له . . هل تستطيع ان تعوض جيلا كاملا احلى سنوات عمره ؟ . . هل يمكن ان تعيد الحياة لآلاف القتلى فى اليمن ؟ . . ولماذا ؟

لا أدرى كيف تتم عودة القوات من اليمن ؟ . . اننا لو أعطينا ظهورنا هنا ولو للحظة واحدة فسوف نضرب برصاصة او يرشق فى ظهورنا خنجر ، ان الانسحاب كالحرب تماما ، والا فسوف نخسر نصف

ما خسرناه فى اليمن ، ونحن هنا مازلنا فى المأزق ، ولا ادرى كيف يكون الحل .

الانجليز - زوجتى - فى الجنوب يستعدون للرحيل ، ويوجد فى الجنوب الآن اربع قوى تتصارع على السلطة ، قوة الحكام والسلاطين ، وهذه مرحلة انتهت من الجنوب ، وقوة حزب الرابطة ، وهو موال للسعودية ولذلك فان بريطانية سوف ترفض تسليم السلطة للرابطة حتى لا يكون للسعودية نفوذ فى الجنوب ، وجبهة التحرير ، ورئيسها عبد القوى مكاوى وهى ناصرية ، ولن تسلمها بريطانيا السلطة ، بل لن تشركها فيها ، وستبقى الجبهة القومية لتحرير الجنوب ، وهى جبهة يسارية ، على خلاف مع السلاطين والحكام وحزب الرابطة وجبهة التحرير ، وعلى خلاف مع الزعيم ، ولذلك فان كل الاتجاهات تقول ان هذه الجبهة هى التى ستحكم الجنوب العربى ؟ . .

ليظل التمزق هو السائد فى الجزيرة العربية .

ولتظل مصر بعيدة عن الجزيرة العربية . .

ولتبدأ المعارك الاعلامية والتى قد تتطور بين الجنوب وجيرانه فى الشمال . .

والشمال حيث نكون . . ان هزيمة يونيو قد انستنى احداث اليمن فيما بعد النكسة ، القتال يتوقف حتى الآن ، نحن نحارب لوجودنا ، نحارب قبل ان نموت ، نحارب حتى نخرج ، نحارب حتى نعود فى الظلام .

وبصدق فان الرئيس السلال حزين لما يجرى فى القاهرة ، فان الرئيس السلال يتوقع خروج القوات المصرية من اليمن ، واذا خرجت هذه القوات خرج قبلها أو معها السلال ، نحن قد فرضنا على الشعب فى اليمن هذا الرجل ، والشعب كان يريد غيره ، ولكن لا يستطيع ان يغير فى الأمر شيئا . .

لقد اصدر قائد القوات العربية فى اليمن أوامره بالتجمع فى نقط

أقوى ، حتى يمكن التحرك في وقت ما إلى اماكن التجمع في الطريق الى مصر الحزينة . . ربما كان هذا هو اول امر للقائد الجديد فلقد وصلنا في يوليو ١٩٦٧ اللواء عبد القادر حسن ، ويبدو انه هو الذى سيقودنا في الظلام الى مصر .

والحقيقة ان رجال الأمن يبذلون جهدا كبيرا لمحاولة توزيع مسئولية الهزيمة على غير مسببها، يجتمعون معنا ، يقولون مرة ان الاتحاد السوفييتى هو السبب ، ومرة اخرى ان الولايات المتحدة الأمريكية هى السبب ، ورابعة ان المشير عامر هو السبب ، وخامسة ان الرئيس جمال عبد الناصر قد حذر من هجوم اسرائيلى صباح يوم الاثنين الخامس من يونيو ، نفس موعد الهجوم الاسرائيلى .

ولقد قلت لأحد رجال الأمن . . الاتحاد السوفييتى برىء من الهزيمة . والولايات المتحدة بريئة من الهزيمة ، الهزيمة بدأت يوم ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ عندما اعلن راديو صنعاء الثورة ، وأرسلنا قواتنا هنا إلى جبال اليمن . من هنا بدأت الهزيمة .

وثار رجل الأمن . . وقال لقد جئنا نحمى ثورة .

وقلت له . .

لا أدرى . . هل كان من الضرورى حماية ثورة اليمن بانتحار مصر . . واضفت له . .

كان هناك آلاف الطرق لحماية ثورة اليمن ، كنا نحاول بدلا من ست سنوات قتال ، نموت وندفن على جبال اليمن ، كنا نفكر في ست سنوات بناء في اليمن . اذا كانت القيادة المصرية حريصة على مصلحة اليمن اكثر من حرصها على مصلحة مصر . . لكانت ارسلت جيشا من المدرسين والأطباء والمهندسين . .

ثورة اليمن كانت في حاجة الى حماية سلامه . . لا الى قتال .

وقال الرجل . .

— وهل كانت السعودية تسكت على ثورة اليمن ؟

— السعودية حاربت للحفاظ على وجودها ، واضفت لرجل الأمن . .
— لو ان الجسور ممدودة بيننا وبين كافة الدول العربية بما في ذلك السعودية لامكن توفير الرخاء لشعب اليمن وشعب مصر ايضا ، لو عشنا اعواما في سبيل مصر لأمكن لنا توفير الرخاء والسلام والاستقرار لكل الأمة العربية . .

لقد ذكرنا هذا الرجل بمنتصف طريق بين الشك والايمان في الزعيم . . لقد كانت على وجهه علامات الموافقة على ما أقول . مهما كانت وظيفته فهو مثلى مهزوم في سيناء بقيادة الزعيم .

الأحداث لم تعد هنا هامة ، كلنا ننظر الى الأحداث في القاهرة ، وماذا سيفعل بنا الزعيم . . واين سنكون . . ولكن المهم ان نعود بسرعة الى أرض مصر العزيزة ، فهى في حاجة الينا أكثر من أى وقت مضى . انى اسمع نداء مصر وانينها والشوق اليها . . كما اتشوق اليك

● زوجـك .



● ● جنود مصر على بعد أربعة آلاف كيلومتر من الوطن . . أثناء احدى المعارك في وديان اليمن . . وفي أعلى الجبال الشاهقة . . يعيش الجنود المصريون لتأمين المحاربين . .

• جواب الرسالة الثانية عشرة •

زوجى العزيز . .

احداث القاهرة تتلاحق ، والناس تسأل اين قواتنا فى اليمن . . ولكن اكثر الاخبار اثارة هو انتحار المشير عامر . . وكان المشير عامر قد اتفق مع الرئيس جمال عبد الناصر على تقديم استقالتيهما ولكن الناس اعادوا الرئيس عبد الناصر . . لذلك كان لا بد ان ينتحر المشير . . يقولون فى القاهرة ان المشير لابد ان ينتحر حتى يمكن للرئيس جمال عبد الناصر الذهاب الى مؤتمر القمة فى الخرطوم لحل بقايا مشكلة اليمن . . وقبل ان يذهب الرئيس الى الخرطوم كان رئيس الجمهورية المقترح زكريا محيى الدين محددا اقامته فى منزله بالدقى ـ ذلك ان بعض الناس قد علقت صورته بدلا من صورة عبد الناصر يوم التنحى . . والبعض قال ان الرئيس عبد الناصر لم يترك انسانا الا وناصبه العداء . . وان الرحلة القادمة تحتاج الى وجه جديد يعبر الجسور بيننا وبين ثلاثة ارباع الكرة الارضية . لهذا كان لابد أن تحدد اقامة السيد زكريا محيى الدين تماما كما انتحر المشير .

هذه هى الصورة السريعة ـ قبل سفر الرئيس الى الخرطوم . وطبا سمعت اتفاق الخرطوم . . واعتقد ان الرئيس سوف يحترم

هذا الاتفاق . . لماذا . . ؟ لانه لا يملك عدم احترامه . . واسمع اسرار القاهرة عن قضية « الفصل الأخير » فى مأساة اليمن :

والفصل الأخير - زوجى - له ثلاثة ابطال . .

الأول . . ناصر . . وهو الآن فى وضع لا يملك غير القبول . . فهو يريد اعادة بقية القوات وعددها - بعد انسحاب جزء منها - ٥٠ الف مقاتل فى اليمن ، وهو الآن فى حاجة الى صيغة من التضامن العربى فى اقل صيغة .

الثانى . . فيصل . . وهو يريد ان تخرج القوات المصرية من اليمن . . وتبعد خطرها عن السعودية . .

الثالث . . وهو رجل صديق للرئيس عبد الناصر . . خفيف الظل . . لونه اسمر وقلبه ابيض . . ربما يكون العربى الوحيد الصديق لعبد الناصر الذى يقول له : لا . . لا لليمن . . لا لحرب العرب بعضهم بعضا . . وهو السيد احمد محجوب رئيس وزراء السودان . . وهو فى نفس الوقت على علاقة طيبه بالملك فيصل ، ولذلك فهو انسب رجل لهذه المهمة ، والرجل يعشق جمال عبد الناصر . . لا ادرى لماذا ؟ . . وكم من مرة حاول تسوية قضية اليمن ، لأنه يؤمن ان لا شىء اخطر على حكم عبد الناصر غير وجوده فى اليمن ، لا شىء اخطر على وجود مصر كقلعة للوطن العربى غير حرب اليمن ، واذا جلست مع محجوب فانك لا تستطيع مقاومة اغراء صداقته ، ربما لخفة ظله ، ربما لثقافته السياسية العميقة ، ربما لفلسفته السهلة العميقة ، ربما لتعليقاته الذكية ، ولكن أهم من كل ما سبق بساطته وقلبه الأبيض . .

فى لقائه الأول مع عبد الناصر ، كان لديه الشجاعة ان يقول له . . لقد ارتكبت خطأ كبيرا بارسال قوات مصر الى اليمن ، وكان يقول له يبدو ان معرفتك قليلة بتاريخ هذا الجزء من الوطن العربى ، فان الأمبراطورية العثمانية ايام مجدها وقوتها وازدهارها حاولت مرة ان تحتل اليمن وارسال عزيز باشا المصرى الذى اشترك فى هذه الحملة - ولقد فشلت هذه الامبراطورية فى الاحتلال أو البقاء فى اليمن .

اليمن تركيبة ـ كما يقول محجوب ـ تاريخية وجغرافية ، ودينية وقبلية غريبة وخطيرة فى نفس الوقت . . كان هذا هو رأى محجوب ، وهو رأى مخلص لم يسمعه ناصر الا من فئة اخرى ، هى « قادة اول حزب فى الجنوب العربى » ، كان محجوب يريد ان يخلص ناصر من توريطه فى حرب اليمن ، وفى عام١٩٦٥ أبدى رغبته فى التوسط بين مصر والمملكة العربية السعودية . . ولكن محجوب لم يوفق فى اتمام هذه الوساطة . .

وفى الشهر الماضى ـ اغسطس ١٩٦٧ ـ لاحت بوادر امكانية التوسط مرة اخرى . . وكانت البادرة فى الخرطوم ، عندما اجتمع وزراء الدول العربية لبحث « الخروج من الهزيمة والتمهيد لمؤتمر قمة عربى » ، وقد اثار السيد محجوب « الأزمة اليمنية » مع محمود رياض وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة ـ وزير خارجية مصر ـ وبالمناسبة لا أدرى لماذا الغينا اسم مصر ، والذى ورد اكثر من مرة فى القرآن الكريم ؟ ولماذا نحن نقول حتى الآن : « متحدة » ومتحدة مع من ؟ . .

المهم . . ان رياض قال ان سبب فشل جهود السلام يعود الى الامبريالية العالمية . .

وقال السقاف ـ وزير الدولة السعودى للشئون الخارجية ـ ان السعودية بذلت الجهود فى سبيل السلام . .

واستقر الرأى بين رئيس وزراء السودان ووزيرى خارجية مصر والسعودية على حل مشكلة اليمن انطلاقا من:

١ ـ انسحاب مصر نهائيا من اليمن .

٢ ـ الشعب اليمنى يقرر مصيره .

٣ ـ السعودية توقف الدعم المالى للملكيين .

وعلى ضوء هذه البنود ، سافر محجوب الى جدة والقاهرة ، وفى جدة وجد محجوب بعض الصعوبات فى الحديث عن مسألة اليمن ، واخيرا قابل الملك فيصل وتحدث معه فورا فى أمر تسوية مشكلة اليمن ، وكان اصراره نابعا من اكثر من واقع ، كان يريد ان ينهى خلافا تاريخيا . .

وكان يريد ان يقول ان أحمد محمد محجوب قد استطاع خلال حياته السياسية ان ينهى خلاف السعودية ومصر ، وكان يريد للقوات المصرية ان تواجه الاسرائيليين بدلا من ان تواجه اليمنيين .

تحدث طويلا - زوجى - الرجل الأسمر ، طيب القلب ، تحدث عن حاجة مصر لكل مليم فى سبيل مواجهة العدو ، تحدث عن الحالة الاقتصادية المتردية فى سبيل اليمن ، تحدث عن اجتماع وزراء الخارجية فى الخرطوم . .

وقبل الملك فيصل اقتراحات الرجل السودانى ، طيب القلب ، وبدأ فورا مناقشة التفصيلات مع الرجال الاقوياء فى السعودية كمال أدهم والسقاف ورشاد فوعون .

واقترح محجوب اتفاقية مقبولة من كافة الأطراف او على الأقل من طرف ناصر . .

واقترح كمال ادهم اتفاقية اخرى ترضى الملك فيصل . .

وذهب كمال ادهم بالاتفاقيتين الى الملك فيصل اتفاقية محجوب ، رغبة منه فى ان تكلل مهمته بالنجاح ، ورغبة منه فى قبول مصر بهذه الاتفاقية .

وذهب محجوب يشكر الملك على قبوله لهذه الاتفاقية ،وجد ان الملك فيصل قد قبل الاتفاقية فى سبيل شعب مصر ، وانه يكره عبد الناصر كراهية التحريم ، لأنه يرى فى عبد الناصر انه على غير ما يعرفه الناس ، انه غادر حتى بأقرب المقربين اليه ، انه لايرى الا مصلحته فقط ، مصلحته الزعامية والشخصية ، وان عبد الناصر سوف يقبل بهذا لأنه لا يملك الا القبول . وقد يماطل ، قد يجادل ، قد يمرض بالوهم ، ولكن الحقيقة اقوى من كل ماسبق . . الحقيقة ، انه قائد نكسة ، وانه امر بانتحار اعز اصدقائه ، وانه لا يثق الا فى نفسه ، وانه لا يخدم الا « ناصر » ، ولكن لابد ان يقبل ، فلم يعد فى وسع مصر المسكينة المظلومة ، المهزومة بقيادة ناصر الا قبول هذه الاتفاقية .

وكان محجوب سعيدا بأنه احرز تقدما ، فسافر الى القاهرة ، وكان فى

استقباله زكريا محيى الدين رئيس الجمهورية المقترح من الرئيس جمال عبد الناصر .

وكان عبد الناصر فى استقباله ، كان متلهفا للقاء طيب القلب ، وقابله على الفور . . وقال له محجوب هذه البداية . . أو هذا جدول اعمال بيني وبين [illegible] فى مؤتمر الخرطوم . .

وقال له ، عبد الناصر . .

— لن احضر مؤتمر الخرطوم . .

— لماذا . . سيدى الرئيس . .

— لو سافرت . . فان زكريا محيى الدين سوف يقوم بانقلاب ضدى . .

— لا . . لا . . لا اتصور ذلك . . فان البلاد تحتاج إلى شجاع . . إلى مغامر كى يقوم باستلامها . . اننى ارفض ان اكون رئيسا لجمهورية مصر .

ـ لماذا ؟

اولا : . . مطلوب منى ان احقق نصرا عسكريا على اسرائيل وهذا مستحيل ، مطلوب منى ان اعيد للمصريين كرامتهم ، وهذا مستحيل ، . . فارجو ان تشير إلى علم ذلك المجنون الذى يستطيع أن يحقق كل ما افسدته السنوات الطويلة الماضية .

واضاف محجوب . .

ـ لاتخف . . اذهب إلى القمة . . وبدات مرحلة جديدة . . بدات يوم ٢٥ أغسطس عندما ذهب ناصر إلى الخرطوم ، واليك ـ زوجى ـ القصة ـ قصة وجودنا فى اليمن ذهب ناصر إلى الخرطوم ، فى بيت محمد احمد محجوب بدات المباحثات بين ناصر والملك فيصل . . وقد قال عبد الناصر للملك فيصل . .

ـ اننى موافق على اى شروط ، ولكن لى طلب واحد فقط ، وهو الا تعود اسرة حميد الدين لحكم اليمن مرة أخرى . .

وقال له الملك . .

- اسرة حميد الدين كانت عدوة لى على مدى أربعين عاما . .
وقال الأمير سلطان ، وكان قد حضر هذا الاجتماع . .
- ان اسرة حميد الدين لن تعود . . لقد فقدت الأمل . .
وقال عبد الناصر :
- نقطة اخرى . . مصر لم يعد لديها سفن لنقل الجنود . . فهل تساعدنا المملكة العربية السعودية .
- استأجروا السفن . . ونحن ندفع .
وكان امرا غريبا ، طلب عبد الناصر ان تقوم السعودية بدفع إيجار السفن التى سوف تعيدكم إلى ارض مصر ، ثم بدأت مناقشة اتفاقية الخرطوم . . كان الملك يعلم ان عبد الناصر جاد هذه المرة فى سحب القوات . . وانتهى الاتفاق . . حرصا على تنقية الجو العربى ، ودعما لأواصر المودة والأخاء بين الأشقاء العرب ، ورغبة فى حسم مشكلة اليمن ، فقد تم الاتفاق .
أولا :على تكوين لجنة ثلاثية كأداة تناط بها معالجة المسألة ويتم تكوينها باختيار المملكة العربية السعودية لأحدى الدول العربية ، واختيار الجمهورية العربية المتحدة لدولة عربية ثانية وأن توكل الدولة الثالثة إلى مؤتمر وزراء الخارجية العرب فى الخرطوم أو بالاتفاق بين الدولتين .
ثانيا : تكون مهمة اللجنة وضع التخطيط الذى يضمن انسحاب قوات الجمهورية العربية المتحدة من اليمن ووقف المساعدات العسكرية التى تقدمها المملكة العربية السعودية إلى جميع المدنيين .
ثالثا : على اللجنة أن تبذل مساعيها لتمكين اليمنيين من التحالف لتحقيق الاستقرار وذلك مع رغبات أهل البلاد الحقيقية وتثبيتا لحق اليمن فى السيادة والاستقلال الكاملين .
رابعا : على اللجنة ان تستشير كلا من المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة فى كل ما يعرقل مساعيها بغية تذليله والتوصل إلى تفاهم ترضاه الأطراف العربية المعنية لكى تزول مسببات

هذا النزاع وتصان الدماء العربية ، وتدعم الصف العربى ، ويعم الصفاء . . وتكونت اللجنة الثلاثية من العراق والمغرب والسودان . .

لك أن تضحك ـ ياَ صَديقى ـ السلال يعارض الاتفاقية ، وسالوه . . اى بند تعارض . . فقال . . كل البنود . . كان لا بد أن أحضر الاجتماع . . وكان السلال يرفض خروج القوات العربية من اليمن ، لقد اقام السلال جسورا من الكراهية بينه وبين فئات كثيرة من الشعب اليمنى ، وكان يشعر انه لو ترك وجها لوجه مع الشعب اليمنى ، فسوف يثارون منه . .

انتقلت اللجنة بعد اجتماع الخرطوم لتعقد اجتماعها فى بيروت فى ١٧ سبتمبر ، وكان يمثل السودان السيد محمد أحمد محجوب ، ويمثل المغرب احمد العراقى وزير خارجيتها ، ويمثل العراق اسماعيل خير الله وبدات اللجنة تستمع فى بيروت إلى شهادات كبار اليمنيين استمعت إلى محسن العينى ، وإلى أحمد الشامى وإلى أحمد النعمان ، واحمد محمد باشا ، وقاسم الوزير وعباس الوزير ، ولكن لماذا ببيروت ؟ لأن البعض ممنوع من دخول القاهرة ، والبعض ممنوع من دخول السعودية ، ومعظمهم ممنوعون من دخول صنعاء .

وسافرت اللجنة بعد ذلك إلى صنعاء عن طريق القاهرة ، واعتقد انك أقدر فى معرفة ماذا فعلت اللجنة فى صنعاء لكى تجتمع برجال اليمن .

مسالة مخزية ، ومضحكة ، الرجل الأسمر طيب القلب سال فى صنعاء عن ثلاثة من القيادات الجمهورية هم : حسن العمرى الرجل القوى ، واحمد محمد النعمان ، والقاضى عبد الرحمن الاريانى . . وعلم انهم فى القاهرة ، وفى القاهرة علم أن العمرىَ فى السجن الحربى ، ونعمان معه ، والاريانى محددة اقامته فى منزله .

وتعجب الرجل من سجن يَمنيين كبار فى سجون مصرية يحملون جوازات سفر دبلوماسية ، يحتلون مناصب كبيرة ، عاشوا الثورة ، واختلفوا فى الأسلوب ، ولكنهم متفقون على بقاء الجمهورية . .

زوجـى . .

. . هل هناك قانون يقول ذلك . . ؟ هل اليمن افقدتنا معرفة الصواب من الخطا . .

وذهب محجوب لمقابلة عبد الناصر . . وقال له :

— أريد ان ارى الزعماء اليمنيين الثلاثة . .

فقال له الزعيم . .

— اثنان منهم فى السجن ، والثالث فى بيته .

ثم اضاف الزعيم . .

— ويمكنك الآن ان تستمع اليهما فى السجن . . سارتب لك ذلك . .

وابتسم محمد محجوب ابتسامة سخرية . .

— سيدى الرئيس . . ما هو الضمان اذا دخلت لرؤيتهما فى السجن ، ان يغلق من خلفى الباب ، ويستضيفنى مدير السجن فى حجرة مجاورة .

فقال ناصر . .

لا . . لاتخف . . لن اسجنك .

ولكن الرجل الطيب الأسمر ، لم يثق فى هذا الضمان ، وطلب رؤيتهما فى قصر الطاهرة حيث ينزل ضيفا على الحكومة المصرية ، وبعد يومين جاء الثلاثة إلى قصر الطاهرة . . وبدلا من السؤال عن احوال اليمن سالوا عن النكسة ، والحكاية من اولها إلى آخرها ، ثم سالوا عن اليمن ، والسلال ، والقوات المصرية الموجودة ، وجاء موعد الغداء . . وكانت لحظة انسانية قاسية . . قال المحجوب لليمنيين الثلاثة تفضلوا الغداء . .

ورد الرجل المسن . . .

— هل حقا يمكن تناول الغداء مع لجنتكم الموقرة . .

فقال المحجوب . .

— طبعا . .

والتفت الرجل يمينا ويسارا . . وقال اخشى بعد الغداء ان ادفع ثمنه . . والثمن هنا غال جدا . . وتناول الجميع الغداء . .

هنا - زوجي - أريد ان اخبرك بأمر ما عن النفس البشرية . . في احدى رسائلك قلت لي ان الشعب لم يقاوم الظلم . . واقول لا يوجد شعب قاوم مثلما قاوم الشعب المصرى ، إن السجون كانت كصالة عرض كاملة العدد على مدار السنة . . ولكل انسان قدرة على المقاومة . . ها هو ذا النعمان . . له تاريخ في النضال يخشى الجلوس مع اللجنة الثلاثية لتناول الغداء ، خوفا مما قد يحدث له في السجن فما بالك ان كل هامة أرتفعت في مصر على مدى السنوات الماضية ذهبت إلى هذه الصالة الكاملة العدد ليخرج منها انسان آخر . . رجال برؤوس من المصيص . .

لاتظلم شعبنا ابدا . . انه طيب . . وصبور . . ومقاوم . . انه شعب احبطه الزعيم ، لقد وضع الشعب فيه كل الأمل ، واستطاع الزعيم ان يجعله ينتظر . . وينتظر . . وينتظر شيئا ما وبعد طول انتظار . . وجد الخراب . . والضياع . . والهزيمة واليمن .

المهم - زوجي - اللجنة انهت مشكلة اليمن ،وقررت :

— إن التسوية تعيد السلام والاستقرار لليمن .

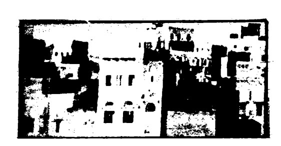
وسافر وزير خارجية العراق إلى بغداد ، وسافر وزير خارجية المغرب إلى الرباط ، وسافر محجوب إلى الخرطوم . .

وعلمت أن الرئيس جمال عبد الناصر قد ارسل مندوبا عنه إلى اليونان لاستئجار سفن لنقل القوات المصرية من اليمن ، كما علمت أن بعض القوات وصلت فعلا ببعض المراكب والطائرات المصرية من اليمن ، مودعة وإلى الأبد هذه الأرض التى ابتلعت في جوفها ٢٠ الف زهرة دفنت هناك . .

ولم يبق إلا ان تاتى . . وتضع ستارا كثيفا على الرحلة السوداء التى بدأت منذ سنوات وانتهت بطريقة مأساوية ، دفعنا نحن في مصر ، رجالا ونساء ، واطفالا ، وشيوخا ثمنا غاليا ، لهذه الرحلة التعيسة . . بانتظارك في بلدى دائما .

● ● ●

● الرسـالة الأخيـرة ●



الحديدة فى أول ديسمبر ١٩٦٧

زوجتى . . يازوجتى
ياأختى . . ياأمى . .
يازوجة كل مقاتل . .
ياأخت كل شهيد . .
ياأم كل زهرة مصرية د هنا . .
حكايتى اليمة . .
فصولها اليمة ، كاعنف ما تكون المأساة . .
كنت اعلم انها نهاية اليمة ، ولكننى لم اكن اعلم انها
ستكون اليمة إلى هذا الحد .

كنت أتصور النهاية فى صنعاء . . وليست فى سيناء . . ولكنى أخطات فبداية المأساة فى صنعاء ونهايتها فى سيناء . .

آه . . تسالينني فى رسالتك الأخيرة عن اللجنة الثلاثية وماذا فعلت فى صنعاء ؟ . .

تسالينني ، لأن الحقيقة فى القاهرة عليها طبقات كثيفة من الضباب ، لأن الناس فى القاهرة لم يصدقوا ما يقوله الحكام والمسئولون . .

الحقيقة عن اللجنة الثلاثية جاءت إلى صنعاء ، هى رحلة ماساوية فى فصول رواية من المآسى المستمرة . . فيبدو أن جيلى هذا قرر أن يعيش عصر المأساة . .

جاء محجوب والعراقى وخير الله إلى صنعاء ، ومعهم الفريق فوزى ، وأعلن عن وصول اللجنة التى ستصل لاحلال السلام فى اليمن . .

وحاول محجوب أن يتصل بالسلال . . إلا أن رئيس الجمهورية تهرب من مقابلة لجنة السلام . .

ساعات . . بعد المحاولة . . وانطلقت فى الشوارع المظاهرات التى حركها السلال . . مظاهرات يتقدمها على ابن رئيس الجمهورية . . المظاهرات تهتف ضد السلام . . ولجنة السلام . . ومصر . . وقوات مصر . . وعبد الناصر . . ومحاولته للخروج من اليمن . .

وجاءت المظاهرات إلى مقر القيادة المصرية فى صنعاء . . وأطلقت الرصاص . . فاستشهد أحد الحرس . . وبدأت القوات المصرية تطلق فى الهواء رصاصا . . وابتعدت المظاهرات عن مقر القيادة . . واتجهت إلى شوارع صنعاء . .

وفى الشوارع أصبح هناك تجارة وتجار . . وفى داخل بعض المتاجر جنودنا بلا سلاح . . يشترون هدايا العودة . . بعضهم سيرحل إلى الحديدة فى المساء ليغادر هذه الأرض إلى الأبد فى الصباح . .

كل الجنود يحملون هدايا جميلة والتى امتلأت بها متاجر صنعاء .

واقتحم المتظاهرون المتاجر ، واطلقوا الرصاص على جنود مصر ، ومات الكثير وايديهم قابضة على الهدايا ، وانتهى معهم حلم العودة ، ولقاء الأسرة والجلوس فى « العصارى » تحت شجرة التوت امام ضفاف النيل . .

سقط ـ بايدى السلال ـ هذه المرة ٣٧ مصريا ، وفى ايديهم كل شىء ، إلا البنادق ، وعشنا الحزن كله ، كيف يموتون فى شوارع صنعاء ، وبتحريض من رئيس حموه بأرواح عشرين إلف رفيق استشهدوا على هذه الأرض ! . .

مات السلام فى اليمن . . وفشلت لجنته فى اللقاء بالسلال . . وعادت إلى القاهرة على الفور بعيدة كل البعد عن بحور الدم فى صنعاء . .

لاادرى لماذا كان الحزن شديدا على هؤلاء ؟ . .

لاادرى لماذا بكوا الجنود بالدموع كالنساء على هؤلاء الرجال ؟ . .

بل لا ادرى لماذا لم نتركهم ـ كما ارادوا ـ ان يثاروا بهؤلاء الرجال ؟ . .

لاادرى . . والألم كان صاعقا هذه المرة . .

وفى الصباح . . وحتى لا يفلت زمام الموقف من أيدى القادة وتحدث مذبحة فى صنعاء بايدى رفاق سلاح شهداء الثالث من اكتوبر علم ١٩٦٧ ، اسرعنا فى الاتجاه إلى الحديدة إستعدادا لمغادرة بلا عودة . .

هل تعرفين السعادة المرة ؟ . .

انا اعرفها . . وكنت اراها فى عيون الجنود العائدين إلى ارض الوطن . . كانوا جميعا سعداء بمرارة . . سعداء بالعودة إلى ارض مصر . .

بدات البواخر المصرية واليونانية تصل إلى الميناء وتحمل الجنود فى طريقهم إلى مصر العزيزة واثناء ترحيل القوات . . حدث أمر هام فى صنعاء . . اتصور انه نشر فى سطرين فى الصفحة الأولى ولهذه الأسطر الثلاثة قصة . .

بعد رحيل القوات المصرية من صنعاء ، واستعدادها للعودة إلى مصر نهائيا ، قرر السلال أن يبحث على حكومة بلهاء ترسل له قوات لمساندته بدلا من القوات المصرية ، وقرر أن يمر أولا على القاهرة لعله يقنع الزعيم بعدم سحب القوات المصرية من اليمن ، واذا فشل يذهب إلى موسكو يحضر احتفالات اكتوبر ، ويأتى بقوات سوفياتية . .

تصور السلال أن هناك حكومة بلهاء كالحكومة المصرية . . وعرض فى القاهرة الأمر على الزعيم . . فرفض . . لأنه لا يملك أن يوافق . . فاتجه إلى بغداد . . واثناء وجوده فى بغداد استولى الجيش على السلطة فى صنعاء ، واسند الجيش الرئاسة للقاضى عبد الرحمن الاريانى ، والذى عاد منذ أسابيع من سجنه بالقاهرة ، فلقد كان محددا اقامته ، واسند إلى اثنين من ضيوف السجن الحربى فى مصر مسئولية قيادة الدولة فى المرحلة القادمة ، وهما حسن العمرى والنعمان .

يعنى أن النظام الجديد بقيادة ثلاثة لا يمكن أن يتفقوا مع القيادة المصرية ، الرئيس حددت اقامته لمدة تزيد عن علم فى بيت بالقاهرة ، واثنين عاشا فى العذاب فى السجن الحربى لمدة تزيد عن عامين .

ولكن الحق يقال . . لقد ارتفع القاضى اليمنى فوق الأحداث وارسل إلى الزعيم برقية ـ بالطبع لم تنشر فى الصحف المصرية لانها تشير إلى حوادث الثالث من اكتوبر عام ١٩٦٧ ـ تقول الرسالة :

« بعد صبر طويل على عبث السلال ، والذى كان آخره احداث الثالث من اكتوبر التى ذهب ضحيتها اخوان أعزاء ، وجللت وجه اليمن بالخزى والعار ، قرر الشعب اليمنى بكل فئاته خلع السلال من رئاسة الجمهورية وتجريده من مناصبه الرسمية ورتبه العسكرية ، ولقد قامت القوات المسلحة بالمهمة بكل هدوء وسلام ، لم ترق قطرة دماء واحدة ، ولقد تجاوب الشعب اليمنى من اقصاه إلى اقصاه ، ويهمنى أن أؤكد لسيادتك حرص الجمهورية العربية اليمنية حكومة وشعبا على الاحتفاظ بأقوى العلاقات مع شعب وحكومة الجمهورية العربية المتحدة ، والعمل على تأكيد اواصر الصداقة بين الشعبين ، وسوف

يظل الشعب اليمنى أبدا ودائما ذاكرا جميل ومساندة شعب الجمهورية العربية المتحدة وحكومته الشقيقة بكل تقدير واجلال .

وفى نفس الوقت أرسل القاضى الاريانى وفدا على مستوى رفيع لمقابلة اللواء عبد القادر حسن قائد القوات العربية ، ليقدم لنا العزاء فى شهداء الثالث من اكتوبر . .

وقدم الوفد العزاء . . وفتح الوفد الجراح . . وعاد الوفد إلى صنعاء . . والآن نستعد للعودة . . ساعود . . كما ودعت مصر فى الظلام . . سنبحر بالبواخر فى البحر الأحمر . . وننزل على الشاطىء المصرى بعيدا عن الطائرات الاسرائيلية ، سننزل فى موانىء بلا اسماء . . شبه الميناء الوحيد ، والذى يحمل اسما . . اسمه « منطقة ام الغصون » . . وهى منطقة فى مواجهة ادفو . . ومن هذه المنطقة نسير برا إلى المدينة . . ومن ادفو نضيع فى زحام مصر ، مع المظلومين ، مع المقتولين ، مع ضحايا عصر المأساة . .

وأراك يا بلادى ـ من جديد ، برؤية جديدة ، بعيون هدتها المأساة ، بعقل ثائر من لمسة للفساد وأراك ـ يا مصر ـ واطلب منك الرحمة والغفران فلقد ظلمتك اكثر من خمسة عشر عاما . .

فلقد رأيتك باكية ـ عبر السنوات الماضية ، ولم اقدر دموعك الغالية . . رأيتك خائفة من المستقبل ، وكنت لا ادرى أنك تعلمين مدى سواده . . رأيتك تباعين بلا ثمن وكنت اتصورها التضحية .

رأيتك خادمة فى بيوت الجوارى ، عاهرة فى بيروت ، ولم أعلم أن الثمن سيكون باهظا جدا إلى هذا الحد .

رأيتك فى السجون ، والمعتقلات الرهيبة تسامين كل انواع العذاب والتعذيب ، تطلبين الرحمة ، وكنت اتصورك غبية تقاومين الحق .

رأيتك أسيرة فى غابة ، وبالغابة أسد واحد ، قاتل ، جائع ، حاقد مستبد ، وكنت أرى فى ذلك النظلم .

رأيت على شفتيك سخرية الأسى ، كنت اضحك بلا بكاء على خريتك .

رايتك هاربة إلى العالم كله ، تنشدين لهم انشودة العصر ، تضعين لهم حضارة العصر ، وكنت أرى في هروبك خيانة .

رايتك تصعدين بالعلم إلى القمر على مركبة امريكية ، وكنت اتهمك بالتخريب .

مغفرة . . ومعذرة . . فلم اكن اراهم بلا اقنعة . . كنت اراهم دائما بقناع خلف ميكرفون . . يكذبون ويكذبون . . ويكذبون . . واصدق كذب ما يقولون . . وعشت فريسة لقول كاذب . . عندما سقطت عنهم الأقنعة . . بل وورقة التوت ، كان منظرهم بشعا يثير الغثيان .

زوجتي . .

جاءني هنا ، رجل عجوز ، طاعن في السن ، مستحيل أن تعرفي متى ولد ، ومتى يموت . . جدير بالاحترام .

وسألته . . لماذا جئت إلى اليمن ؟

قال . . ابحث عن نبيل . .

وقلت . . ومن نبيل ؟ . .

قال . . ابنى . . ألا تعرفه ؟ . .

قلت . . ما شكله ؟ . .

قال . . جميل جدا . .ليس بقصير . . ولا طويل . . عيونه جميلة بشرته سمراء . . يضحك كثيرا . . يحب كل شيء . . الحياة . . الحب . . الموسيقى . . الأشجار . . ومياه النيل .

قلت . . وهل جاء هنا ؟ . .

قال لادرى . . كل ما استطيع ان اقوله . . انه ذات يوم . . ارتدى بذلته العسكرية . . وترك زوجته . . واولاده واتجه إلى مكان ما . . ولم يعد ، انتظرته طويلا ولم يعد ، كتبت له ، كتبت له رسائل كثيرة ولم يعد ، كان لا بد أن يعود ، لأنني أعرف أنه يحب الحياة والسلام ، والموسيقى ومياه النيل ولكنه لم يعد . . ذهبت إلى سيناء ابحث عنه فلم اجده ، في مياه القناة فلم اجده ، بين الأسرى فلم اجده ، بحثت عنه في السجون فلم اجده ، فجئت هنا ابحث عنه لأنه لا بد أن يعود .

— وكيف خرجت من مصر وجئت لليمن ؟
فقال . .

— الصحافة والصداقة . . صحفي ورجل في القصر . . عرضت على صديقي رحلتي لليمن، فنصحني باقصر الطرق إلى صنعاء ، أرسل لي صحفي التقط لي بعض الصور ، وقلت له جملة في ثلاث كلمات فقط « اريد العلاج بلندن » ، وفي الصباح وجدت صفحة كاملة اقول فيها كلاما لم اقله . . هل تتصور انني سعيد بغياب نبيل ، هل تتصور ان اقول غياب نبيل في اليمن او غيرها وطنية وقومية ، كل هذا قلته ولم اقله ، وذهبت لأقول انني لم اقل ولم يسمعني احد ، إلا ان القصر وافق على سفري .وذهبت إلى لندن ، ومنها إلى صنعاء ابحث عن نبيل . . ونبيل لا بد ان يكون هنا . . يضحك بصوت عال في مكان ما على هذه الجبال ، ساحتضنه واخبره بالا يصدق هؤلاء الرجال الذين يرتدون الأقنعة ويجلسون خلف الميكرفونات . . ساعيده معي ولن اتركه يرحل ابدا . . ساقول له لاتقرأ الصحف . . ولا تسمع الراديو . واغلق صندوق الكذب ولا تشاهده . . واكتفي بسماع بيتهوفن فهو لا يكذب ابدا .

قلت له . . سيدي . . نبيل مات ؟ . .

فقال . . لا . . نبيل ساعيده معي . . وساطلب منه ان يكسر صندوق الكذب . . ومذياع النفاق . . ونشرات الصباح الصفراء . . نبيل ـ يابني ـ لا يموت . . ربما يعيش الآن في مقبرة تتسع لألف او عشرين الفا . . ربما تكون جمجمته فوق الجبال وقفصه الصدري في الوادي . . وذراعه في مدينة ولكني ابوه ، خبير في جمع عظامه ، ساجمع عظامه ، واعيده .

وتركني الرجل وذهب لمهمته المستحيلة ليجمع نبيل من فوق الجبال والوديان والمدن ، يعيده إلى مصر ، ليعيش من جديد ، ليحطم صندوق الكذب ، ويمزق أوراق النفاق ، ثم يغني لمصر والحب والحياة . . تحت الأشجار الخضراء على ضفاف النيل . .

ومرت الأيام . . وجاء دورى فى صعود الباخرة فى طريق العودة وأنا أفكر فى ذلك الرجل الذى جاء يبحث عن نبيل ، وقبل أن أصعد على السلم أعترضنى رجل من هؤلاء الذين يرتدون النظارات السوداء على أعينهم . . وسألنى . .

— ماذا ـ أيها المقاتل ـ ستقول لهم فى مصر ؟

— وماذا تريد أن أقول ؟

— تقول . . أنك انتصرت . . وكسبت . . ولم يمت أحد على هذه الجبال . . ولم ننفق شيئا فى هذه الأرض . .

وابتسمت . . ثم ضحكت . . وضحكت عاليا . . وقلت له وقد اختفت الابتسامة والضحك . .

— لا . . لاسيدى .

فحياتى مؤلمة . .

قصة طويلة دامية . .

سأقولها . . ربما اليوم . . ربما فى السبعين . . وربما فى الثمانين . . ولكننى

أعاهدك أننى ـ رغم أنفك ـ سأقولها . .

سأقولها لشعب اليمن . .

سأقولها لهذا الجيل . . ولكل جيل . .

سأقولها للزعيم . . لكل زعيم قادم . .

سأقولها حتى لا تتكرر المأساة . .

سأقولها للأرامل ، والشهداء والسجناء فى المعتقلات ، والمهاجرين من شدة الخوف والخادمات فى بيوت الجوارى .

سأقولها حتى ترتفع الهامات ، وتعود مصر تعطى للعالم حضارة ، وتلحق العصر ، وتقود بلا اكراه .

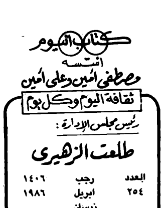
سأرددها فى كل مكان وزمان . .

فهى حكاية بسيطة ، حكاية شعب كاد أن يموت من شدة الطغيان ، حيث أرسل الزعيم أحلى الزهور لتموت فى بلاد بعيدة ، بلا سبب ويموت

معها الزرع والآلة والانسان .
حكايتى ـ سيدى ـ أليمة . .
نهايتها أليمة . .
فصولها أليمة ، كأعنف ما تكون المأساة . .
ومأساتى ـ سيدى ـ بدأت فى صنعاء ، وانتهت فى سيناء . .
عفوا ـ سيدى ـ ربما تكون سيناء فصلا من فصول المأساة . .
اتركنى ـ سيدى ـ أصعد وأعود . .
واتركوا ـ سيدى ـ مصر . . فكفاكم اغتيال تاريخها . .
واسمع ـ ولو مرة ـ كلمة صدق . .
فقد تغتالون شبابها . .
فقد تغتالون ـ سيدى ـ رجالها . .
وقد تغتالون الأرض . . وحبات الرمل . . والرجال فى المصانع . .
والفلاحين فى الحقول . .
قد تغتالون القمر . . وتطفئون الشمس . .
ولكنى سيدى . . لن تستطيعوا اغتيال حكايتى . .
فحكايتى محفورة فى قلبى . . ممزوجة فى دمى ، تهزكيانى ، تبكينى ،
تؤلمنى . .
سارددها للصغار ، والكبار ، والأرامل ، والشهداء ، والسجناء ،
والجائعين . .
ساقولها لشعب مصر ، ربما اليوم ، وربما غدا ، وربما بعد غد ،
ولكنى سوف أقولها ، فهى حكاية بسيطة . . حكاية شعب كاد أن يموت
من شدة الطغيان . .

● « زوجـك

« نهاية مأساة مصر فى اليمن »



كتاب اليوم

أنشأه

مصطفى أمين وعلى أمين

ثقافة اليوم وكل يوم

رئيس مجلس الإدارة :

طلعت الزهيري

العدد ٢٥٤ — رجب ١٤٠٦ — ابريل ١٩٨٦ — نيسان

الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط

تلكس دولى ٩٢٢١٥ ـ محلى ٩٢٢٨٢

الاشـــــتراكات

جمهورية مصر العربية :

قيمة الاشتراك السنوى ٦ جنيه مصرى

البريد الجوى

دول اتحاد البريد ١٥ جنيه مصرى

العربى والأفريقى ١٣ دولار امريكى اوما يعادله

باقى دول العالم واوربا ٢٠ جنيه مصرى

والأمريكتين وآسيا واستراليا ١٨ دولارامريكى اوما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات ١٣ ش الصحافة

القاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

اسعار كتاب اليوم

المغرب ١٥٠٠ فرنك
لبنان ١٤٠٠ ق . ل
الأردن ٦٠٠ فلس
العراق ١٥٠٠ فلس
الكويت ٧٠٠ فلس
السعودية ٧ ريالات
السودان ١٥٠٠ مليما
تونس ١٥٠٠ مليما
الجزائر ١٢٥٠ سنتيما
سوريا ١٤٠٠ ق.س
الحبشة ٦٠٠ سنت
الخليج ١٢٠٠ فلس
غزة ٧٥ سنت
اليمن ٨٠ بنى
الصومال نيجيريا ٨٠ بنى
السنغال ٦٠٠ فرنك
هولندا ٥ فلورين
انجلترا ١٠٠ بنى
فرنسا ١٠ فرنك
إيطاليا ٢٠٠٠ ليرة

فى الخارج

المانيا ٥ مارك
باكستان ٣٥ روبية
سويسرا ٤ فرنك
اليونان ١٠٠ دراخمة
النمسا ٤٠ شلن
الدنمارك ١٥ كرونات
السويد ١٥ كرون
الهند ٣٥٠ سنتا
كندا امريكا ٣٠٠ سنت
البرازيل ٤٠٠ كروزيرو
نيويورك واشنطن ٣٥٠ سنتا
لوس انجلوس ٤٠٠ سنت
استراليا ٤٠٠ سنت

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٢٩٩٤ / ٨٦

الترقيم الدولى ٣ ـ ١٣٠ ـ ١٢٤ ـ ٩٧٧